الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر

كلية الآداب واللُغات قسم اللّغُة والأدب العربي

العنوان:

تحليل الخطاب الروائي عند عزالدين جلاوجي وفق منظور تداولي، رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر أنموذجاً.

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه علوم

تخصص: المناهج النقدية المعاصرة وتحليل الخطاب

إعداد الطالبة : إشراف الأستاذ الدكتور:

عثمان فايزة صدار نور الدين

أعضاء اللجنة المناقشة

لقب واسم الأستاذ	الرتبة	الصفة	مكان العمل
بابا احمد رضا	أستاذ	رئيسا	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر
صدار نور الدين	أستاذ	مشرفا ومقررا	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر
جرموني رقية	أستاذ	مناقشا	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر
حمودي محمد	أستاذ	مناقشا	جامعة مستغانم
بلي عبد القادر	أستاذ	مناقشا	جامعة وهران 1، احمد بن بلة
حميدي بلعباس	أستاذ	مناقشا	جامعة مولاي طاهر، سعيدة

السنة الجامعية 1446-1447هـ / 2024-2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى والدي عبد القادر الذي عمل بكدٍ في سبيل نجاحي وعلمني معنى الكفاح والصمود، إلى أمي حليمة التي ربتني وأنارت دربي وأعانتني على طلب العلم وسهرت على بلوغ أهدافي، إلى زوجي الحاج علي الذي رافقني وساعدني في تجاوز اللحظات الصعبة والمثابرة حتى النهاية،إلى أبنائي الذين اقتسموا معي كل اللحظات ومنحوا وقتهم لي عبد المالك، فرح وأبرار، إلى كل أفراد عائلتي الذين انتظروا معي هذا العمل بفارغ الصبر.

شكر وتقدير

قال رسول الله ﷺ:" من لا يشكر الناس لا يشكر الله".

أود أن أُعرِب عن خالص امتناني لأستاذي الفاضل ومُشرف أطروحتي الأستاذ الدكتور صدار نور الدين، الذي رافقني طوال سنوات إعداد الدكتوراه وقدم لي النصائح والأهم من ذلك منحني الثقة للمُضي قُدُما، أشكره جزيل الشكر على دعمه المتواصل والدائم لي لتخطي العقبات وتيسير الأمور لي لبلوغ أهدافي، وزوجته الفاضلة التي رحبت بنا في بيتها وأتاحت لنا كل سبل تلقي العلم فبارك الله لهما.

وأود أن أعبر عن امتناني لكل أساتذتي الذين بذلوا جهدهم في سبيل إيصال العلم وتبليغ رسالاتهم.

مقدمة

مقدمة:

لقد حظِيَّ الخطاب الروائي بمكانة سامية بين الفنون الأدبية جعلتهُ محط أنظار الكثير من الدارسين والنقاد بفضل عوالمه المتخيلة، ومرجعياته المعرفية المختلفة، وتميُّزِهِ بتعددية الأصوات والشخصيات والحكايات، وتعدُدية متلقيه، إذْ عكف الباحثون والنقاد على مُعاينة الخطاب الروائي ومُساءلة بنياته باعتماد مناهج نقدية مُعاصرة، منها الشكلانية، البنيوية، الأسلوبية، السيميائية، مُستهدفةً في ذلك مستوياته الخطابية المختلفة، وبالأخصِ مستواه اللغوي بوصفه أداة تبليغ وتواصل.

وإنَّ أهم المناهج النقدية المعاصرة التي نعتقد إلمامها بعناصر الخطاب الروائي وأثرها الواضح في ذلك المنهج التداولي، الذي تتيح آلياته فهم الخطاب الروائي واستنطاقه، وتستخرج أهم بنياته اللغوية ودلالاته المتعددة، وإنَّ هذه الممارسة تعمل على استجلاء المحكي الروائي، فتنطلق من أسئلة أساس وتسعى لتحديدها في الخطاب ومن ذلك: من يتكلم؟ من هو المتلقي؟ ما هي مقصديتنا أثناء الكلام؟ كيف نتكلم بشيء ونسعى لقول شيء آخر؟ متى يكون الكلام مُقنعاً؟ ولمُعاينة هذه الطروحات وكشف مراميها اهتدينا للمقاربة التداولية في هذه الدراسة، نظراً لاعتنائها بالعملية التواصلية، واهتمامها بالعلامات اللغوية وعلاقاتها بمُستخدميها، وهذا بالتركيز على المتكلم والمُخاطَب وعلاقتهما؛ وكيفية فهم هذا الأخير لمُراد المتكلم انطلاقاً من سياق التلفظ، وأفعال الكلام وتصنيفاتها في الخطاب، والتركيز على العلامات الحجاجية وعامليتها في الخطاب. وبهذا تسعى المقاربة التداولية فهم كُنهَ الخطاب باهتمامها بالوظيفة والرسالة والسياق.

ومن هذا المنطلق المعرفي تسعى هذه الدراسة إلى البحث عن العلامات اللغوية داخل الخطاب الروائي الجزائري المعاصر من خلال رواية "**حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر" لعز الدين جلاوجي**، وفق المقاربة التداولية في محاولة للكشف عن أبعادها التداولية، وهذا لما يمتاز به بناؤهُا المورفولوجي من تقنيات سردية مُشكلة لها، وبلورة حكاياتها مجموعة من الاستثمارات الدلالية. هادفين من وراء ذلك إلى:

- ✓ الاطلاع على المنجز التداولي في الدراسات الغربية والعربية وفي الخطاب النقدي العربي.
- ✓ الكشف عن طرائق الخطاب ووسائل إقناعهِ، والتقنيات الحجاجية التي استعملها الروائي في بيان المعنى من مقاصدهِ.
- ✓ إدراك الأفعال الكلامية المنجزة في المدونة والتي شكلت الخطاب الروائي، ودورها الفعال في بلورة الحكاية ومُختلف عناصرها السردية .
- ✓ محاولة منا الكشف عن جوهر هذه المدونة وفق تحليل خطابها في ضوء نظرية الاستلزام الحواري التداولي، والتعرف على المعاني المضمرة والمباشرة في الخطاب ومواقع الخرق . إضافة إلى سعينا إلى فهم المُشيرات المختلفة والمعيِّنة لعناصر الخطاب الروائي.

وكانت هناك دوافع كثيرة لاختيارنا هذا الموضوع ودراسة هذه المُدونة، إذْ كان اهتمامنا بالخطاب الروائي عند عز الدين جلاوجي لتميُّزهِ عن الخطابات الروائية الجزائرية المُعاصرة بعنايتهِ الفائقة بلغة السَرد، ونظراً لأنَ مدونته متشعبة الحكايات، مُستلهمةً التاريخ والتُراث في نسجها، واهتمامه بآليات التجريب الحداثية في مُعاينة الواقع والتاريخ معاً، ومُعالجة مختلف القضايا المتعلقة بوجود الإنسان، ناهيك عن بروز الملمح النقدي في تشكيل خطابه الروائي وحتى ساردِيه، واستنادُهُ على المعطى النقدي من تقنيات لبلورة حكاياته وهندستها، كما كان اختيارنا لهذا الموضوع شغفاً بالأدب الجزائري، ورغبةً في تسليط الضوء عليه وإظهارهِ بوجهة أكاديمية بإبراز قيمة الخطاب الأدبي، والتعريف بالأدباء الجزائريين الذين برعُوا في الكتابة الروائية الهادفة.

تبرز أهمية هذه الدراسة في كونها تسعى إلى تحليل الخطاب الروائي الجزائري باستخدام أحد المناهج النقدية المعاصرة المنهج التداولي، مما يتيح فهماً عميقا للعلاقات التواصلية داخل النص، من خلال التركيز على الآليات التداولية في فهم الخطاب الروائي، والكشف عن طرائقهِ ووسائل إقناعه وقدرته على تحقيق التأثير المرجو في المتلقين، وتسهم الدراسة في تطوير الأدوات النقدية المستخدمة في تحليل النصوص الروائية العربية المغاربية والجزائرية على وجه الخصوص، بإبراز جمالياتها وخصائصها وقدرتها على مُجاراة التجريب، كما يشكل البحث أهمية للباحث الجزائري

لمعاينته الخطاب الروائي بتطبيق المنهج التداولي بمختلف آلياته الذي يندرُ في الساحة العلمية -على حسب اِطلاعي- وهذا لتسليط الدارسين دراساتهم على الخطاب القرآني ومدى تأثيره، فيكون التناول لهُ على وفق المنظور التداولي بمختلف آلياته بالتحليل من الدراسات الأولى.

وانطلاقاً من ذلك حورنا الإشكالية البحثية وفق ما يقتضيه المنهج التداولي بالبحث في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر، والبحث في أهم آليات التداول وأفعالهِ المختلفة المُعلنة في الخطاب والمضمرة، فطرحَت المُقاربة الإشكالات الآتية: مصطلح التداولية في المنجز الغربي والعربي النقدي؟ ما السبيل للوصول إلى مقاربة تداولية للخطاب الروائي؟ كيف تجلى البعد الحجاجي في الخطاب الروائي؟ وماهي أهم الحجج والتقنيات الحجاجية التي بلورت القضايا اللغوية والحكائية في رواية حوبة؟ ماحقيقة الأفعال الكلامية وإلى أي مدى يُمكن استثمارها في الخطاب الروائي للكشفِ عن الصيغ والأدوات التعبيرية المُستعملة فيه؟ ما أشكال الاستلزام الحواري في الخطاب الروائي حوبة وذلك انطلاقاً من الحوار الذي يعاين قضايا متعددة والتي تدفع بالأطراف المتخاطبة لاعتماد المعاني الضمنية بعد خرق قواعد الاستلزام الحواري ؟ كيف يمكن استثمار الإشاريات باعتبارها آلية من آليات التداولية في فهم الرموز اللغوية في الخطاب الروائي؟ تلكُمْ هي أهمُ الأسئلة الأساسية التي يحاول البحث الإجابة عنها.

كما هو واضح فقد اعتمدت الدراسة المنهج التداولي في استقراء الخطاب الروائي، وهو منهج يركز على دراسة الخطاب من منظور العلاقة التواصلية بين المتكلم والمتلقي، مع تحليل الأفعال الكلامية، الاستلزام الحواري، والإشاريات، وتوضيح الأبعاد الحجاجية والسردية التي شكّلت النص، وتكمنُ أهميتهُ في كونهِ مفتاحا إجرائيا يسمح بإبراز العناصر المختلفة التي تُكَون الخطاب الروائي، ويهدف للوصول إلى معناه في الاستعمال وليس في القراءة الحرفية له.

وللإجابة عن هذه الإشكاليات المنهجية التي ما انفكت تحاول الانفلات من التصنيف الذي وُضِعَ لها، وهذا لاتساع المنهج وكثرة آلياته، وقد وزعت الدراسة بين مدخل وثلاث فصول، وأُنهيت بخاتمة لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ولنا أن نوجز البحث في المسار الآتي:

المدخل الموسوم ب" **التَّداولية، المصطلح والمنهج في الدراسات الغربية والعربية**" تطرقنا فيه إلى محاولة تمثُّل التداولية في الدراسات العربية والغربية، **للاستفادة من آلياتها**، فالجانب المعرفي يُتيح لنا معرفة الأسس العلمية الفلسفية للمصطلح والمنهج، كما استعرضنا التداولية في الخطاب النقدي العربي، إضافةً إلى تقديم قراءة لبحث تداولي في خطاب أدبي مسرحي.

وجاء الفصل الأول الموسوم بـ"**البُعد الحجاجي في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**" ويقع هذا الفصل في أربعة مباحث؛ خضنا في المبحث الأول بيان لمفهومي السرد والحجاج، بعد هذا تعرضنا للحجاج في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**، أما المبحث الثاني تناولنا فيه الشخصية الروائية وحجاجيتها بالتركيز على الحجج التي قدَّمتها وفاعليتها في الخطاب. واستعرضنا في المبحث الثالث أهم التقنيات الحجاجية التي ظهرت في الحوار، وفي المبحث الرابع سلطنا الضوء على بنية المكان وبعدها الحجاجي في الخطاب الروائي انطلاقاً مما مثلهُ من حججٍ لإقناع المتلقي بدعواه.

أما الفصل الثاني الموسوم بـ" **الخطاب السردي لرواية حوبة في ضوء نظرية أفعال الكلام**" تناولناه في مبحثين بين تنظير وتطبيق، فتطرقنا في الأول للأفعال الكلامية وتشكيلها للفضاء السردي، وخضنا في أسس الأفعال الكلامية وروادها ثم عرضنا تشكيلها للفضاء السردي بمعاينتنا للفضاء النصي في ضوء نظرية أفعال الكلام والفضاء الجغرافي والفضاء الدلالي، أما البحث الثاني تناولنا فيه الأفعال الكلامية ودورها في تشكيل البناء السردي للرواية؛ بالوقوف على الفعل الكلامي والزمن السردي، والشخصية والفعل الكلامي.

وتناول البحث في الفصل الثالث الموسوم بـ" **تداولية الاستلزام الحواري والإشاريات في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**" نمطين من الآليات التداولية، فعالج في الأول تداولية الاستلزام الحواري في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، وفي المبحث الثاني استعرض الإشاريات في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**.

وختمنا البحث بأهم النتائج التي توصلَ إليها الباحث، وأبرزُها:

- ✓ أن الخطاب الروائي في **"حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر"** قائم على لغة تداولية حجاجية تهدف إلى إشراك المتلقي وإقناعه.
- ✓ أن الشخصيات الروائية اتخذت طابعًا حجاجيًا لتوجيه أفكارها ومواقفها، واستغل الروائي تقنيات لغوية وبلاغية لتحقيق انسجام خطابي وإقناعي.
- ✓ أنَّ الأفعال الكلامية كانت أساسية في بناء الخطاب السردي وتوجيه، خاصة الأفعال غير المباشرة التي ساهمت في إيصال المعاني للمتلقين.
- ✓ كشفت الدراسة عن تنوع في الإشاريات التي عززت البعد التواصلي والدلالي للرواية، وتنوعاً في المعاني انطلاقاً من دلالة الاستلزام الحواري التي شهدت خرقاً لمبادئ التعاون الحوارية واستلزمت معانٍ مختلفة.

ولتحقيق مقتضيات البحث اعتمدنا جملة من المصادر والمراجع العربية والغربية المترجمة في المجال التداولي والتي ساعدتنا في تطبيق آليات التداولية وإسقاطها على الخطاب الروائي **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** وتحليله ومن تلك الكتب:

استوجب منا الأمر الاستعانة بجملة من المراجع الأساسية أهمها في تقديري، كتاب مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، لمساسِهِ بجوانب الدرس اللساني، واعتنائِهِ بالمصطلحات التداولية، وبالأخص نظرية أفعال الكلام (الخبر والإنشاء) في الموروث النقدي العربي برؤية حداثية تجديدية. واعتمدنا أيضا على كتاب أبي بكر العزاوي، اللغة والحجاج. الذي طورَ نظرية الحجاج اللغوي انطلاقاً من الموروث العربي فكان جسراً واصلاً بين أعمال ديكرو وأعمال علمائنا العرب القدامى، كذلك كان اهتمامنا مُنصباً على كتاب عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية، الذي حاول تطبيق آليات التداولية على خطابات لغوية عديدة بالوقوف على استراتيجيات ومنها (التضامنية، التوجيهية، التلميحية، الإقناعية) معَ إبراز نظرية المعنى في ذلك. واشتغلنا كذلك على كتاب محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المُعاصر، الذي هو إضافة للدرس اللغوي ككل، واهتمامهُ بآليات التداولية من جانبها التنظيري، مُحاولاً إبراز وجود التراث اللغوي العربي موزعاً بين نظريات التداولية، وخاصةً ماجاء في نظرية أفعال

الكلام (الخبر والإنشاء)، وكذلك اهتدينا لدراسة عمر بلخير تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، والذي حاول تطبيق إجراءات التداولية على الخطاب المسرحي، مُستعينا في ذلك بمدونة مسرحية ، ويُعد من بوادر الكتابات التي طبقت آليات التداولية على خطابٍ أدبي بإبراز الفاعلين في الخطاب، والتركيز على الأفعال الكلامية انطلاقاً من البلاغة العربية. وتظل هذه الدراسات جديرة بالقراءة والاطلاع، وهي من جوانبها الإجرائية تلتقي مع دراستي في المدونة، إلاَّ أنَّ الاختلاف يكمنُ في طبيعة البحث التي تتطلب إجراءات دون أخرى.

إنَّ جدَّة الموضوع وحداثته، وتعدد مشارب البحث واختلاف آلياته وتعددها نظراً لتعدد نظرياته، والزخم الكبير من المصطلحات والمفاهيم في التداولية، وقلة المراجع التي تُعاين الخطاب الروائي وفق المنهج التداولي، كل تلك الأسباب كانت وراء الصعوبات التي واجهتني في غمار البحث، إذْ لم تتوفر دراسات كثيرة في الخطاب الروائي إلاَّ بعض المقالات التي تناولت جانباً من جوانب التداولية، وهذا نظراً لصعوبة حصر المنهج التداولي ، واتساع آلياته وأدواته الإجرائية، فضلا عن اتساع الخطاب الروائي، وارتباك الدارسين في هذا الحقل المعرفي في تطبيق آليات المنهج التداولي ، إلاَّ أني حاولتُ القياس على الدراسات السابقة في مختلف الخطابات لمُعاينة المدونة وفق مايلائم الخطاب الروائي وما يناسب مكوناته وبنيته. وتطويع التقنيات التداولية وفق ما يقتضيه الخطاب الروائي، غير أن هذه الصعوبات لم تثن عزيمتي في تخطيها والاستمرار في حث الخطى في البحث والإصرار على العمل والاجتهاد.

وأخيراً أحمدُ الله تعالى أنْ أمَدَّنا بعنايتهِ، فبلغنا نهاية هذا البحث، فكانت عنايتهُ حصناً وتوفيقاً، ولا ندَعي الكمال فيما بلغناهُ ، فالكمالُ للهِ وحدَهُ، وعملُنا هذا نرجو به إضافة بسيطة مُتواضعة في أدبنا الجزائري الذي ينتظر منهُ كثيراً من جهد البحث والدراسة، وخاصةً في زواياه العميقة لما تكتنزُهُ من طاقات تنتظر يداً مُخلِصة نافعة، وفكراً وقاداً، وحرصاً أكيداً لتخرجهُ إلى النور، فإنْ وُفِقت فمن الله، وإنْ كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان.

وأودُّ أن أشكرَ أستاذي الفاضل صدَّار نور الدِّين الذي تعهدني بالرعايةِ والتوجيهات والدعم النفسي، وإصرارُهُ على الاستمرار كلَّما خانتني الظروف إلى ذلك، وتوجيهي وتذليل الصِّعاب أمامي، فأشكرهُ جزيل الشكر على دعمه لي، وأشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد بشد أزري وتقديم المساعدة لي، كما أشكر لجنة المناقشة من الأساتذة

الأفاضل الذين تكرموا بقراءة هذا البحث، وتحديد هناته، وتثمين حسانته، مما سيمنحه صوابه. وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث رحمةً للعالمين.

الطالبة: عثمان فايزة

حُرِرت بمعسكر

في يوم الجمعة 15 ربيع الآخر 1446هـ الموافق ل 18 أكتوبر 2024م.

مدخل:

التَّداولية، المصطلح والمنهج في الدراسات الغربية والعربية

مدخل: التَّداولية، المصطلح والمنهج في الدراسات الغربية والعربية

أولا: التَّداولية في الدَّرس اللُّغوي العربي والغربي:

1-1- المصطلح .

1-2- التداولية في الدرس اللغوي.

1-3- التداولية عند العرب.

1-4- التداولية عند الغرب.

ثانيا: التداولية في الخطاب النقدي العربي:

2-1- التداولية عند طه عبد الرَّحمن.

2-2- التداولية عند عبد الملك مرتاض.

2-3- التداولية عند محمد محمد يونس.

2-4- التداولية عند مسعود صحراوي.

ثالثا: قراءة في كتاب تحليل الخطاب المسرحي في ضوء التداولية لعمر بلخير.

إنَّ الإنسانَ مارسَ على مرِّ العُصور الكتابة السَّردية بأشكالِ وصورٍ مُتنوعة مُختلفة، ولقد وصلتنا منهُ نصوصاً ثريةً مُحكمة الحبكِ والصَّوغِ، إلا إنَّ الكتابة السَّردية الحديثة تتجدد يوماً بعد يومٍ، إذْ أضحت مُنفتحةً على مختلف العلوم والتكنولوجيات والبيئات الاجتماعية المتنوعة، ولذلك حضِيَت باهتمامٍ شديدٍ من الساحة النَّقدية الغربية والعربية، فحاولَ خلالها النُّقاد جاهدين إيجاد مفاهيم وإجراءات علمية دقيقة تُقوِّم إرثهم وتعاين سردياتهم واستعانوا في ذلك بالمناهج النَّقدية والقرائن اللغوية لمقاربتها. ولقد قدمت اللسانيات المعاصرة لمُعاينه النُّصوص بمختلف أجناسها مناهجَ سجلت حضوراً فاعلاً في السَّاحة النقدية كونها تتعامل مع الظاهرة الأدبية كعنصرٍ حيوي قابل للمناورات الأدبية، بما تحويه من مستويات تركيبية وصوتية ودلالية وتواصلية وما تمنحُ من مقصديات دلالية. ويظل السؤال يُطرح ويُلح وجودَهُ علينا. ما الدور الذي لعبتهُ اللسانيات الحديثة لمعاينة النُّصوص السَّردية؟

إنَّ الدَّرسَ اللِّساني استفادَ من الحركة العلمية العالمية وتأثر كغيره من العلوم بالفلسفة وبعلوم أخرى، واستقى منها مفاهيم وإجراءات حداثية تمخضت عن الثورة العلمية، فأنتجت زخماً هائلاً من المُصطلحات العلمية والمفاهيم الفكرية التي أحدثت تغييرات جذرية في الدراسات اللغوية، فجاءت الأسلوبية والسيميائية والتداولية، وبما أنَّ الخطاب الأدبي بكلِّ أشكاله وألوانهِ وأجناسهِ يحتفي باللُّغة ويجعلُها من أولياته، فهي أداةٌ للتعبير وخيطٌ واصلٌ بين الناص ومُتلقيه، فإنَّ جُلَّ المقاربات اللسانية النَّصانية ارتكزت على الخطاب اللُّغوي، كونه مجالاً فعالاً لحُدوث مُختلف المناورات اللسانية المشبَّعة والمحمَّلة بإيديولوجيات أصحابها والقاصِدة لأغراضٍ فكرية بحتة، وما الخطاب الروائي إلاَّ واحد من الخطابات الأدبية السَّردية الخِصبة، الذي لهُ تأثير مباشر على المتلقين في سلوكهم وأفعالهم، وهذا من خلال اللغة السردية التي تقدم نسجاً حكائياً مُتخيلاً، وتتبنى ساردين وشخصيات حكائية تُخاطب قارئها المُتوقع، أقلُ ما يُقال عنهُ عالم تخييلي يعيدُ قراءة الواقع، بشخصياتٍ افتراضية مُتخيَّلة تتجاذبُ اللُّغة وتتطارحُها، وتعمد إلى أصواتٍ أخرى لتُشرِكَها في عوالمها التخييلية ولتقولَ رُؤاها الإيديولوجية المُبطنة. ومن أهم المُقاربات اللِّسانية التي تَسْعى لفَهمِ ومُعاينة النُّصوص السَّردية واستيعاب مَجاهيلها وفكِّ مَغاليقها وشِفراتها واكتناهِ أسرارها، وتنظُرَ إلى أبعادِ ووظائف اللُّغة السَّردية، وتَحرُّك الخطاب اللُّغوي بين الشَّخصيات وتعدُد العوالم، وكذا الاستعمالُ التواصلي للغةِ في إطارها الاجتماعي، التداولية أو المنهج التداولي الذي يهتم باللغة في حركيتها التواصلية، مُركزاً على العلاقة بين النَّشاط اللُّغوي

ومُستعمليه ومؤوليه، ولمناقشة هذه القضايا اللسانية الشائكة لا بُدَّ من وقفة على ماهية المُصطلح وجذوره فعندئذٍ نقول ما المُراد بالمنهج التداولي؟ وأعلامهُ في الدّرس الغربي والعربي؟ وأهم الدِّراسات العربية النَّقدية في هذا المجال؟

أولا- التداولية في الدَّرس اللُّغوي العَربي والغربي:

1-1-المصطلح:

المُصطلح يُعدُّ جُزءاً هاماً في المنهجِ وركيزتُهُ وبنيتهُ الأساس، ينتقل ليأخُذَ من المنهجِ مفهومه وأداتهُ، ولقد ارتبكَ هذا المُصطلح جراء التَّرجمات والتَّعريبات التي سارت مسارَ الرِّيح فيه فتعالقَ مع مُصطلحات أُخرى وتوعَّر. ولطالما كان المُصطلحُ النَّقديُّ إشكاليةً في حدِّ ذاته، فمن جهة لصُعوبة توحيد المُصطلح بين النُّقادِ ومن جهة ثانية على مُستوى التَّطبيق في ضبطِ الآليات الإجرائية المُعتمدة في دراسة النُّصوص، إذْ وُضِعَ لهُ زخمٌ هائلٌ من المُقابلات والمُوازيات، وذلك كلُّهُ نتيجة لتعدُّد التَّوجهات والدِّراسات وحتى المُنطلقات. "فلقد شهِدتْ الحياةُ الثقافية والأكاديمية والمُعجمية حركةً غريبةً ناشطةً للتَّعامل مع هذا الإنفجار المُعجمي والإصطلاحي الجديد سواء في ضبط المفاهيم أو على مُستوى إيجاد مُقابلات أو مُوازيات مُترجَمة لهذه المفاهيم، وقد واجهتْ اللِّسانيين والمُترجمين والنُّقاد والمجامع اللُّغوية وهيئات التعريب في الوطن العربي مُشكلات كبيرة ومُستعصية وهي تُعالج هذه الإشكالية"[1]. إنَّ هذا الانفجار المُعجمي الذي أشَارَ إليه القول، أثارَ جدلاً واسعاً ومسَّ كل القطاعات والمجالات العلمية والتَّوجهات المعرفية، كما غزا المناهج النَّقدية والأكثر من ذلك أضحى هاجساً للباحثين والقُراء لتعدُّد القراءات النّقدية ومسألة إيجاد المصطلح النقدي المضبوط لمدلول واحد، فتصطدم بمدلول واحد يقابلهُ ويوازيه العديد من المصطلحات المعرفية.

ولقد عرف الجرجاني علي بن محمد(ت:816هـ-1413م) المصطلحَ بقوله: "هو اِتفاقُ طائفةٍ على وضعِ اللَّفظ إزاءَ المعنى، وتسميةُ الشيءِ باسم ما، ينتقل عن موضعهِ الأولِ، فيَخرُجَ اللَّفظُ من معنى لُغوي إلى آخر لمُناسبة بينهما في

[1]- فاضل ثامر، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النَّقدي العربي، عن صدار نورالدين، البنيوية التكوينية، مقاربة نقدية في التنظير والإنجاز، مكتبة الرَّشاد للطباعةِ والنَّشر، منشورات مخبر المناهج النَّقدية المعاصرة وتحليل الخطاب، ط:1، 2013، ص:35.

الوصفِ أو غيرها، ولفظٌ معينٌ بين قومٍ مُعينين"[1]. يُظهر لنا حديث الجرجاني أنَّ لفظَ المُصطلح المشتقُ من اِصطلحَ واِصطلاح، أي اتفاقُ وتوافق واجتماعُ قومٍ وطائفة ما على وضعِ لفظٍ وما يُقابلُهُ من معنى، وذلك قيداً بشروطٍ مُعينةٍ، وكان أولها اِتفاقُ جماعةٍ على الوضع والاِصطلاحِ، وأنْ يكونَ موافقاً لما يضعهُ ويَصِفُهُ وغير ذلك، فلا سبيل إلى الوضعِ المُتنافي مع اِتفاق الجماعة أو المناسبة، أو الموضوعِ عبثاً دون شروطٍ. وأثارَ أيضاً قضية التعيين والمُعين أي مقصود في ذلك لا حائلَ يمنع من الوُصولِ إلى المُبتغى المرجُوِ." إذْ لا بُدَ من وُجود علاقة مقصودةٍ بين المُصطلحِ ودلالة مادتهِ اللُّغوية، فالمُصطلحات لا تُوضع اِرتجالاً أو اِعتباطاً بل لا بدَّ من وجود مناسبة أو مُشاركة أو مُشابهة كبيرة أو صغيرة بين مدلوله اللُّغوي ومفهومِه الاصطلاحيّ"[2]. من البَديهي أن يربطَ المُصطلح بمادتهِ اللغوية علاقة خاصة، تَنبني على الاِجتماع والقيَّاس والضبطِ، ولا يكون الوضعُ من أجل الوضعِ، علاقةٌ تكون بعيدةً عن العشوائية والطّرح المُبتذلِ. ولكن مع ذلك ولسُوء التَّقدير لم يَحدُث ما نسعى إليه، وظلَّ المُصطلحُ دوماً يعيشُ في تذبذبٍ وبين مُعترَكٍ من المفاهيم والمَدلولات الموضوعة لهُ. وإنَّ هذا الطَّرح جعلَ الباحثَ صدار نور الدِّين في مُدونتهِ يَستشعِرُ اِستعصاء الإشكالية، وتماديها في السَّاحة النَّقدية، لا وبلْ أصبحت هاجساً يُؤرق الباحثين ويشتت بيّناتهم. وبالأخص المُصطلح النَّقدي "الذي يُواجه مجموعة من الإشكاليات التي يتعينُ التَّصدي لها، فإشكالية المُصطلح النقدي العربي الحديث مُرتبطةً أساساً بأصولهِ التكوينية المُعقَدة بوصفهِ حصيلةٌ لقوًى جذب وطردٍ متباينةٍ وهي:- المُصطلحُ النَّقديُّ في مَوروثنا النَّقدي والبلاغي.

-المُصطلحُ النَّقديُّ في أصولهِ الغربية المترجمة.

-صراعُ المناهجِ والمفاهيم والنّظريات والعلوم اللِّسانية والسَّيكولوجية والاِجتماعية والأنثروبولوجية وغيرها..

[1]- علي بن محمد الجرجاني (816هـ-1413)، معجم التعريفات، تح:محمد الصِّديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د:ط، د:ت، ص:27.

[2]- عبد الحليم بن عيسى، مصطلح التَّداولية في الدراسات العربية المعاصرة، بين التَّلقي والتَّأسيس، قراءة تحليلية نقدية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد:20، جوان2018، ص:4.

-محاولة تجاهل المُصطلح النَّقدي بأنواعهِ أو السَّعي لتوليد مُصطلحاتٍ جديدة بطريقة اِعتباطية أو اِنطباعية"[1]. إنَّ هذا القول يُحاول صاحبهُ أن يلمسَ بعضاً من حقيقة مُتداريةٍ، التي أوجدتْ الإشكالية، والتي أوجبت الغوصَ في جُذورها ومُنطلقاتِها، لأنَّها أصبحت همَ كلِّ الحقولِ المعرفية دون أي تحديدٍ. كما نوَّهَ ونبَّهَ بالصِّراع المنهجي القائم، والذي يُعدُّ سبباً من أسبابِ تفاقُم الإشكالية، فهذا التباين والاِختلاف المعرفي لدى صُناعهِ وكذا انتقل إلى السَّاحة العربية النّقدية بحكم التَّضارب المُصطلحي الموجود في بيئتنا بين ترجمة وتعريب، وبين وافدٍ غربي وآخر وارد في الثقافة العربية، واستعصاء بلورة مصطلحات مُستعملة تتوافق والخطاب النقدي المَرجو وإنتاج آليات إجرائية تتماشى معه.

1-2- مصطلح التداولية في الدرس اللغوي:

إنَّ مُصطلح التَّداولية من المُصطلحات النَّقدية التي تطرح نفسها، وتُجلي الاِرتباكَ الحاصلَ في السَّاحة النَّقدية، هذا المنهجُ اللِّساني البَلاغي الذي سجَّل حُضورَه بكثافة في السَّاحة المغاربية العربية. فشَهِدَ أخذاً وردًّا في ماهيته، والتبس مفهومه مع مصطلحات فلسفية. هو مُصطلحٌ مأخوذٌ من الجذر اللُّغوي "دول" ووردت مادة دول في بعض المعاجم العربية، فجاء في القاموس المُحيط للفيروز أبادي (ت:817ه) "دَوَلَ، قدْ أدالَهُ، وتداولوهُ، أخذوهُ بالدُّول. ودَواليكَ أي مُداولةً على الأمر، أو تداولٌ بعد تداولٍ، ودالت الأيامُ أي دارتْ"5[2]. يُظهر تعريف الأبادي لمُصطلح دول بمعنى الأخذ بالمناوبة، أي أخذُ الأمرِ تارةً بتارةٍ، وإنَّ هذا ما أشارَ إليهِ صاحبُ لسان العرب اِبن منظور(ت:711ه) "وتداولنا الأمرَ: أخذناهُ بالدُّولِ وقالوا: دواليكَ أي مُداولةً على الأمرِ، ودالت الأيامُ أي دارت، واللهُ يُداولُها بين النّاسِ، وتداولتهُ الأيدي: أخذَتهُ هذهِ مرة وهذه مرة"[3]. اِتفقت المعاجمُ على أنَّ الوحدة المُصطلحية (داول) تحملُ مدلولاً واحداً وهو الأخذُ بالمناوبة مرة بمرة، ودوران الأمر بين أطراف، والتّبادل والحركة.

[1]- صدار نورالدين، البنيوية التكوينية، ص:36.

[2]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817)، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ص:1001،1000.

[3]- ابن منظور الأنصاري (ت711)، لسان العرب، الجزء الحادي عشر حرف اللام، مادة دول، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، د:ط، د:ت، ص:252.

ولقد جاءت هذه الوحدة المُصطلحية في الذِّكر الكريم المُحكَم التَّنزيل. قال الله تعالى:"**وتِلْكَ الأيامُ نُداوِلُها بين النَّاسِ ولِيَعلَمَ اللهُ الذين آمنوا ويتَّخِذَ مِنكمُ شُهداءَ واللهُ لا يُحبُّ الظَّالمين(140)سورة آل عمران ص68**"[1]. الأيام المتداولة بينهم أيامُ بدر وأُحُد، ويُراد بقوله تعالى نُداولُها بين النَّاسِ في تفسير ابن كثير (ت:774هجري) "أي نديل عليكم الأعداء تارةً، وإنْ كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة"[2]. يجعَلُها دُوَلاً بين النَّاس المُسلمين والمُشركين، يوماً لكم ويوماً عليكم، يتأتى الفهمُ من تفسير الآية أنَّ الأمر كان دولاً بين طرفي صراع، أي بين قُطبين مُتواصلين، مرةً بمرةٍ، تارةً لهم وتارةً عليهم، أي دوران الأمر بينهم. ولقد تعرَّض **الجَوهري (ت:398)** لهذا المُصطلح في صِحاحهِ، والتقى مع المُعجمين السَّابقين في مَدلولهما. فالجذرُ اللُّغوي .دَوَلَ. "فتداولتهُ الأيدي أي أخذتهُ هذه مرة وهذه مرة. وقولهم دواليك أي تداولٌ بعد تداولٍ"[3]. يأخذنا مدلول المُصطلح اللغوي في الصِّحاح أخذاً آخر ونوَّهنا لهُ سابقاً التشارك أي تشارك قطبين فاعلين في العملية التواصلية، فتواصلا ودار بينهما الأمر تداولاً بعد تداولٍ، فإذن نستشف من التعريف أنَّ التداول لا بُد حاصلاً والحركية للفعل بين المستعملين. وقراءةً للمفاهيم المُعجمية للفظ دول كلُّها ترتهن إلى الأخذ بالمناوبة ودوران الأمر بين أطرافٍ عدة لتحقيق العملية التواصلية.

1-3- التَّداولية عند العرب:

لقد أبانت الدِّراسات العربية القديمة عن ملامح اِحتوائها للفكر التَّداولي الحديث والسَّبق إلى التنظير لهُ، من خلال تبَنيها لقضايا تداولية مُهمة، مثل دراسة اللُّغة في سياق ما أو ما يُعرَف بقضية المقام، إذْ تُراعي سياق الحال في إحداثِ القول، كما تُراعي المقامَ الاجتماعي ودرجات السَّمع واِستحداثها لمسائلَ بلاغية مُهمة لإقناع المُخَاطَب من نداءٍ وتنبيهٍ وأَمْر وإقناع، كما اِهتمت بمسألة المعنى ومقاصده، وعُنيت بالخبر والإنشاء. يذكر الطَّاهر بن عاشور "أنَّ التَّداول في الأصل تفاعل بين دال، ويكون ذلك في الأشياء والكلام، يُقال كلامٌ مُداول، ثم استعملوا داولت الشيء مجازاً،

---

[1]-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د:ط،1442هـ،2021،ص:68.

[2]- عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن الكثير الدمشقي (ت:774هـ)، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة قرطبة،مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة مصر، المجلد الثالث،ط:2000،1 سورة آل عمران الآيات:137-143،-ص:200.

3-أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت398)، الصِّحاح، تاج اللغة وصحاحُ العربية، تح:محمد محمد تامر، دار الحديثِ، القاهرة، مجلد:1، د:ط، 2009، ص:394.

إذا جعلت غيرك يتداولونه، وقرينةُ هذا الاستعمال أن تقول بينهم"[1]. تقتضي هذه الوحدة المُعجمية دَال التفاعُل بين أطراف عدة والذي يومئ لها الضَّمير هُمْ المُقترنُ بلفظ البيْن. والبيْنُ الوسَاطة والتَّوسُط بين أمرين على اِختلاف شأنهما، كما ينصَبُّ اِهتمامُها على البُعد الإنجازي والتفاعلي للُّغة.

ولقد اهتمَ الدرس اللغوي العربي في مقارباته وتطبيقاته وإجراءاته لفهم الخطَابات وتحليلها، بِاستحضار المقاربات اللغوية البلاغية العربية القديمة، إذ وجدَ "بعض الإشارات والبدايات في اِهتمامات علماءُ النَّحو والبلاغةِ والنَّقد باللُّغة ومُقتضَى الحال ومناسبةُ السِّياق للكلام، وتبدو في جهودِ العلماء أمثال الجاحظ والجُرجاني والسَّكاكي وغيرهم"[2]. إنَّ هذه المسائل التي راعَها علماؤنا القُدامى لهي الإرهاصاتُ الأولى لعلمٍ اِستقلَّ بذاتهِ عن باقي العلوم، فهذه المسائلَ شبهُ نظريات كانَت مُشتتةٌ في كُتُبِهم، على سبيل المثالِ المقامُ. ففي شأن المقامِ قيلَ: "أنَّ العربَ قد عرَفُوا التَّداولية بكُلِّ أَبعادِها، وكانت نظريتهم في هذا الإطارِ مُتكاملة، لكنَّها مُتناثرةٌ في كُتب أصولِ الفقهِ وكتب علماء الكلام واللُّغويين والبلاغيين(...) وأنَّ المُكتشفين الأوائل لها هم علماءُ الأصولِ"[3]. كانت جهودُ قدامى العرب في الحقلِ البلاغي وافرةً، وإنَّ سَعْيَهم في مسائلَ بلاغيةٍ أمدَّت معارفاً للتَّداولية اليوم، وأتاحَتْ للدَّارسِ والباحث العربي فُرصَةَ الغوصِ في التُراثِ العربي، وفَتَحت آفاقاً للدَّرس اللِّساني العربي للوصُول إلى المعنى والتَّركيز على أهم شيءٍ في اللُّغة والعملية التَّواصلية وهو إنتاجُ الكلامِ وتأويلهِ. فحظِيَّ المقامُ في الدّرسِ البلاغي العربي حُظوةً مهمةً، ناهيك عن مُصطلحات أُخرى تُعدُّ تماساً مع التداولية الحديثة، فقولهم" لكُلِّ مقامٍ مقالُ، وسارَ في النَّاسِ مثلاَ، وشاعَ لدى طائفة، ولعلَ أسبَق من نُسِبَ إليه إرسالُ هذا المثال هو طرفه بن العبد"[4]. إذْ رُويَّ عن طرفة بن العبد البكري (543-569م) قولُهُ:

1- الطاهر بن عاشور، التَّحرير والتنوير، عن عيسى عبد الحليم، مصطلح التداولية في الدراسات العربية المعاصرة بين التلقي والتأسيس، قراءة تحليلية نقدية، الأكاديمية للدراساتِ الاجتماعية والإنسانية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، ص:7.

[2]- إشراق كامل كعيد، سولاف مصحب مهدي، رواية يا مريم لسنان أنطوان، دراسة تداولية، مجلة كلية التربية للبنات،جامعة النهرين، المجلد 29 (1)، 2018، ص:1961.

[3]- المرجع السابق، ص:1961.

[4]- محمد بدري عبد الجليل، تصور المقام في البلاغة العربية، عن أعمارة ربيحة، تداولية المقام في الدَّرس البلاغي العربي القديم، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، جامعة سطيف، العدد الثاني، ص:58.

تصَدَّقْ على هذاكَ المليكُ***فإنَّ لكُلِّ مقامٍ مقال"[1].

لئنْ أنعمنا النَّظر في مُصطلح المقامِ وتأملناهُ، نجدُهُ على عِلاقة بمصطلحات بلاغية أخرى تواصلية، فهو لا ينشأ إلاَّ بوجود أطراف الخطاب، ومُلاءمَةُ الخطاب لمُقتَضى الحال السِّياق، فغدا همُهُ مسألة الخطاب اللُّغوي في حَركيَّته، مُركِزاً في ذلك على مُستعمليه وسياقه وتأويله ومقصِده اللُّغوي وغير اللُّغوي. "فهو مجموعُ الظُّروف العامة التي يتنزل فيها الخطابُ، ويتكون من المتكلِّم والمُستَمع ومن أنساقِها المعرفية والإرادية والتقديرية ومن علاقتهما التفاعلية المُختلفة"[2]. المقامُ يُراعي طرفين فاعلين في العملية التواصلية، ولا ينهضُ إلاَّ بهما المتكلِّمُ والمستمعُ، كما يهدف إلى إيصالِ رسالة ذات معنى قصدي للطَرَف الثاني فيتأَثَر بذلك الكلام المُقنِع في وسطٍ أقل ما يُقال عنهُ مُطابق لمُقتضى الحال، ويشتملُ الكلام على أدوات بلاغية تُثير التَّفاعل (التشبيه، المجاز، الاِستعارة، الكناية، التقديم والتَّأخير) وبالتالي فإنَّ" العلاقة بين المُرسِل والمُتلقي التي حرصَتْ البلاغة على إبرازها قد وجدَت طريقها إلى نظرية الاِتصال، وبالتالي إلى التَّداولية التي عُنيَتْ بالسِّياقات المُختلفة وأطراف الموقف التَّواصلي عناية كبيرة"[3]. يظهر من التَّداوليةَ الحديثةَ التي عُنِيَت بدراسة اللُّغة وعلاقَتها بمُستعمليها ومُؤَوليها وبالعلاقة التَّواصلية بين المُتكلم والمُتلقي وما يُنتِجُهُ الكلام من معنى في رِحلته التَّفكيكية إلى المُتلقي، اِرتكزت في الأساس على بلاغةِ العرب وإرثهم البلاغي والنقدي الذي يعود للعصرِ الجَاهلي، وما تلك البلاغةُ والفصاحةُ التَّامة إلا لسانُ حالِ قبائلٍ عربيةٍ برهنَت بلاغتها وفصاحتَها وأنَّها لا تُبارى فيها، فجاء القُرآنُ الكريمُ مُتحدياً فصاحتَهم وبلاغتَهم وبرَاعة خطَابِهم لينزِلَ بلِسانهم. كما اِشتهَرَ العربُ بالبُعدِ عن الفضولِ والحشوِ الزائد وكل ما يُرزي من شأنهم ، وعمَدوا للإيجاز لتقديمِ معنى أَنضَج وبأقل كلمٍ معقولٍ. فقال الجاحظ(ت:255ه) في شأن تفَاخُرِ العربِ بفصاحتهم مُعللاً تلك الظاهرة "لأَنَّ العربَ أَشدُّ فخراً ببَيانِها، وطُولِ ألسنتِهَا، وتصريف كلامِها، وشدَّةُ اِقتدارِها، وعلى حسب ذلك كانت رَزايتُها على كلِّ من قصُر عن ذلك التَّمام، ونَقُصَ من ذلك

[1]- المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (ت نحو 290 ه)، الفاخر، تح: عبد العليم الطحاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط: 1، 1380ه ،ص:314.

[2]- أعمارة ربيحة، تداولية المقام في الدَّرس البلاغي العربي القديم ، ص:58.

[3]-إشراق كامل كعيد، سولاف مصحب مهدي، رواية يامريم لسنان أنطوان، دراسة تداولية، ص:1961.

الكمال"[1]. لقد حرصَ العربُ على لُغتهم حِرصاً شديداً، ورَاحَت كلُّ الطَّوائف تدعَمُها بما جادت عليهم قرائِحُهم، فاتصَل بها النَّحويون والبلاغيُون وأصحاب الفلسفة وعلم الكلام ، أهلُ الفقهِ والمُفسِرون، فعمَلوا على وضع نظرياتهم، والتَّفُنن في الأداء اللَّفظي والمُنَاظرات، وإقامةِ الحُججِ، وهكذا اِستندَت التداولية العربية على ما تركَهُ القُدامى من فكرٍ بلاغي سخي، واِشتمَلَت عليه كُتُبُهم.

1-4-التَّداولية عند الغرب:

إنَّ الدَّرسَ اللِّساني التَّداولي يُعدُّ من أحدث الاِتجاهات اللُّغوية التي ظهرَت وازدهَرت في السَّاحة اللسانية والنَّقدية الحديثة والمُعاصرة، ولقد جاءت في كُتب قُدامى العرَب متناثرةً، نظريات فتيَّة لم تكتمل، وذلك لمَّا تبنَّت أهم القضايا البلاغية وما نجدُهُ مُرتبطاً بالتَّداولية مُطابقة المقال لمُقتضى الحال، ومُراعاتها لحال السَّامع والأحوال التي يقع فيها الكلام، كان هذا شأن موروثنا العربي الذي لابُد من حفظ الصِّلة به، وهي صلة لا يُمكنُ الغضُ من قيمتها أو التَّهوين من شأنِها بحالٍ من الأحوال ذلك أنَّ المعرفة العلمية بطبيعتها تراكُمية لا ينهضُ اللاحقُ منها إلاَّ على أساس من السَّابق، وإنطلاقاً من هذا لابُد معاينة اللَّفظ وتتبُعِ مسارِهِ في الدِّراسات الغربية.

التَّداولية درسٌ غزيرٌ وجديدٌ فرعٌ من فُروع اللِّسانيات الحديثة، ظهرَت بعد الثَّورة على المناهج السِّياقية، فهي بحثٌ لا يمتلكُ حدوداً مُعينة واضحةُ المَعالمِ، فلا يخفى على أحدٍ اِتكاؤُها على مُعطيات فلسفية فكرية كغيرها من علوم عصرِها التي تشبَّعت بالمُعطَى الفلسفي، فَمُنطلقاتُ التَّداولية تَعودُ إلى أعمال فلاسفة اللُّغة المُنتمين إلى التُّراث الفلسفي"فقد وضعَ أوستين وتلميذه سورل نواة التداولية، في حقل فلسفة اللغة العادية (ordinaire) إذْ طوَّرا من وجهة نظر المنطق التحليلي logique analytique مفهوم العمل اللغوي وقد كان أوستينAustin(1911-1961) أستاذ الفلسفة بجامعة أوكسفورد، أما سورلSearle(المولود سنة1932) فهو يدرس بجامعة بركلي بكالفورنيا "[2]. يظهر أنَّ النواة الأولى للدرس التداولي تعود لفلاسفة أوكسفورد أوستين وسيرل، كما يرتبط مصطلح التداولية بمصدر آخر

[1]- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة جانجي، مصر، ط،4، 1975، ج:4، ص:28،27.

[2]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط:1، 2007،ص:20.

بالفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندرز بيرس **Peirce Charles Sanders** " فقد كان بيرس الواضع الأول لكلمة براجماتية، وأول من أعلن البراجماتية منهجاً فلسفياً، فجاء جيمس فأخذهُ عنهُ، وجاء من ورائهِ جون ديوى وأدلى برأيه في الحركة البراجماتية"[1]. يُعدُّ بيرس أول من صاغَ مصطلح البراجماتية، ثم تناولهُ بعدهُ ويليام جيمس وجون ديوي."شارل بيرس (1839-1914) الذي قامَ، بمقتضى كونهِ سيميائياً، أيضاً بدور أساسي في النشأة المفهومية للمقاربة التداولية. ولقد وضَّحها وليام جيمس W.James الذي استخلصَ منها سنة1906 نظريةً في الحقيقة (...)وبالتوازي مع ذلك استخلصَ جون ديويJ.Dewey نظرية أداتية من هذه الفكرة (1903)[2]. فينطلق "شارل بيرس**Peirce Charles** " من القول أنه، لكي نمسك بفكرة ما أو شيء ما، فإنه يجب أن نحدد أي آثار عملية يمكن أن تتولد عن مثل تلك الفكر ة أو عن ذلك الشيء أو الفعل الذي هو في النهاية مجموع آثاره ونتائجه. فالبراغماتية عندهُ منهج وليس فلسفة، ويرى أن حقيقة أي شيء أو فكرة إنما تتمثل في الآثار العملية المتولدة عنه هي مجموع آثاره، فالحقيقة تتمثل في النجاح، أو الأثر، الفعلي، العملي، أو المعنوي، الذي تولده فكرة ما أو معرفة ما أو شيء ما، أو يقين[3]. يبدو أنَّ الوصول إلى حقيقة أمرٍ ما أو فكرةٍ ما تتجلى من خلال ما تتركهُ من أثر وعملهِ أي من خلال النتائج، التي بلورت الفكرة المجرَّدة إلى حقيقة ملموسة في أرض الواقع.

ولقد جاء بعد شارل ساندرز بيرس الذي طرح الفكر التداولي انطلاقاً من السيميائية الفيلسوف شارل وليام موريس Charles William Morris" تستندُ الأبحاث التداولية إلى تحليل شارل موريس الذي يرجعُ لهُ الفضل في التمييز الكلاسيكي بين ثلاثة مكونات تقليدية للسيميوطيقا، أي البعد الدلالي، والبعد التركيبي، والبعد التداولي (...) وتدرس التداولية العلاقة بين العلامات ومستعمليها.."[4]. وعلى إثر ذلك يمكن القول أنَ التداولية فرع من فروع السيميائية (علم

---

[1]-محمود زيدان، وليم جيمس، دار المعارف ص:38،37، عن أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة،عالم الكتب الحديث، إربد ،ط:1، 2015، ص:5.

[2]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ص:28

[3]- ينظر حيرش سمية، الحقيقة البراغماتية بين الاعتقاد والعمل (شارل سندرس بورس نموذجا) ص:1.
https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/206/5/2/99977

[4]- إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، ت:محمد تنفو، ليلى أحمياني، تق: سعيد جبار، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط:1، 2018 ص:37.

العلامات) ولكنها تهتم بمستخدمي هذه العلامات، وفرقَ بينها وبين البعد التركيبي الذي يهتم بتركيبة الجملة نحوياً، والبعد الدلالي الذي يهتم بالمعنى.

وتعدُّ الفلسفة التحليلية المورد المعرفي المهم لظهور التداولية. ولقد صنفها محمود صلاح إلى اتجاهات فالاتجاه الأول" يمتد من جوتلوب فريجه(1848-1925) وبرتراند رسل، ولودفيج فتجنشتين المبكر حتى ويلارد فان كواين ودونالد ديفيدسون(...)يهتم في غالب الأمر بالعلاقة بين المعنى والصدق، إذ إنَّهُ يعالج العلاقة بين اللغة والأشياء التي تدور حولها كلمات المتكلم ومن ثم يبحث في شروط صدق الجمل أو محاولة تحديد هذا الصدق"[1]. يظهر أنَ اهتمام فلاسفة اللغة كان مُنصَباً حول كلمات المتكلم أي بما يُعرف بالأفعال الكلامية، ومحاولة التعرف على صدقها وشروط تحقق ذلك، والاتجاه الثاني" يمتد من جورج مور(1873-1958) وفتجنشتين المتأخر وفلاسفة مدرسة أكسفورد وأبرزهم رايل (1900-1976) وأوستين (1911-1960) وستراوسون(1919) ويسير في ركابهم بول جرايس وجون سيرل (...)نجد أنَّ هذا الاتجاه الثاني يصبُّ جلَّ اهتمامه على العلاقة بين اللغة والمتكلم، وهنا ينشأ الاهتمام بأسئلة تتعلق باستعمال اللغة وباللغة منظوراً إليها كجزء من السلوك الإنساني"[2]. لقد بحث هذا الاتجاه في العلاقة بين المتكلم واللغة، وباستعمالات اللغة ووظيفتها، ويتبين أنَّ كلا الاتجاهين يبحثان في العلاقة بين اللغة والمتكلم وما يصدر من المتكلم من كلمات واستعمالاتها. وإنَّ الاتجاه الثاني كان متأثراً بالأول كما يذكر ذلك مسعود صحراوي" وقد تأثر بالتجديد الفلسفي الذي جاء به فريجهFrege عدد من الفلاسفة، منهم هوسرلHusserl وكارنابCarnap، وفيتغنشتاينWittgenstein، وأوستينAustin، وسيرلSearle وغيرهم. وتجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلَّمة عامة مُشتركة، مفادُها أنَّ فهم الإنسان لذاته ولعالمهِ يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبر لهُ عن هذا الفهم"[3]. يظهر أنَّ دعاة الفلسفة التحليلية

[1]- صلاح إسماعيل، الاتجاهات المعاصرة في فلسفة اللغة، الفكر العربي (معهد الإنماء العربي) لبنان، المجلد:17، العدد:83، دار المنظومة2018، ص:58.

[2]- المرجع السابق، ص:58.

[3]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية للأفعالِ الكلامية في التراثِ اللساني العربي،دار الطليعة، بيروت لبنان، ط:1، 2005، ص:21.

اهتموا باللغة لأنَّها معبر للنفس وخوالجها، وتعبر عن فهم الإنسان لهذه الذات، ويُعبَر باللغة عن مخبرهِ وعن الفهم الذي توصلَ لهُ عبرها.

وهكذا فإنَّ التَّداولية تشكلت في رحاب فلسفة اللغة، قريبةٌ من المنطق والبلاغة، اهتمامها اللغة والمتكلم، وهذا لأنَّه "عندما ألقى جون أوستينJohn Austin (محاضرات وليام جايمس) عام 1955، لم يكن يفكر في تأسيس اختصاص فرعي للسانيات، فلقد كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة ونجح في ذلك"[1]. لقد نشأَ علمٌ مستقلٌ بذاته على إثر الملاحظات الفلسفية للُّغة التي خَلفَها جون أوستين، علمٌ يهتمُ بالبنية اللُّغوية وتحوُرَاتها وبالعالم الخارجي الذي تُلقَى فيه السياق، ارتكزت بالأساسِ على فلسفة اللُّغة. "إنَّ التَّداوليات التي نَشَأت في حَضنِ الفلسفة هي قبل كل شيء محاولة للإجابة عن أسئلةٍ من قبيل: ماذا نفعل حين نتكلم؟ ماذا نقولُ بالضبطِ؟ ولماذا نطلبُ من جارنا على المائدةِ ما إذا كان في استطاعتهِ أنْ يُناولنا الملحَ، مع أنَّ ذلك يبدو بإمكانهِ؟ من يتكلم إذنْ ولمن؟ ومع منْ؟ ولأجلِ ماذا؟ من تظنُني أكون حتى تُكلمني هكذا؟ ما لذي يجب معرِفَتَه لرفعِ الإبهام؟ ماهو الوعد؟ كيف يُمكننا قولُ شيء آخر غير ما كُنَّا نُريد قولَهُ؟ ماهي استعمالات اللغة؟ إلى أي حدٍ يكون الواقع الإنساني مُحدداً بكفايتهِ اللُّغوية"[2]. تحاولُ التداولية عبر هذه الاستفهامات الإجابةَ عن جوانبٍ لغوية وغير لغويةٍ عدة، وعن تكهُنات فكرية حتى، مُحللةً أفعال اللُّغة واستراتيجيتها العملية، ساعيةً لوصفِ القواعد المُوَجهةِ لهذه التعبيرات اللُّغوية وغير اللُّغوية في آن.

وإنَّ مُصطلح التَّداولية Pragmatike أتى من الكلمة اليونانية Pragma وتعني الشيء نفسه في جميع معاني الكلمة، وتعني أيضا الفعل وتُحيلُ على الكلمة اليونانية La Praxis التي تُفهم بوصفها تَحويلاً للواقع وللأنا، ومن ثم تتعلقُ التَّداولية بالأفعالِ سواء أكانت سياسية أم قانونية، وبالحياة والعالم المادي، وتتعارض إذن مع المعرفة النَّظرية والعلمية"[3]. تتعلق التَّداولية بالفعل وبطريقة إنجازهِ، وتقود لعملية قراءة البُنى النَّصية بمختلفِ تمفُصلاتها وتوجُهاتها

[1]- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، علمٌ جديد في التواصلِ، تر:سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط:1، 2003، ص:29.

[2]- Françoise Armengaud. La pragmatique. Ed. (PU.F) 2 éme ed. 1990 . page3

[3]- إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، ص:34.

الفلسفية، مُنفتحةً كذلك على عدة تخصُصات. يرتكزُ أساسُها على الجانب المادي للفعل، القولي والفعلي، كما أنَّها لم تُهمِل جانب الدَّلالة والمعاني، بل اِمتازت بالتَّشعُبِ والشُمولِ ولكنَّها تختلف مع المعارف النظرية اللامحسوسة. " التَّداولية ترجمة للمُصطلحين الانجليزيPragmatics بمعنى هذا المذهب اللُّغوي التَّواصلي الجديد، والمُصطلح الفرنسي La pragmatique يُنقص المعنى وليس ترجمة لمُصطلح Le pragmatisme الفرنسي لأنَّ هذا الأخير يعني الفلسفة النَّفعية الذَّرائعية، أما الأول فيُرادُ به العلم التواصلي الجديد الذي يُفسر كثيراً من الظواهر اللُّغوية، ويذكر الباحثُ مسعود صحراوي أنَّهُ لا يتفقُ مع الباحثين العرب الذين ترجمُوا مُصطلح Pragmatics.LaPragmatique بالذرائعية"[1].يَختلفُ مُصطلحُ Pragmatics الذي يُعنى بفلسفة اللغة ونشاطها التَّواصُلي، ضمن سياقات مُتعددة، اجتماعية نفسية وتاريخية، ويهتمُ بالبنية اللُّغوية فيدرُس كل العلاقات الموجودة بين المُتكلم والمُستَمع مُركزاً على مسائل مُتعددة في عملية الخطاب التَّواصُلي.

أمَّا مُصطلح Pragmatisme الذرائعية النَّفعية " المذهبُ الفلسفي الذي ظهرَ في الولايات المُتَّحدة الأمريكية في القرن 19 التَّاسع عشر على يد ويليام جيمس William James (1842-1910) وجون ديوي Joh Dewey (1859-1952) وهي الفلسفةُ القائمةُ على أنَّ قيمةَ الأشياءِ تُقاسُ بمدى منفعَتِها، وحُصولُ المنفعةِ فيها"[2]. إنّ مذهب الذرائعية المصطلح المقابل pragmatisme والمعرب(البراجماتية) معناه مُرتبط بأثره ونتائجه في أمر ما منجز."فإنَّ الطريقة البراجماتية هي محاولة تفسير كل فكرة بتتبع واقتفاء أثر نتائجها العملية كلا على حدة"[3] ومن هنا يجدر بنا أن نُفرِقَ بين المُصطلحين. كون التَّداولية منهجاً لغوياً يهتمُ باللغةِ في إطارِها التواصُلي، وأنَّ وظيفةَ اللُّغة ليست التعبيرُ عن خوالجِ النفسِ وإعراباً عن ما يجول بالرُّوحِ، وأداةً للتَّفكير فحسب، بل تعدَّت إلى التأثيرات الخارجية لصَوغِها وصنَّاعتها. والبراغماتية المصطلح المعرَّب عنpragmatisme " أو ما يُترجَم أيضاً بالذرائعية أو النَّفعية أو غيرهما، مذهبٌ فلسفي تجريبي عملي، تجاوزَ المذهبَ العقلاني وطوَّر الاتجاهَ التجريبي، لا تقوم على معاني عقلية ثابتة أو تصوُّرات قبلية ترتبطُ بالواقع التجريبي،

[1]- ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية للأفعالِ الكلامية في التراثِ اللساني العربي،دار الطليعة، بيروت،ط:1، 2005 ص:15

[2]-آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، علمٌ جديد في التواصلِ، تر:سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط:1 ،2003 ص:21.

[3]- ينظر وليام جيمس، البراجماتية، تر:محمد علي العريان، زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة مصر، العدد:1270، 2008 ص:64.

كما تحاولُ أن تُفسرَ الفكرةَ ليس بمُقتضياتِها العقلية أو الحِسية بل بتتبُعِ واِقتفاء أثرَ نتائجها العملية ويُقابِلُها مُصطلح Pragmatisme "[1]. إنَّ ما تضطلعُ به الذرائعية العالم المحسوس، ويُرى هذا من خلال النتائجِ العملية المترتبة عن تفسير فكرة ما.

إنَّما التداولية منهجٌ لساني، يهتم بالعلائق اللغوية ومَقاصدها بين المتكلمين وروابطها الغائية والحجاجية، سليلُ علم العلامات أو السيميائيات، وهذا ما جاء في "تعريف الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس Charles Moris الذي اِستخدَمَهُ سنة 1938 على أنَّهُ فرعُ من فروعِ علم العلامات (...) فهي جزء من السيميائية التي تعالجُ العلامة، ومُستعملي هذه العلامات"[2]. تُعاينُ التَّداولية بوصفها فرعاً من فروع السِّيميائيات العلاقة بين العلامات ومُستعمِليها، فهي تُحللُ أفعالَ اللُّغةِ ، وتصوغُ القواعدَ والضوابطَ المُعِدَّة لها، فتحللُ الظاهرةَ اللُّغوية بوصفِها علامةً في إطارِها السُّوسيولُوجي والنَّفسي ساعيةً لإيجادِ التأثير والمقاصدِ من وراءِ الخطاب التَّواصُلي بين الطَّرفين المُتخاطبين. وقد عرَفَ كل من أ.م. ديلر A.M.Diller و ف. ريكاناتي F.Récanati ، التَّداولية بأنَّها: "دراسةٌ تهتمُ باللُّغةِ في الخِطابِ، وتنظرُ في الوَسميات الخاصةِ به قَصْدَ تأكيدِ طابعهِ التَّخاطُبي"[3]. تهتمُ التداولية باللُّغةِ التَّخاطُبيةِ وبالوسميات والمَقصودُ منها العلامات القَّصدية في الخطَابِ، فهي لا تفحَصُ اللُّغةَ في الخطَابِ وحسبْ بلْ تتعدى هذا إلى فهمِ ودراسةِ السُّلوكِ العلاماتي في الخطَابِ. كما يُحَدِدُها ل. سفزL.Sfez "أنَّها الدِّراسةُ أو التَّخصصُ الذي يندرِجُ ضمنَ اللِّسانيات، ويهتمُ أكثرَ باستعمالِ اللغةَ في التَّواصُلِ"[4]. يتبين أنَّ التداولية فرعٌ من فروعِ اللسانيات تُعنَى باللُّغةِ واِستعمالِها في التَّواصُل، والاهتمامِ بمُقتضياتِها وما تُولِدهُ من مَدلولاتٍ أثناءَ الاستعمالِ وما تَترُكهُ من أثرٍ في المُتلَقي.

وبالتالي اِختلفَت تعريفاتُ التّداولية وتمايزَت نظراً لاختلافِ مُنطلقات أعلامها، فهناكَ من اِعتبَرها منهجاً سيميائياً بحتاً، وهناكَ من رآها تهتمُ بالخطابِ وبالأخصِ اللُّغةَ في العمليةِ التواصُليةِ، والتَّركيزُ على مَقاصِدِها وتأثيراتها،

[1]-عبد الحليم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النَّظرية التَّداولية، دراسات أدبية، مركز البصيرة للبحوثِ والاستشارات، الجزائر، العدد:1، ماي2008، ص:9.

[2]- حورية رزقي، آليات المنهج التَّداولي في تحليلِ النَّص الأدبي، قسم اللغة والأدب العربي، ندوة المخبر المناهج النَّقدية، جامعة بسكرة، ص:2.

[3]-فيليب بلانشيه، التَّداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دارالحوار، سورية، ط:1، 2007، ص:19

[4]- المرجع السابق، ص:19.

وهناك من عدَّها فرعاً من فروع اللسانيات تهتم باللغة في العملية التواصلية، ولم ينحصرْ عمَلُها على هذا فحسب بل اِشتملَ على أبعادٍ لسانية أُخرى، وذلك بفحصِها الجانبِ الدّلالي للُّغةِ وتأثيراتهِ والصَّوتي والتَّركيبي والإيحائي. كما اِنفتحَت على مُختلفِ التَّخصُصَاتِ الإنسانية. ويجدرُ الإشارةَ إلى تعريفٍ مَقصودٍ لمُصطلحِ التَّداولية."بكونِها العلاقاتُ بين العلامات ومُستَخدميها، والتَّعابير التي تَستقي دَّلالتَها من مُعطيات تكونُ جُزئياً خارجَ اللغةِ نفسها، أي من المقامِ الذي يجري فيه التَّواصلُ"[1]. تُحاولُ التداوليةُ إيجادَ العلاقات بين العلامات عند مُستخدميها، كما تسْعى إلى إدراكِ كلّ هذا من خلالِ المُعطَى لها، ولملمةِ الجُزئيات بعضَها ببعضٍ من خلالِ السِّياقِ الذي تجري فيه العمليةُ التواصلية، فلذلك إذا أنعمنا النظرَ والتأمُلَ نجدُ أنَّ التداوليةَ تنفتحُ لتُحقِقَ غايتَها، فاحصةً جوانبَ عدّة أثناء آداءِ الخطاب اللُّغوي، الدّلالي التركيبي والتَّواصُلي، ويظهَرُ أنَّها تهتمُ بدراسةِ اللغةِ في اِستعمالاتها، ولا يمكنُ القبضُ عليها إلا في أثناءِ حدوثِ تفاعُلٍ خطابي في محيطٍ ما.

ثانيا- التَّداولية في الخطاب النقدي العربي:

إنَّ الدَّرسَ التَّداوُلي من أحدثِ الدِّراسات اللِّسانية المُعاصِرةِ الذي تمخَّضَ عن بُحوثٍ علميةٍ في مجالِ اللُّغةِ، جاءَ بطرحٍ جديدٍ وتوجُهٍ مُغايرٍ رافضٍ للاِنغلاقِ وما أَقرَّتهُ البنيويةُ، مُتيحاً فرصةً للظُّروفِ الخارجيةِ للتَّفاعلِ الخطابي، وقد صَبَّ كلَّ اهتمامَه على البُعدِ الإنجازي للُّغةِ، ومُقتضيات السِّياقِ والمقامِ، وإنَّ الدراسات العربيةَ اِعتنت بالبحثِ اللِّساني، وكانت هناك جهودٌ حثيثة في هذا المجال، مُقدمةً إجراءات وتطبيقات مُحاولَةً تفسيرَ الظاهرة اللغوية اِستناداً على التَّداولِ. مُقارِبةً ذلك بما جاءت به البلاغةُ العربية قديماً، مُحاولين تأصيلَ المنهجِ اِنطلاقاً من التُراثِ البلاغي والنَّقدي والنَّحوي العَربي. والحديثُ عن التَّداوليةِ وعن تعريفِها لهو الحديثُ عن شبكةٍ مفاهيميةٍ كبيرةٍ، اِنطلاقاً من المُصطلحِ في أصلِهِ، إذْ اِختلفَتْ التعريفاتُ، فكانتْ عبارةً عن نظرياتٍ مُتفاوتةِ المُنطلقات، فاستعصى على البَاحثين أنْ يجِدُوا لها تعريفاً جامعاً، هذا عن قضية المُصطلحِ في منبتهِ الأصلي، أما عن المُقاربات العربيةِ للتَّداولية قد اِختلفَت،

[1]-آن روبول وجاك موشلار، التَّداولية اليوم، ص:33.

لإختلافِ الدَّارسين العربَ في سَعيِهم لإيجادِ مُقابلات نظراً لتبايُنِ التَّعريفات المُنجرَّةِ عن اِختلافِ توجُهات المُنظرين الغربيين، ولتأصيلها الفلسفي. وهذا الذي جعلَ الباحثين العربَ أمام زخمٍ من المقابلات وتعددٌ في الرُؤى.

2-1- التداولية عند طه عبد الرحمن:

إنَّ الفيلسوف **طه عبد الرحمن** يعدُّ من اللغويين الذين اهتموا باللغة وإحيائها في استعمالاتها، وذلك بالاهتمام بالجانب التداولي. "فيُعدُّ أول من وضعَ مُصطلحَ التداوليةِ من العربِ في مُقابلِ مُصطلحِ البراغماتية، هو الفيلسوف اللُّغوي طه عبد الرَّحمن1970"[1]. يعدُّ طه عبد الرحمن من الفلاسفة اللغويين العرب الذين اهتموا باللغة في تداولها وتفاعلها وانفتاحها، والسباقين لتبني المنهج التداولي في مقارباته. فيذكرُ في هذا الصَّددِ: "وقدْ وقعَ اِختيارُنا منذ 1970 على مُصطلحِ التَّداوليات مُقابلاً للمُصطلحِ العربي (براغماتيكا) لأنَّهُ يوفي المطلوبَ حقَّهُ، باعتبار دلالتهِ على معنيين، الاستعمال والتَّفاعُل معاً، ولقِيَ منذُ ذلك الحينِ قَبُولاً من لدنِ الدَّارسين الذين أخذوا يُدرِجونَهُ في أبحاثِهم"[2]. لقدْ راعى طه عبد الرَّحمن في وضعِ المُصطلحِ دلالتين الاستعمال والتفاعُل، ويبدو أنَّهُ يراهُ مشتملاً على الدِّقةِ والدلالة المُبتغاةِ، كما يشتملُ على آداءِ اللغةِ واستعمالِها، ولعلَّ هذا ما جعلَهُ أكثر دقةً وضبطاً، إذْ يدرس الُّلغةَ أثناءَ اِستعمالِها في المقامات المُختلفة، وبحسبِ أغراض المُتكلمين وأحوالِ المُخاطبين، والتَّفاعل النَّاتجِ عن التأثير الذي يُعَدُّ مُحَرِكاً للعملية التَّواصُلية، أغراضاً ومقاصد لتَّحقيقِ التَّواصلِ المَنشودِ.

لقد اهتمَ المُفكر **المغربي طه عبد الرَّحمن** بمسألة اللغة وكانت من بين أولى انشغالاته، واعتنى بالجانبِ التداولي فيها. وظهر ذلك جلياً في **كتابه اللسان والميزان أو التكوثر العقلي 1998**، الذي يتبنى التداولية ويتشارك معها في معاينة مسائل فلسفية ولغوية، فعنوان الكتاب يستقطب التداولية (التكوثر) بانفتاحه وتكاثره مع مسائل معرفية مختلفة لتحقيق المنفعة، ومنها المنطق والرياضيات،وعنايته بالخطاب وتكوثره وأهم المبادئ التداولية التواصلية،

[1]-أحمد فهد صالح شاهين، التَّداولية وأثرها في الدراسات النَّحوية المعاصرة، ص:10.

[2]-طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط:2، 2000، ص:28.

وعنايته بمسألة الحجاج وأنواع الحجج، ولقد استدلَّ بنماذج من التراث اللغوي المنطقي وأبرز اشتغال تلك المبادئ التداولية عندهم.[1]

وما يُميّزُ أعماله اشتغالَهُ على اللغة والتداول اللغوي في نشاط اللغة بمستعمليها، وطرق توظيف علاماتها، وسياقاتها وطبقات المقام المختلفة في الخطاب، واهتمامهُ بميزتين أساسيتين هما الاستعمالُ والتَّفاعلُ، مُحاولاً تأصيلَ التَّداوليةِ في التُراثِ العَرَبي وظهر ذلك في كتابه **"تجديد المنهج في تقويم التراث"**[2] الذي خاض فيه الموروث المكتوب بمختلف معارفهِ، مُدافعاً عن التراث باعتماد آليات في تقويمهِ، وأبان عن آليات إجرائية عملية في تقويمه وبمنهج جديد يتوخى تقصي جزئياته، تحمل على النظر في التراث نظرة تكاملية لا تجزيئية، وتدعو إلى إعادة النظر فيه بأسلوب المناظرات والجدال الهادئ وآداب الاعتراض، بعيداً عن التَّبعيةِ المُنتشِرة في مُجتَمَعهِ العَربي، بالعودةِ إلى التُراثِ العربي الإسلامي وإحيائهِ. ويُظهر جدة المنهج "**تجديد المنهَج في تقويمِ التُراثِ**" من العتبةِ العُنوانية للعنوانِ الرَّئيس نجدُهُ يسعى جاهداً لتأصيلِ المنهجِ وضبطِ وتقويمِ التُراثِ العرَبي الإسلامي، ناهيك عن العنوانِ الفرعي للبابِ الثالثِ "النَّظرَةُ التَّكامُلية إلى التُراثِ الإسلامي العربي"[3]. يُبرهِنُ العنوانُ ويُظهرُ تقفي الباحثُ التُراثَ وإعادةَ إحيائهِ بتسليطِ آلياتٍ منهجيةٍ حداثيةٍ عليهِ، لمْ يسبِقهُ إليها أحدٌ من المُفكرين، مُسقِطاً على الثقافةِ العربيةِ الإسلاميةِ ثقافات أخرى منقولةً وما جاءت به فلسَفتَهم، مُراعياً في ذلك المنهجَ التَّداولي وآلياته. فقد كانَ طه عبد الرَّحمن واعياً بالمنهجِ الذي يتّبِعهُ، كما كان أيضاً أكثرَ وعياً بالمناهجِ التي أُستُخدمتْ قبلَهُ. وبالتالي فإنَّ **المُفكِرَ طه عبد الرَّحمن** حاولَ الحفرَ في التُراثِ العربي لتأصيلِ المنهجِ التَّداوُلي، مُراعياً ما تقتضيهِ الحاجةُ العلمية في ذلك، ساعياً لاستثمارِهِ وقراءتِهِ بمُعِداتٍ آليةٍ حداثيةٍ. مُستحدثاً آليتين لتتلاءم والبحثَ الاشتغال والتَّقريب بغيةَ فهم التُراث وما يحمِلُهُ من فكرٍ صالحٍ لمُختلفِ الأزمنةِ وعدم النَّظرِ إليهِ بعين التَّقصير، وضرورة اعتماد الآليات الحداثية لقراءتهِ.

---

[1] - ينظر طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط:1، 1998.

[2] - ينظر طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراثِ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط:2، دت.

[3] - ينظر المرجع السابق، ص:234.

2-2- التَّداولية عند عبد الملك مرتاض:

يُرَجِحُ الناقد الجزائري **عبد الملك مُرتاض** مقابلاً آخر للمُصطَلَحِ الفرنسي Pragmatique، فهو"يشكُ في مُلاءمةِ المصدر"تداولية" للمُصطلحِ الأجنبي ويقترحُ أن يكونَ التَّداولُ دون الياءِ الصِّناعية كي لا يتمَ ترجمة مُصطلَحي Pragmatismeو Pragmatique بصيغةٍ عربيةٍ واحدةٍ، فيكونُ التَّداولُ للدلالةِ على الأولِ، أي تداول اللُغةِ، وتكون التَّداولية للدلالةِ على المفهومِ الثاني المُرتبطِ بالنَّزعةِ المذهبيةِ الفلسفيةِ القائمة على مبدإ النَّفعيةِ"[1]. المتأمِلُ لمُصطلحِ التَّداولية في أصولهِ الغربيةِ، والمُقابلات التي وُضِعت لهُ، يلحظُ الاختلافَ الكبيرَ بين الباحثين، إذْ يغلب على أكثرِهم الذاتيةُ في الوَضعِ، وعدم الاجتماعِ عليه وكثرةُ الاقتراحات، فالمقابلُ الذي اِقترَحَهُ **عبد الملك مُرتاض** "التَّداوُل" رافضاً بذلك مُصطلحَ التَّداولية لأنهما في المفهومِ العربي يحملان دلالةَ المصطلحِ عينه لمُصطَلَحي Pragmatique، Pragmatisme مُعَلِلاً ذلك في كتابهِ "**نظرية البلاغة**" .فيذكرُ "وإنَّا بكلِّ أسَفٍ لا ندري من اِصطنعَ من اللُغويين العرَبَ هذا المفهومِ –التَّداولية- لأولِ مرَّةٍ في اللغةِ العربية أثناءَ القرنِ العشرين نقلاً عن أصحابهِ المُفكرين الأمريكيين؟ ولا كيف اِهتدى السبيلَ إلى إطلاقِ هذا الاستعمال الذي يدلُّ من الوُجهةِ المُعجميةِ على التَّعاوُرِ على شيءٍ وأخذهِ بالدَّولِ بحيث يقعُ التَّداولُ عليهِ، مرةً يأخذهُ هذا من ذاك، ومرَّةً يأخذهُ ذاك من هذا"[2]. إنَّ مُقابلَ التَّداولية يجعلُ النَّاقدَ **عبد الملك مرتاض** في حال عجب وحيرةٍ من اِجتهادات اللِّسانيين العربَ، وعدم ضبطِهم الدَّقيقِ للمُصطلَحِ، أين تدخلُ النسبيةُ والمراوحةُ فيه، وكذا اللُّبسُ وعدمُ الاتضاحِ، ويدفعُ هذهِ الشكوكِ بقولهِ:" ومن عجبِ أنَّ السِّيميائيين العربَ يعكسون هذا الاستعمال بالقياسِ إلى استعمال مفهومٍ سيميائيٍ آخر، فتراهم يقولون: التناص مثلاً مقابلاً للاستعمال الغربيIntertextulité.Inter-textuality في حين كان يجب في الحقيقةِ أنْ يقولوا:" التناصية"إذن فهم يصطنِعون التَّداوليةَ في مكان التَّداول ويصطنِعون التَّناص في مكانِ التَّناصيةِ"[3]. يتضحُ مما تمَّ ذكرُهُ أنَّ الناقد **عبد الملك مرتاض** رحمهُ اللهُ لم يتفق مع اللسانيين العرب والسيميائيين حول وضع مصطلح التداولية مُقابلاً للمصطلح Pragmatique،

[1]- عبد الملك مرتاض، تداولية اللغة بين الدلالية والسِّياق، جامعة وهران، ص:65.

[2]- عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة؛ متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالاً واستقبالاً، دار القدس العربي، تعاونية الهداية1 بلقايد وهران، ط:2 ، 2010، ص:156.

[3]-عبد الملك مرتاض، تداولية اللغة بين الدلالية والسياق، ص:66.

دافعاً شكوكهُ بما جادت به قريحتهُ النقدية أنَّ هذا المصطلح غير دقيق ولا يخضع للمعايير اللغوية الصارمة باقتراحهِ أن يكونَ التَّداولُ دون الياءِ الصِّناعية كي لا يتمَ ترجمة مُصطلَحي Pragmatismeو Pragmatique بصيغةٍ عربيةٍ واحدةٍ، ولقد نبَّهَ لهذا الخلل المعرفي في تناول مصطلح التناص بدل التناصية.

يعدُّ اهتمام الناقد **عبد الملك مرتاض** بالمناهج النقدية المعاصرة كبيراً وتقويمهِ لها من وجهة نقدية عربية، واهتمامه بمسألة اللغة التي شغلتهُ نقداً وإبداعاً، وظهرَ ذلك جلياً في مقارباته النقدية، ففي كتابه "**نظرية البلاغة 2010**" مثلاً يحاول أن يبرزَ التداخلات بين نظرية البلاغة والمناهج النقدية المعاصرة، البلاغة والسيميائية، البلاغة ونظرية التلقي، البلاغة والأسلوبية، مُعتمداً في طرحهِ على الموروث العربي البلاغي والإعجاز القُرآني وأثرهما في نمائها، أما بالنسبة لعلاقة البلاغة بالتداولية حاول أن يأخذها من منحى المعنى وسطرها في عنوان (**مفهوم التداولية انطلاقاً من معنى المعنى**) فانطلق في مُعاينة المفهوم عند الغرب، ليَعرُجَ إلى المفهوم عند اللغويين العرب وإظهار رؤيتهُ النقدية انطلاقاً من الوضع المصطلحي غير الدقيق لديهم، والوقوف على آليات التداولية وتحليل الخطاب[1]. وبالتالي فإنَّ مشروع **عبد الملك مرتاض** النقدي لا يقفُ عند حدود المصطلح والمنهج بل يسعى إلى الحفر في التراث البلاغي العربي الإبداعي والنقدي والتراث الغربي وإيجاد طروحاً وبدائل إقناعية، ورؤيته للمنهج التداولي لا تخرج عن عَدِّهِ آلية قراءة مهمة للكشف عن المسكوت عنهُ في الكتابات الأدبية والتي تسمحُ بدراسةِ الظواهِرِ الخطابيةِ في إطارِها الاجتماعي والنَّفسي المُتداخل والمُترابط مُحاولةً تفسيرَها.

2-3- التَّداولية عند محمد محمد يونس:

هناك عدة مُقابلات لغوية لمصطَلَح Pragmatique ولقد اِختلفت باختلافِ مَشارِب اللُّغويين وتوَّجُهاتهم ومُنطلقاتِهم، وبالأخَصِ في ترجمتها إلى العربية، فاعتمد الباحث **محمد محمد يونس** مُصطلح علم التَّخاطُب، فيقول في هذا الصَّددِ:" أُفَضلُ ترجمةَ مُصطلح Pragmatics بعلمِ التَّخاطُبِ وليس بالتَّداولية أو النَّفعية أو الذرائعية،كما يفعلُ عددٌ من اللِّسانيين العربَ توَّهُماً منهم بأنَّPragmatics وPragmatisme شيءٌ واحدٌ، والواقعُ أنَّ المُصطلحَ الأولَ يطلَقُ على

[1] - ينظر عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة؛ متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالاً واستقبالاً.

الدراسات التي تُعنى بالمعنى في السِّياقات الفعلية للكلامِ، وهو ما يتَّفِقُ مع معناها الحَرفي وهو علم الاستعمالِ، وإذا نظرنا في تُراثِنا البلاغي والأصولي فسنلحظ أنَّ الاستعمالَ الذي يقابلُ الوضعَ عادةً يُطلَق على النَّشاطِ الذي يقوم به المتكلمُ في عملية التَّخاطُبِ، ولذا فإنَّ ترجمة Pragmatics بعلمِ التَّخاطُبِ أنسبُ في رأي- من الخيارات التي اِطَّلَعتُ عليها حتى الآن أما Pragmatisme فهي مدرسةٌ فلسفيةٌ ظهرت في إمريكا تذهبُ إلى أنَّ الفكرة النَّظرية لا تُجدي نفعاً ما لم تكنْ لها تطبيقات عملية"[1]. استحسنَ **محمد محمد يونس** مُصطلحَ علمُ التَّخاطُبِ مُقابلاً لمُصطَلحِ Pragmatique، كونهُ يدرسُ اِستعمالَات اللُغةِ بإرجاعِ أمرِهِ إلى التُراثِ العربي، فتهتمُ بعناصر الخطابِ في مناوراتها التَّواصليةِ واصلةً إياهُ بما تركَهُ السَّلَفُ من مبادئٍ لغوية بلاغية.

ويُشيرُ الباحث **محمد محمد يونس** في كتابهِ "**مدخَل في علمي الدَّلالة والتَّخاطُبِ** "**2004** لمصطلح التداولية وترجماته. فيذكُر أنَّ " ما ترجمَهُ بعضُ اللسانيين العربَ بالذرائعية حيناً وبالتَّداولية أو النَّفعية حيناً آخر، وهي تراجمٌ غير موفقةٍ ، لأنَّ هذا المُصطلحَ (وهو إغريقي الأصلَ) يُفسِرُهُ الغربيون بأنَّهُ علمُ الاستعمالِ (The science of use) الذي يتفقُ تماماً مع مباحثِ الاستعمالِ المُقابلةِ لما يُعرَف بالوضعِ عند علماءِ أصولِ الفقهِ والبلاغيين العرب القدماءِ، وعلى الرُّغمِ من أنَّ الاستعمالَ في التُراثِ العربي والإسلامي لم يُصبِحْ علماً لغوياً مُستقِلاً كما حدثَ للوضعِ، فإنَّ تسميةَ Pragmatics بعلمِ الاستعمالِ قدْ يكونُ أفضلَ من غيرِها"[2]. يعتبرُ الباحث **محمد محمد يونس** كلَّ المُقابلات العربية التي وُضِعَت للمصطلَحِ الغربي غيرُ موفقةٍ لأنَّها تبتعِدُ عن الاستعمالِ الفعلي للغةِ، وكان الأحرى أن يطلق على Pragmatics علم الاستعمال عوض التداولية، لأنَّهُ في دلالته الأصلية الغربية لا يخرج معناه عن ذلك.

ويرى الباحث **محمد محمد يونس** أنَّ العملية التَّخاطُبية مجالٌ منفتحٌ على علومٍ عدة ولا تقتصرُ على اللغةِ فقط، كما يُنَوِهُ بجهودِ القُدامى إلى هذهِ المسألةِ. "وقد سبَقَ لعلماءِ أصولِ الإسلامي أنْ أَدركوا هذهِ الحقيقةِ، وجَعَلوا منها مزيَّة رجَّحتْ كفَتَهم على كفةِ النُّحاةِ الذين قصروا اهتماماتهم على دراسةِ البُنى اللغوية، وأهملُوا الجوانبَ التخاطبيةَ،

[1]-محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط:1، 2004، ص:102.

[2]- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتَّخاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، ط:1، 2004،ص:6.

والعمليات الاستنتاجية المُلازمةَ لعمليةِ الخطابِ"[1]. لقد كانَ للأصوليين السَّبقُ لإدراكِ غايةَ التَّخاطُبِ وإستعمالاتهِ، وسعى جاهداً **محمد محمد يونس** لإبرازِ مزايا بحوث القُدامى وانشغالهم بقضية اللغة في إطارها التَّخاطُبي والتزاماتها النَّحوية، ومُطابقة الخطاب لمُقتضى الحال، والإشارةُ إلى اِنكفاء النحاة على دراسةِ البُنى اللغوية وتمايُزهم عن علماء الأصولِ الذين فهموا العلاقة التَّخاطبية، واهتموا باستحضارِ العواملِ التَّواصُلية المحيطةِ بالعمل الأدبي، ومدى فاعليتِها في اِكتمالِ الدَّلالةِ المَقصودة.

2-4- التداولية عند مسعود صحراوي:

لقد حرصَ الباحثُ الجزائري **مسعود صحراوي** في بحوثهِ على توجيهها للتُراثِ البلاغي، وبيان دوره المهم وأسراره الجمالية وعلاقته بالتَّداولية اليوم، ففي تعريف واضحٍ للتَّداولية في كتابهِ "**التداولية عند العلماءِ العربِ**" تصريحٌ من العنوانِ بسبقهم في التعامُل مع اللغةِ في إطارِها التواصلي. وإنَّ ميدانَ النَّقدِ والدراسات اللسانية اليوم لمْ يُصبِح حكراً على التيارين البنيوي والتَّوليدي وحسب، بلْ إنَّ السَّاحةَ النَّقديةَ صارتْ تعجُّ بالنظريات والمفاهيمِ اللغويةِ المتباينةِ، والتي تمخضَ عنها ميلادُ عددٍ من التيارات اللسانية، فيعرف التَّيار التَّداولي بقولهِ: "مذهبٌ لساني يدرسُ علاقةَ النَّشاطِ اللغوي بمُستعمليهِ، وطرائق وكيفيات استخدامِ العلامات اللغويةِ بنجاحٍ والسِّياقات والطبقات المقامية المختلفة التي يُنجزُ ضمنها الخطابُ، والبحث عن العواملِ التي تجعلُ من الخطابِ رسالةً تواصليةً واضحَة وناجحةً، والبحثُ في أسبابِ الفشلِ باللغات الطبيعية"[2]. يتضحُ أنَّ الباحث مسعود صحراوي حاولَ أن يعالجَ ظاهرةَ تداولية - **الأفعال الكلامية** – مقارباً ذلك في التُراثِ العربي الإسلامي، بما يُعرَف عندهم بالخبرِ والإنشاءِ، فيقول عن منهجهِ الذي تبناهُ، ونقصدُ في ذلك التداولية" منهجي في التّعاملِ مع التّداولية أنَّني أُحاولُ أن أُقنِعَ الآخرين أنَّهُ لا مانعَ نظرياً ولا منهجياً من الحديثِ عن شيءٍ اسمُهُ التَّداوليةُ عند العلماءِ العربِ ولكن بشروطٍ"[3]. لقد أولى الباحث **مسعود صحراوي** عنايتَهُ واهتمامَهُ بالتداولية ونشأتها واستعداد اللغويين العرب القدامى لتأصيل الخطابِ اللغوي وعنايتهم بأصولِ اللغة

[1]-محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص:101.

[2]-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص:5.

[3]- المرجع السابق، ص:5.

وحركيتها، مُقارِباً ذلك في التُراثِ البلاغي. إذْ بات من أولويات السَّاحة النَّقدية واللِّسانيةِ المتكلمُ والمتلقي والسِّياقُ، تاركين وراءَهم البنيوية وفكرة موتَ المؤلفِ، فيذكر" وقدْ عيبَ على البنيويين اهتمامَهم الكبير باللغةِ كبناءٍ مجرَّدٍ ومنفصلٍ عن كلِّ العناصرِ النفسية والاجتماعيةِ"[1]. أبان الباحث مسعود صحراوي عن موقفه الرافض للبنيوية، نظراً لاهتمامها باللغة بناء مستقلا، وصرفِ اهتمامها عن البنى الأخرى.

ولهذا انبَثقت التَّداولية من جدالٍ معرِفي واسعٍ، وارتكزتْ في ظهورها على الإرثِ اللساني البنيوي وعلى فلسفةِ اللغةِ إذْ لم تخرُج من العدَمِ، وحاولت سدَّ ما رفضتهُ البنيوية وألغتهُ في بحوثِها. " الحديثُ عن التداوليةِ وعن شبكَتِها المفاهيمية يَفرِضُ الإشارَةَ إلى العلاقات القائمةِ بينها وبين الحقولِ المُختلفةِ لأنَّها تشي بانتمائها إلى حقولٍ مفاهيمية تَضمُّ مُستويات مُتداخلةٍ، كالبنية اللغوية، وقواعدَ التَّخاطُبِ، والاستدلالات التداولية والعمليات الذهنية المُتحكمة في الإنتاجِ والفهمِ اللغويَيْن، وعلاقة البنية اللغويةِ بظروفِ الاستعمالِ(..) إذ تُمثل حلقةَ وصلٍ هامةٍ بين حقولٍ معرفية عديدةٍ"[2]. أعادتْ التَّداوليةُ الاعتبارَ للظروفِ الخارجيةِ ولكلِّ المقامات التي كانت قد ألغتها البنيوية وكل المناهجِ السائرة على خُطاها، فنوهَتْ بأهمية المُستويات اللغوية الأخرى في تفسير العملية التواصُلية، ولقد حاولَ **مسعود صحراوي** أن يستثمرَ هذا البحثُ في الدَّرسِ البلاغي العربي القديمِ، مُهتماً بجهودِ أسلافِنا فيقولُ:" سأقومُ في هذا الكتابِ بتحليلِ الجُهدِ التجديدي في البحثِ اللغوي العَرَبي، أعني ظاهرةَ الأفعالِ الكلاميةِ ومُحاولةَ تأصيلهِ وإثراءِ الرؤيةِ الغربية المُعاصرةِ للظاهرَةِ. وتعميقِها بمُزاوجتِها بالجُهدِ الذي بذَلَهُ أسلافُنا القُدامى"[3]. فقد كانت غايتهُ القُصوى إعادة بعث التُراث البلاغي وتسليطِ الضَّوءِ على جهودِ القُدامى وأهم المسائلِ اللسانية، وغايةٌ تعليمية مُنصفة لعلمائنا، بإظهار مردودِهم البلاغي واللساني.يذكر "إننا لنرجو -عبر فصولِ هذا الكتابِ الخمسة- أنْ نوضحَ لطُلابِ اللسانيات خصوصاً، وللقراءِ عموماً كيفيةَ اِستثمارِ مفهوم الفعل الكلامي في قراءةِ الموروثِ اللساني"[4]. وعليهِ فإنَّ الباحث مسعود صحراوي

[1]- مسعود صحراوي، تقديم: حافظ إسماعيل علوي، التَّداوليات علم استعمال اللغة بحوث، عالم الكتب الحديث، إربد، ط:2، 2014، ص:27.

[2]- المرجع السابق، ص:27.

[3]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص:8.

[4]- المرجع السابق، ص:11.

بكتابهِ وأبحاثهِ اللغوية حاولَ خلالَها إعادة قراءة للجهود العربية اللسانية وبعثِها، وِفقَ رُؤية مُعاصرةٍ ، أقل ما يُقال عنها تأصيلٌ للمنهجِ الغربي في التُراثِ العربي، والذي أومأ لهذه المسائلِ ولكن جاءت تحت مُسميات مختلفةٍ ومغايرة متناثرةً في كتب القدامى وفي حقولٍ معرفية متعددةٍ كعلم البلاغة وعلمِ النَّحو، وعلم الأصولِ. إذن ظهرَت التداولية بوصفها منهجاً سياقياً موضوعهُ التَّفاعلُ اللُّغوي في إطارِهِ السِّياقي وعلاقاتهِ بمختلفِ المقامات، والوقوفُ على الأغراضِ والمقاصدَ ومُراعاةِ الأحوالِ، فهي لا تفصلُ البنية اللغوية عن العالم الخارِجي وتعزلُها عن أسيقتِها وتُقصي الواقعَ الاستعمالي، بلْ هي شبكةُ مفاهيمة كما حددَها **مسعود صحراوي** لها صلاتُ بعلومٍ عدةٍ، تهتمُ باللغةِ وتدرُسُها بوصفِها كياناً يمَارسُ من قبل المُتكلمين، لإفادةِ المُخاطَبين ضمن إطارٍ سياقي.

وهكذا على الرُّغمِ من اِختلافِ المقابلاتِ لمُصطلحِ التداولية Pragmatics ولكن جلَّهم سعى إلى دراسةِ الاستعمالِ اللغوي. وهذا ما نبَّهَ لهُ **مسعود صحراوي** "أنَّ مُعظمَ التداوليين يُقِرون بأنَّ قضيةَ التداولية هي إيجادُ القوانين الكلية للاستعمالِ اللغوي، والتَّعرُّفُ على القدرات الإنسانية، وتصيرُ التداولية من ثم جديرةٌ بأن تُسمى علمُ الاستعمالِ اللغوي"[1]. إذن اِتفقَ الباحثون اللسانيون حولَ قضيةٍ واحدةٍ هي أنَّ التَّداولية تدرسُ اللغةَ أثناء الاستعمالِ، أو بصفةٍ أدقَ تدرسُ علاقةَ اللغةِ بمُستعمليها وبمؤوليها، فتهتمُ بالموقفِ التواصُلي وجميعُ مكوناتهِ، وكل ما من شأنهِ المساهمةَ في توليد المعنَى من قبلِ المتكلمِ وتفسيرِها وتفكيكِها من قبلِ المُتلقي لفهمِ المقاصدِ والأغراضِ، وهذا ليحققَ مرحلةً ثانيةً لإنتاجِ المعنى.

ثالثا- قراءة في كتاب تحليل الخطاب المسرحي في ضوء التداولية لعمر بلخير:

لقد اِهتمت المناهج النقدية المعاصرة بالخطابِ الأدبي فعرفَ مُقاربات مُكثفة عليه بتطبيق مُختلف النظريات، ولعلَّ أهمَها المُقاربةُ التداولية، والتي تُعنى بالخطابِ اللغوي في إطارِهِ التواصُلي، مُستمسِكةً في ذلك بالسياقات والمقامات والعوالمِ الخارجيةِ لبنيةِ الخطابِ، مُتجاوزةً اعتبار النَّصِ بنيةً منغلقةً والتي اشتهرت بها البنيوية، فتهتمُ هذه

[1]-عبد الحليم بن عيسى، مصطلح التَّداولية في الدراسات العربية المعاصرة بين التلقي والتأسيس، قراءة تحليلية نقدية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد:عشرون،2018، ص:8.

المُقاربةُ بالخطابِ وبأقطابهِ التواصلية والمقصدية المحققة من ورائهِ، كما يُركزُ على السياقِ ومقاماتهِ، فهي تسعى للإجابةِ على عدةِ طروحات منهجية من قبيل من المتكلم؟ من المتلقي؟ ما هي أفعالُ الكلامِ المنتجةُ في الخطابِ ؟ ووظائفها التداولية المقصدية؟ ما هي الإشاريات وما استراتجيتُها الخطابية؟

من بين الذين عكفوا على تناول النصوص الأدبية، وقوفاً بها على الدراسات التداولية التي أخرجت النص من عزلته وجعلتهُ نتاج تفاعل مستمر مع عوامل السياق الباحث الجزائري **عمر بلخير**، الذي تنطلق فكرة كتابه من مفهوم (تحليل الخطاب المسرحي في ضوء التداولية) دراسة نظرية وتطبيقية، الذي استثمرَ في المناهج النقدية لمعاينة الخطاب المسرحي واستيعابه، ببيان فاعلية اللغة المتعلقة بالاستعمال، من حيث الوقوف على الأغراض والمقاصد، ووجدَ ظالتهُ في التداولية لأنَّها قادرة على استيعاب الخطاب المسرحي، وتقنين العلامات الصادرة من على خشبة المسرح وجعلها قابلة للتأويل، وتنصبُ العملية النقدية التداولية عند **عمر بلخير** على الخطاب المسرحي بإقامة الإجراءات التداولية عليه ومدى استثماره للمفاهيم التداولية في رصد الخطاب المسرحي وتطبيقها عليه.

وقد تنبه الباحث إلى ضرورة التعريف ودراسة العناصر اللغوية التي تتوقف عند علاقة المتخاطبين بالسياق وحال الخطاب بإبراز مفاهيم الخطاب والتداولية تنظيراً في الباب الأول (**مفاهيم نظرية**) إذْ عاين في الفصل الأول التلفظ أحكامهُ وشروطه بتسليط الضوء على طبيعة التواصل البشري، الضمائر والزمان والمكان؛ زمن الخطاب ومكان الخطاب. واستعرض الباحث في الفصل الثاني من الباب الأول تنظيم الخطاب وقوانينه؛ فتطرقَ فيه لقوانين الخطاب المختلفة، وعاين في الفصل الثالث النمط الحجاجي بالإشارة إلى روادِهِ ولعلاقتهِ بالخطاب والنصِ، أما الفصل الرابع خصصهُ للتداولية النصية بالدراسة وهذا بالإشارة فيه إلى الاتساق والانسجام ومعاينة أهم المقاطع النصية، والفصل الخامس خصَّهُ لمدارسة نظرية الأفعال الكلامية، بالوقوف على الأفعال المباشرة وغير المباشرة باستعراضها عند العرب.[1]

[1]- ينظر عمر بلخير،تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، دار الأمل، تيزي وزو، ط:2، 2013، ص:من15 إلى 145.

ولقد أعلن الباحث **عمر بلخير** في الباب الثاني انتقاله إلى معالجة الخطاب المسرحي من وجهة التداولية فعنونَهُ **(بتطبيقات)** فعرضَ مدونته وهي خمسُ مسرحيات باللغة العربية لكتاب مختلفين، تختلف قضاياهم الفكرية، فخصص الفصل الأول منهُ لمدارسة المسرحية والخطاب المسرحي، بوصفهِ أحد أنواع التبليغ والتواصل وأداة ذات طبيعة تبادلية، بالإضافة إلى معاينتهِ للمونولوغ وللأبعاد الاجتماعية والتداولية للضمائر في الخطاب المسرحي لكونها ظواهر لغوية ذات أبعاد تداولية مهمة، وكذلك عروجهِ على الزمان والمكان في المسرح غاية فهمهما، نظراً لما يمدانه من عناصر ذات خصوصية وتلقيهما من طرف القارئ من جهة ومن طرف المتفرج من جهة أخرى. لينتقل إلى الفصل الثاني ويُعاينَ المسرح والبعد التلميحي للخطاب، وهذا بمعاينة متضمنات القول على مستوى الخطاب الموجه للقارئ أو الجمهور لأغراض لها علاقة بطبيعة المسرح وغايته، وترصدِهِ أيضاً للأساليب التي يتجلى فيها الحجاج في الخطاب المسرحي وهذا بتسليطه الضوء على خطاب الشخصيات المسرحية. وهذا لأنَّهُ من النظريات التي كانت نِتاجا لتطوّر اللّسانيات الحديثة في دراسة اللّغة، باعتبار هذه اللغة أداة تواصل وتبليغ، وقد ممارسة فكرية يعتمدها المتكلّم للتأثير على المتلقي بغية إقناعه أو تغيير معتقده أو سلوكه، الهدف منها إقناع المتلقي، وتحقيق مقاصد وأهداف تداولية[1].

ويواصل الباحث في الفصل الثالث مدارسة **(التداولية في المسرح من خلال نظرية أفعال الكلام)** من خلال مجموعة شروط تضمن نجاح المتكلم في تحقيق أفعال الكلام بمجرد التلفظ بها، ومُعاينة الأفعال الكلامية الجامعة أو الأغراض بتسليط الضوء على الأفعال ذات المستوى الدلالي الأعلى ومنها فعل الاعتذار، مُروراً إلى نقطة التفاعل الكلامي والأفعال الكلامية والنظر إلى مدى تحقيق الفعل الكلامي للتفاعل.[2] ومن أهم المراجع التي اعتمدها لتحقيق أهدافهِ التداولية كتاب طه عبد الرحمن **(اللسان والميزان أو التكوثر العقلي)** وكتاب عبد الله صولة (**الحجاج أطره ومنطلقاته)** عبد السلام المسدي بكتابه(**اللسانيات وأسسها المعرفية)** ليصلَ إلى فكرة مفادُها إبراز المنهج اللساني القادر على فهم اللغة في أثناء استعمالها انطلاقاً من مجموعة مُعطيات وعناصر أساسية في العملية التواصلية.

[1] - ينظر عمر بلخير،تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص: من 175 إلى 269.

[2] - ينظر المرجع السابق، ص: من 275 إلى 302.

بالوقوف على المتخاطبين لأنهم أداة تبليغ اللغة، بالإضافة إلى المقام الذي سمح للتداولية بالانفتاح على مختلف العلوم، واستمر حديثهُ عن الاستراتيجيات الخطابية للمتكلمين في استعمالهم للافتراضات المسبقة والأقوال المضمرة والاحتجاج كونها تتحكم في سلامة الصيغ اللغوية أثناء توظيفها في الخطاب. والتي تتحكمُ أيضاً في المضامين الخفية والتلميحية للأقوال التي يتعذر على المتكلم التصريح بها، واهتدى إلى دعوة الباحثين إلى استثمار في البلاغة العربية القديمة باعتماد المناهج النقدية المعاصرة[1].

لقد اهتمَ الباحث **عمر بلخير** بتحليل الخطاب المسرحي في مقاربته في ضوء التداولية، مُستعينا بمدونة واسعة لتحقيق غاياته البحثية، وكان اختيارُهُ للخطاب المسرحي لأنَّه من الخطابات الأكثر استجابة إلى مختلف القراءات، وطيّعاً لكلِّ المناهج، واستطاعَ من خلال مُقاربته الوقوف على أهم الإجراءات التداولية وتطبيقها على الخطاب المسرحي. وكانت مقاربته من البوادر الأولى لمعاينة النصوص الأدبية، لأنَّ أهم الدراسات النقدية اهتمت بالتداولية ونظرياتها من الجانب التنظيري من حيث النشأة والمنطلقات دونما تسليط الضوء على النصوص الإبداعية، ولهذا يعدُّ بحثهُ مهماً لوقوفهِ على تطبيق المنهج التداولي بإجراءاته على الخطاب المسرحي، ولكن رغمَ ذلك إلاَّ أنَّه يبقى الإشكال مطروحاً وذلك لأنَّ الباحث وقفَ على الخطاب المسرحي المكتوب بالمدارسة التداولية واعتماد آلياتها، في حين الخطاب المسرحي لمَّا يغدو عرضاً تتداولهُ الشخصيات على خشبة المسرح تتغير خصائصهُ وميزاتهُ وبالتالي تتغير إجراءات التداولية.

[1]- ينظر عمر بلخير،تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، صفحة الخاتمة:303.

الفصل الأول :

البُعد الحجاجي في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر

الفصل الأول: البُعد الحجاجي في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر

أولا- السَّرد والحجاج:

1-1-السرد.

1-2-الحجاج.

1-3- الحجاج في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر.

ثانيا-الشخصية الروائية وحجاجيتها:

2-1-إيتوس الشخصية الساردة.

2-2- إيتوس الشخصية البطلة.

2-3- تداولية حجة السلطة في الشخصية المعارضة.

2-4-تداولية حجة الرمز في الشخصية التاريخية.

2-5-تداولية حجة التعارض في شخصية الآخر .

2-6- تداولية حجة العاطفة في شخصية الآخر.

2-7-حجاجية العجائبي في الشخصية.

ثالثاً- التقنيات الحجاجية في الحوار:

3-1-التقنيات اللغوية.

3-2-حجاجية الفعل الكلامي.

3-3-التقنيات البلاغية.

3-4-التقنيات شبه المنطقية.

رابعاً- جمالية المكان وبعده الحجاجي:

4-1- بنية المكان.

4-2- تداولية حجة العاطفة.

4-3- تداولية القيم والمبادئ الحجاجية.

4-4- تداولية حجة العجائبي.

أولا- السَّرد والحجاج: Narration et Argumentation

مما لا شكَّ فيه أَنَّ الرواية الحديثة بشتى تشكيلاتها الفنية، وعوالمها المُتخيَّلَة وشخصياتها المتصارعة وصُوَّرها الجمالية ذات مقاصد جمالية ووظيفية حجاجية تداولية، فضلاً عن وظيفتها الأدبية؛ فاسحةً المجال لبروزِ تصورات عن المجتمعات الغابرة وسِجالاتها التاريخية، وكيف تداخلت العادات بالطقوسِ الدينية، وقد كتبَ الروائي الجزائري عزالدين جلاوجي روايتَهُ وهو يرومُ مُشاركة القُراءِ على اِختلافِ أجناسهم وهُوياتهم وانتماءاتهم قصصاً ومجموعة أحداثٍ متعالقةٍ مع الذاكرة الجماعية الجزائرية، إيماناً منهُ بتحريكِ فُضُولهم وفكرهم نحو حقبةٍ زمنية من تاريخ الجزائر،وهي بمثابة إيقاظ لكوامن المتلقي الجزائري ومُلامَسةِ جراحاته العميقة، هي حقبةٌ (قبل أحداث 8 ماي 1945 وإبانه) أقلُّ ما يقالُ عنها حقبةٌ عسيرةٌ ضبابية، ولقد استعان الروائي بآلية الحجاج لتبيان القيم الجمالية للنص الروائي قصدَ التأثير في المتلقين بدعوى الرواية والتي تتلخص قصتها في معاينة أحداث ماضية في التاريخ الجزائري المُغيَّبة، وتسليط الضوء على تظلمات المحتل في هذه الأرض آنذاك، وهو مادفعَ الروائي للكتابة التخييلية عن هذه المظالم والحرب القبلية التي شنها أذناب الاحتلال على ذويهم للفوز بوجودهم قربها وببعض امتيازاتها،وبالكتابة عن الحب في زمن الحرب وتعزيز الذات الإنسانية بطريقة إبداعية نقدية لا تخلو من إعادة فهم وتفسير الواقع،وتظهرُ حجاجية جلاوجي من العنوان الاستعاري الذي يُعطينا وعياً ضمنياً لما سيحدثُ داخل الرواية، وخارجها في العالم الواقعي، ولا تكادُ تمرُّ على حكاياتهِ حتى يُطالعك الأسلوب الحجاجي بارزاً صارخاً فيك على لسان الشخصيات، مُبرراً توجهاتها وأفكارِها.

ويرصدُ هذا الفصل أبرز ملامح الإقناع المتأتية من توظيف السرد مُستفيداً من الظرف التاريخي الذي كان ذا ارتباط عميق بالعملية السردية وظهر جلياً من خلال البنى السردية التي وظفها الكاتب، ونستشف نجاعة السرد في توظيفه للآليات السردية المؤدية لبلاغة الإقناع، وهذا عن طريق إيراده لبنية حكائية تُخبر عن أحداث تاريخية ومن صميم الذاكرة الجزائرية، هذه القصة الحجة التي تحمل على التأثير العملي في القراء، مُوجهة إياهم من خلال أفكارها لقبول المعنى الذي أطرهُ الكاتب لذلك، وما يهمنا في هذا الفصل هو مقاربة الخطاب السردي الملتحم مع الحجاج لتأدية

الوظيفة الأدبية الإقناعية، وهذا بالنظر إلى البنى السردية التي تعالقت بالحجاج، مُرتبة الحجج وفق ما تمليه الغاية الأدبية الإمتاعية للخطاب السردي. ولعلَّ هذه القيم الجمالية والتصويرية الإمتاعية والبنى السردية التي ألَمَّت بها **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي** المنتظر للنفاذ إلى حصون المتلقي والتأثير فيه؛ تُفضي بنا إلى فهم كيف تعمل التقنيات الحجاجية في علاقتها بالسرد مع بيان علاقتها مع السارد والشخصيات وحواراتها والأساليب التعبيرية اللغوية،وبالنظر إلى المكان الذي مثَّلَ مسرحاً أساسياً واستوعب مختلف القضايا والأحداث؟ وإظهار القيم والآليات التي انتهجها الروائي ليصلَ إلى مقاصدهِ التداولية؟

1-1- السَّرد: La Narration

لقد نالت الدراسات السَّردية اِهتماماً كبيراً من لدنِ النُّقادِ والدارسين والباحثين،واعتنوا بحيثياتها عنايةً فائقةً، فظلَّت بذلك منفتحةً على مُختلف المعارف والمناهجِ الحديثةِ وما تُوفِرُهُ من معطيات وآليات وأدوات، غايتُها الأسَاس تسليط الرؤية على جوانب النَّص السَّردي، والكشف عن مخبرهِ، وكذلك الحالُ كان بالنسبة للحجاج إذْ يسعى بتعالُقِهِ مع السردِ إلى تشكيلِ النُّصوصِ وتحقيقِ الإقناع والإمتاع والمقاصد التداولية، وعلى إثر ذلك ما المراد بالسرد والحجاج؟ وما مدى وقوف المدونة السردية واستجابتها للخطاب الحجاجي؟

إنَّ السَّرد يُعدُّ طريقة يلجأ إليها الكاتبُ في ترتيب أحداثهِ وتتابُعِها، ويجعلها تكتسي صيغة تفرضُ ذاتها على القارئ، وراجعٌ إلى التقنيات التي يلجأُ إليها السَّارد لبلورةِ أحداثهِ وحكاياتهِ، واستجابةً لما تقتضيه الحياة الاجتماعية والفنية يفسحُ المجال لآليات بالظهور والبزوغ دون الأخرى حتى تمكنهُ من التأثير على القراءِ وعلى رغباتهم. فمصطلح السردNarration ورد في المعجم اللغويLarousse بمعنى "القصة وعرض مفصل لسلسلة من الحوادث، والطريقة التي تُحكى بها تلك الحوادث"[1]. نستشف أن مصطلح السرد يدل على قصة مروية، والإقرار بحوادث والإخبار عنها، باعتماد طريقة مُعينة في ذلك. ويرى تزفيتان تودوروفTzvetan Todorov في كتابه الشعرية Poétique" أن السرد هو الخطاب

[1] -Le Petit Larousse Illustré2010.p679.

الملفوظ، الذي يستعين بالسارد والمسرود له في سرد الحوادث، كما يظهر أهمية الطريقة أو الصيغة التي يتبعها السارد في الحكي"[1]. لقد منح تودوروف السرد مصطلح الخطاب الملفوظ، الذي يقوم على عملية تواصلية سردية بين سارد ومسرود لهُ في قص الحوادث، كما أبانَ في حديثهِ عن مصطلح الصيغة وهي الطريقة المعتمدة من لدن السارد في إنشاء حكيهِ،وإنَّ هذه المصطلحات التي أشار إليها هي المكونات الأساسية للخطاب السردي.

ولقد التفتت الدراسات العربية لمصطلح السرد واعتنت به، ودعت للعناية بالموروث العربي وقراءته بمنظور حداثي يُساير التطورات المعرفية والفكرية الراهنة، إذْ ورد مصطلح السرد في معجم لسان العرب لابن منظور (ت: 711ه) " السَّرد تَقْدِمةُ شيء إلى شيء تأتي به مُتسقاً بعضهُ في إثر بعض مُتتابعا، سردَ الحديث ونحوَهُ يسردُهُ سردًا إذا تابعهُ، وفلانٌ يسرُدُ الحديثَ سرداً إذا كان جيِّد السِّياقِ لهُ (...) والسردُ المتتابعُ..."[2]. يُشير السرد في لسان العرب للتتابع في الأمر ونحو ذلك، والإتيان بالحديث مُتسقاً جيِّد النسج، وهذا المفهوم اللغوي لمصطلح السرد اتفقت حول مدلوله المعاجم العربية، وهذا ما ورد أيضاً في الصحاح قديماً لصاحبه الجوهري (ت:398ه)" السَّرْدُ: الخرزُ في الأديم(...) وقدقيل سردُها نسجُها (...) وفلانٌ يسردُ الحديث سرداً إذا كان جيِّد السياق لهُ، وسردتُ الصومَ أي تابعتهُ"[3]. إنَّ المعنى اللغوي للفظ السَّرد لا يخرُجُ في مدلولهِ عن إطار التتابع والتلاحقِ في الأمور، والنسجُ الجيد المُحبَكِ لسارد الحديث الجيد وقائلهِ، وإذا نظرنا إلى مصطلح السرد من منظور الباحثين في الدراسات السردية العربية والتي سعت بجهودها إلى استوعاب الدراسات السردية الغربية ومعاينة التراث السردي العربي، فنجد من هؤلاء الباحث حميد لحمداني.فيرى "أنَّ الحكي يقوم على دعامتين أساسيتين: أولاهُما أن يحتوي على قصة ما، تضمُّ أحداثاً مُعينة، وثانيتهما، أن يُعيِّنَ الطريقة التي تُحكَى بها تلك القصة، وتُسمَّى هذه الطريقة سرداً، ذلك أنَّ قصة واحدةً يُمكنُ أن تُحكى بطُرُقٍ متعددة،

[1]- تزفيطان طودوروف، الشعرية، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1987، ص:58.

[2]- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير؛ محمد أحمد حسب الله؛ هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة مصر، الجزء:24، المجلد:3، باب السين، دط، ص:1987.

[3]- أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح؛ تاجُ اللغة وصحاح العربية، تح: محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة مصر، دط، 2009، ص:532.

لهذا فإنَّ السَّرد هو الذي يُعتمدُ عليه في تمييز أنماط الحكي بشكلٍ أساسي"[1]. يظهرُ جليًا أنَّ السَّرد ينبني حول قصة يرويها الكاتبُ بطريقة مخصوصة أو أسلوب مختلف يهدفُ من ورائهِ إمتاع القارئ والوصول به إلى غاية فنية مقصودة. كما أنَّ هذهِ الطرائق تتمايزُ وتختلفُ عن بعضها البعض، وعليه يُعدُ السرد طريقة لتحديد نمطية الحكي. ويذهب تزفيتان تودوروف **Tzvetan Todorov** في تعريفه للسرد للتفريق بين المادة السردية أي المحكي والخطاب فيقول: " على المستوى الأكثر عمومية، للعمل الأدبي جانبان: فهو في الوقت ذاته مادة سردية، حكاية (l'histoire) وخطاب (le discours)... لكن العمل الأدبي هو أيضًا خطاب. ... في هذا المستوى، ليست الأحداث المروية هي المهمة، بل الطريقة التي جعلنا الراوي نعرفها بها"[2]. يُنهي هذا المفهوم إلى أذهاننا أنَّ العمل الأدبي ينهض على جانبين في تحققهِ، الحكاية والخطاب، ولا يُختزل في الأحداث المروية (الحكاية) فقط، بل يُركز هذا المفهومُ اهتمامه على الطريقة والتقنية الكتابية التي تحكي الأقاصيصَ والأحداثَ، وتُقدمُ لنا المادة السردية أي الأحداث المروية، وأنَّها ترتهنُ وتحتكمُ دوما إلى صيغة حكائية وطريقة لها عظيمُ الفضلِ في إيصالِ الصورة اللغوية المُعبرةِ عن الحدثِ، وإظهارِ القيمة الفكرية والفنية والمعرفية لموقفِ ووعي الكاتبِ، ويُستند إليها لإظهار جماليات العمل الأدبي.

ويذكر **جيرار جينيت Gérard Genette** مفهوما آخر للسَّرد مُفرقاً بينه وبين المحكي لفهم المسارات الكتابية والنقدية، وحتى لا يقع الباحث العربي في لبس آناء تعامله مع هذه المصطلحات فيذكر:"سنسمي الحكاية (Histoire) الدلالة أو المحتوى السردي أي الشخصيات والأحداث والزمن، والسرد (récit) الدال أي الملفوظ أو الخطاب أو النص السردي نفسهُ الذي ينقل تلك الأحداث، والفعل السردي (narration) الفعل المنتج للسرد وبالامتداد مجموع الوضعية الحقيقية أو التخييلية التي يتمُ فيها هذا الفعل"[3]. يتجهُ **جيرار جينيت** بطرحهِ إلى تمييز بين مُصطلحات أساس في التنظير للسرد وتعدُّ حجر الزاوية في الدراسات السردية الحديثة، إذ يُفرق بين ثلاث مُستويات في كل نص سردي،

[1]- حميد لحمداني، بنية النص السردي؛ من منظور النَّقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط:1، 1991، ص:45.

[2] - Voir Todorov, T,Les catégories du récit littéraire, *Communications*, 8, 125–151,1966, p. 126

[3] - Voir Genette, G,*Discours du récit*. In *Figures III* Paris: Éditions du Seuil,1972, p. 67

فالسرد يتعلق بعرض السارد للمحكي باعتماد طريقة ما والتي يُصاغ بها المحتوى لغوياً، أما الحكاية فهي المحتوى الذي يُنشئهُ السارد أي عالم الأحداث والشخصيات والأفضية، ويغدو بهذا السرد الوسيلة الأساسية في الخطاب التي تطالعنا عن العالم المحكي وكيف يُروى ومن يرويه؟ . والذي لا يتحققُ إلا بحضورِ عناصر تتفاعل وهي الشخصيات والفضاء والأحداث.

ويعني السَّرد أيضاً "بأنَّهُ تنظيمُ اللغةِ بإفراغِها في بناء يُمكن من خلالهِ نقل ووصف للأحداثِ، بأسلوبٍ مترابط ومُنسجم"[1]. إذن السرّدُ هو رواية قصة ولكن بتنظيمٍ وبناء يتمُ على إثرِهِ صياغةُ المادةِ، وبهذا التنظيم تختلفُ الطرائق لأنَّ السَّردَ هو من تُوكَلُ لهُ مهمةُ الفرز والإعداد بواسطة التقنيات المُتعددة التي يعمد لها السارد. ومن بين التقنيات التي يحتكم لها السَّردُ الصيغة السردية. "فمصطلح الصيغة لا تبتعد في مُجملها عن الطريقة التي يرتضيها السارد لعرض محكيهِ، فيمكنُهُ أن يقدم الحدث الواحد بصيغ مختلفة"[2]. إنَّ ما يهمُ في الخطاب السردي ليس المادة المروية من أحداث وإنَّما الكيفية التي يتم بها عرض هذا المحتوى، وتختلف الصيغ المتبناة في عرض المحكي عند السارد، وبالتالي فالصيغة هي أداة فنية مثيرة يستخدمُها السَّاردُ ليعرضَ بها مُحتواهُ وقصتهُ، وينقل أحداثهُ لمسرود له هو القارئ بهدف الوصول إلى غاية.

وبناءً على ذلك يتّضح أن السرد لا يُختزل في كونه مجرد نقلٍ للأحداث، بل يتعلّق أساسًا بكيفية تقديمها، أي بالصيغة أو الخطاب الذي تتجسّد من خلاله الحكاية كما أشار إليه **جيرار جينيت**. ويتميّز الخطاب السردي باعتباره تمثيلًا لغويًا للمحتوى الحكائي، يتم عبر فعل تلفّظي تتشكّل فيه العلاقة بين الراوي والمروي له داخل وضعية تواصلية مخصوصة. ومن هذا المنطلق فإن العملية السردية هي فعل تواصلي جمالي مركّب، لا يقتصر على عرض وقائع واقعية

[1] - محمد فكري الجزار، البلاغة والسرد؛ نحو نظرية سردية عربية، الهيئة العامة لقُصور الثقافة، القاهرة مصر، ط:1، 1011، ص:169.

[2] - ينظر مصطفى منصوري، الصيغة السردية من تنازع المفهوم إلى التباس المصطلح ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية (الجزائر)، المجلد: 9، العدد: 9، ديسمبر 2012, ص141. https://asjp.cerist.dz/en/article/137546.

أو متخيلة، بل ينفتح على بناء الحبكة، وتوزيع الأدوار، والتلاعب بصيغ السرد، مما يعمل على شدّ انتباه المتلقي وإثارة فضوله عبر توظيف تقنيات سردية متنوّعة.

1-1-1-العناصر السردية في تحليل الخطاب السردي:

إنَّ للخطاب السردي فاعلية مهمة في شتى الميادين على اختلاف توجهاتها، فهو الأداة التعبيرية الأكثر جاذبية وتأثير في متلقيها سواء في اللغة الشفوية أو المكتوبة، فهو لا يحدثُ إلا بتضافُرِ عناصر ووحدات داخِلَهُ. فالخطابُ عند **بنفنست Benveniste** " كل تلفُظٍ (énonciation) يفترضُ وجود مُتكلم ومُستمع ولدى الأولِ نية وهدفُ التأثيرِ على الثاني بطريقةٍ ما"[1]. إنَّ عملية التلفظ التي تحدثَ عنها بنفنست تستلزمُ في قيامها مُستمعاً ومُتكلماً، تكون غاية الأول التأثير في الثاني، فالعملية الخطابية تجري لإحداث تغيير وتأثير بين أقطاب العملية التواصلية. والخطاب السردي في الرواية واحدٌ من الخطابات اللغوية التي يعرضُ فيها السارد مادته ويروي وحداته في إطار علاقته بالمسرود له، إذْ لا يُمكن إقامة خطاب سردي " دون وجود سارد، ودون متلقٍ أيضاً، فالراوي والمروي لهُ يمثلان حضوراً أساسياً في النص السردي"[2]. إنَّ عملية السرد ونقل الأحداث وتتابعها، وعرض الشخصيات، يقوم بها أحيانا السارد، الذي توكلُ لهُ مهمة السَّرد، فالسارد Narrateur هو طرفٌ حساس في الخطاب السردي، يروي القصة بأحداثها وتحولاتها ويساعدهُ في هذا الشخصيات التي تتناوب على الحكي، وأحيانا يكون الساردُ شخصيةً من الشخصيات، وأحيانا يكون خارجا عن الرواية مجردَ ضميرٍ، يرومُ من وراء حكيهِ إقناعَ طرف المسرود لهُ، وإشراكَهُ بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مناصفة في الحكي.

وإنَّ تحليل الخطاب يسعى إلى معاينة شفرات الخطاب ووحداته المرسلة، وهذا بكشفِ مغاليقها وأسرارها وتفكيكها، وإدراك علاماتها. " فإنَّ تحليل القول لا يقفُ عند اكتشافِ المفهوم من خلالِ المنطوق بل يتجاوز ذلك إلى ما

[1] -Voir. E.Benveniste : Broblèmes de Linguistique générale, cité par Vetters Carl. *Temps, aspect et narration*. Faux titre 106. Amsterdam Atlanta: Rodopi, 1996, p.169,170.

[2] - عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سلسلة الدراسات (2)، دمشق 2008، ص:70.

يُطلَقُ عليه فحوى القولِ... وهو ما يُطلَقُ عليه في مصطلحات علم تحليل الخطاب اسم المسكوت عنه"[1]. إنَّ تحليل الخطاب لا يقفُ على استنطاق تلك الوحدات الخطابية، ولا على المعنى السطحي الذي يفهَمهُ عامة القُراءِ على اختلاف مستويات إدراكهم، بل يقفُ على الحديث الضمني المُغيَّب الذي يوازي النص الأصلي، وخبايا الأسطُرِ والبياض، والعناوين والفراغات المشحونة بالمقاصدِ، فكثيرة هي النصوص السردية التي تُخفي نواياها من رقابة القلم، وتتلبسُ الإيهامَ والرموز والغريب من الكلمِ تمويهاً حتى تنزاحَ عن الفهم السطحي لمدلولها،

ولقد تنوعت مفاهيمُ تحليل الخطاب وتمايزت آلياتهُ، وهذا نظراً لانفتاحهِ على مجالات عدة، وتداخُلهِ مع أنساقٍ منها اللغوية وغير اللغوية، ولما انزوى في معاينته للخطاب السردي ظهرت عناصر خطابية سردية اعتمدها الباحث في معاينته للخطابات السردية، ومن بينها: المُرسل والمُرسل إليه والرسالة الخطابية والمتجسدة في اللغة الكتابية، والاستراتيجية المُعتمدة في تقديم النص السردي، والرؤية السردية و الصيغة السردية، وهناك عناصر بنائية متمثلة في الأحداث والشخصيات، وإن تحليل الخطاب يخوض في دورها ووجودها وفاعليتها وعملها في المتن الحكائي. وتأسيساً على ما سبق ذكرهُ يمثل المحكي المادة السردية التي تتشكل منطق الأحداث وترابط الشخصيات. في المقابل السرد كخطاب يعنى بعملية العرض والتحليل الإجرائي، من خلال ثلاثة أبعاد: زمن الحكي (متى يُروى الحدث)، وجهته (منظور السارد)، وصيغته (الطريقة). فيهتم التحليل في معاينته ودراسته للخطاب السردي بإظهار الدور التواصلي بين الفاعلين في الخطاب السردي والسياق الزمني والمكاني لقيام الحكي وإدراك وجهات الحكي بالوقوف على طرائق صياغته، إذْ تجاوزَ الدلالات السطحية إلى الكشفِ عن غايات المُتكلم ومقاصدهِ الخطابية ومقاماتها.

وإنَّ تحليل الخطاب السردي تداولياً، يسعى إلى استظهار الخطابات الأدبية والسردية والكشف عن غاياتها وأغراضها؛ بتوظيف آليات المنهج التداولي وأبرزها المعيار التداولي الحجاجي. "فإنَّ البنية التداولية للقصة هي العلاقات بين كل مُستخدمي اللغة في النص، لاسيما بين الكاتب والمتكلم والسَّامع القصصين من جهة، وبين القارئ والمتكلم

[1]- هاشم ميرغني، بنية الخطاب السردي في القصة القصيرة، شركة مطابع السودان، السودان، ط:1، 2008، ص:31.

والسامع القصصين من جهة أخرى، وهذه البنية التداولية يمكن توضيحها في المخطط الآتي:الشكل: **البنية التداولية للقصة: ك (مت (نص) مس)ق**. حيث ك: كاتب، مت: متكلم، مس: مستمع، ق: قارئ. وتُشير الأقواس الداخلية إلى السياق التواصُلي الذي هو قصصي"[1]. إنَّ الدراسة التداولية تشتغل على أفعال الكلام المختلفة المتوزعة بين أطراف عدَّة المتفاعلة في السياق القصصي، فهناك الكاتب الحقيقي، والقارئ الحقيقي، والسارد الضمني والقارئ الضمني والشخصيات وغيرها من الأطراف المتفاعلة، تتواصلُ ببعضها وتنتجُ أفعالا كلامية هي (الأحداث، الحبكة..) فينظرُ هذا التحليلُ إلى الفاعلين في اللغة القصصية المتخيَّلة والمقاصد المرتجاة منها، ودائما ما يستندُ الخطابُ السردي لإطار زماني ومكاني الذي يُحددُ مسار الأفعال، وتُؤدي بطبيعة الحال وظيفة دلالية وإقناعية. "إنَّ من أجلِ تقديم عالم قصصي بوساطة اللغة يجبُ إنجاز أفعال الكلام، ويجبُ أن يُنجزها أحدٌ ما وفي سياق ما"[2]. إنَّ تحليل هذه الوحدات الخطابية والمتجسدة في الفاعلين، والأفعال الإنجازية (الأحداث والحبكة) وزمانهما ومكانهما، والاستراتيجية السردية المتمثلة في الصيغة السردية، قد تمكننا من تحديد مجموعة قراءات تؤدي وظيفة إقناعية تأثيرية ووظيفة دلالية. " وبما أنَّ الخطاب السردي فعلٌ تواصلي يتحققُ بحضورِ أطراف عملية التواصل، فإنَّهُ لا محالة متوفرٌ على سياق داخلي أو خارجي، وهذا السياق المنشأ يعدُّ حجر الزاوية في عملية التأويل، فإذا كان قولٌ ما يُحيلُ بشكلٍ مباشرٍ إلى سياقات فيزيائية قابلة للإدراك، فإنَّ النصوص الأدبية تنشئ مقاماتها التلفظية بواسطة لعبة علاقات داخلية في النص"[3]. يضيفُ هذا القول إلى جنب اهتمام التداولية بالفاعلين للخطاب وبأدوارهم التفاعلية داخل العالم القصصي، اهتمامها بالسياق، السياق الداخلي والخارجي الذي تلعبُ فيه هذه الأدوار، والذي يمكننا في أحايين كثير من تخيل واقعيتها وتمثلها ذهنيا، كما تساعد القارئ ومحلل الخطاب السردي على تأويل مقاصد الراوي، وفهمِ غاياته، وتبرير أفعاله. " إنَّ فعل الخيال القصصي لا يقعُ مطلقاً على اللغة اختياراً وتوزيعاً، كما هو الحال في الأجناس الشعرية، وإنَّما يقعُ على غايات أبعد من ثنائية الدال والمدلول هذه الثنائية التي توظفُ لصالح (الحدث) وتوزيعِ وقائعهِ وتنسيج

[1]- جون. ك آدمز، التداولية والسَّرد، تر: خالد سهر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط:1، 2009، ص:24.

[2]- جون ك آدمز، التداولية والسرد، ص 43.

[3]- محمد خطابي، لسانيات النص؛ مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط:1، 1991، ص:305.

العلاقات فيما بينها وصولاً إلى الحبكة plot أو سواها من بدائل، وتنظم أنات الزمن السردي على هيئة مقاصد النص والفلسفة الكامنة تحت هذه المقاصد وسمات الشخصيات داخلية كانت أو خارجية والفضاء السردي وما يتداعى إليه من تلفظات، خطابات، نصوص... فضلا عن المكان القصصي وطرائق وضعه وتقسيمه وتقديمه"[1].إذن الخطاب الروائي بصفتهِ خطاب سردي تصويري، فهو يتميز بوجود ثوابت سردية، متمثلة في الفاعلين لهذا الخطاب وتفاعلهم في خضمها وتداولهم للغة عبر حوارات مختلفة داخلية وخارجية، هذه الحوارات التي تحملُ أفعلاً كلامية إنجازية محملة بمقاصد روائية وفلسفية، وسياق تداولي داخلي وخارجي تحدثُ خلاله هذه التفاعلات السردية، وتنطلق الأحداث على إثر ذلك وتتشعب ليُؤثِث لها مكانًا تتنامى فيه وزماناً يؤرخ لها أفعالها ويحدد مسارها، وهذا كلهُ يجعل هذه الثوابت أساسية في التحليل التداولي، وعلى أساسها تُدرَكُ وظائف الخطاب السردي، والآليات المعتمدة لإقناع المسرود له.

1-2-الحجاج: Argumentation

يعدُّ الحجاج من أهم المفاتيح إجرائية التي أنتجتها الدراسات اللغوية الحديثة في الحقل اللساني التداولي، وآلية من الآليات الخطابية الإقناعية، التي تكمن أهميتها فيما يتأكد من إقناع لدن المتلقي عن طريق اللغة، وهو يهتم بدراسة الطريقة والأسلوب اللذين يتبناهما منتج الخطاب للتعبير عن آرائه وأفكارهِ وهذا قصد تغيير أفكار المتلقي وتغيير وجهة نظره أو حتى سلوكهِ، وهذا باعتماد جملة من البراهين والحجج، فهو آلية لا يمكن أن يستغني عليها أي مُخاطب وفي أي مجالٍ ليستهويَ متلقيه ويستميلهم إليه، فما هو المُرادُ بمصطلح الحجاج وما هي أهم الآليات التي قد تصادفنا فيه لإقناع المتلقي؟

إنَّ مصطلح الحجاج من المصطلحات اللغوية المهمة في الحقل التداولي، والتي نجد لها وجود في مختلف المجالات الحياتية، والتي تُفتَعل لتحقيق غايات إقناعية، ويُراد به:"حجة أدلة لصالح أو ضد اقتراح ما، أو دعم بيان بحججٍ جديدة لمعارضة حجج والخاصة بالخصم بالتحديد، أوهي استنتاج واستخلاص حجة من العقل واستخدامها

[1]- محمد فكري الجزار، البلاغة والسرد، ص: 58.

كدليل ومصطلح Argumentation والتي يُقصد بها مجموعة الحجج الصارمة التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة"[1]. إنَّ المقصود من وراء القول أنَّ المتكلم إنَّما يجعل قولاً ما حجةً ويعمد إليه في رأيه، وهذالغاية إما لتفنيد رأيٍ أو دحضهِ أو رفض اقتراحٍ أو تأكيده ومسايرته، وهو على نحو آخر عمل عقلي يرصفُ الحجج رصفاً عقلانيا صارماً يبغي من ورائها تحقيق هدف بعينهِ.وبعبارة أخرى يغدو الحجاج عملا عقليا يقتضي الوصول إلى نتيجة موحدة، فلا يخاطب المحتج إلا بالعقل الذي يروم حججا صارمة مؤداها نتيجة واحدة،ولقد تداولتهُ المعاجم العربية مُعربةً عن مفهومهِ الذي يُضارعُ الجدل والبرهان والبينة، ومنها لسان العرب لابن منظور (ت711)فيتصلُ لفظ الحجاج بالجذرِ اللغوي (ح ج ج) " والمُرادُ بالحجِ: القصدُ، يقالُ حاججتهُ أُحاجُهُ حجاجاً ومَحاجةً حتى حَجَجتُهُ أي غلبتهُ بالحججِ التي أدليتُ بها، والمحجةُ: الطريق، والحجةُ البرهانُ، وقال الأزهري: الحجةُ الوجهُ الذي يكونُ به الظفرُ عند الخصومة. وهو رجلٌ محجاجٌ أي جَدِلٌ، والتحاجُ: التخاصم"[2]. لقد دلت مادة (ح ج ج) في لسان العرب على البرهان وما يُرادفهُ الدليل وما يختصُ بالدفاع به قصد غلب المحاجج ودحضهِ، كما دلت على **التخاصم** أي يكون الحجاج لحظة الخصومة. وما يُحقِقُهُ المحاجج من ظفر وهي وجه الحجة، فتُستقدمُ الحجة على وجهِ الخصوص للغلبة، كما أثار ابن منظور أن الإنسان المتصفُ بالحجاج هو جدلٌ يبغي من وراءِ حججه إقامة جدالٍ وهو مجادل، ودائما الاحتكام إلى دورة تواصلية ناشئة بين قطبي الحجاج **المُحاجج والمحَاجج** تكون زمنياً لحظة الخصومة، فيستجلبُ المحاججُ حججاً لدرء المُغالب له، إذن الحجاج في المعاجم اللغوية على اختلاف ألسنتها يُرادُ به الدليل والبرهان الذي يُستقدم لتحقيق غاية إقناعية، إلا أن المعاجم العربية شددت على حضوره لحظة الخصومة لتحقيق الغلبة والانتصار، أما المعاجم الغربية اعتبرته عملية عقلية تسعى لتحقيق نتائج مُعينة.

وإنَّ الحجاجَ في مفهومهِ اللغوي يعني البرهانَ والجدال والمخاصمة؛ ودحضَ المحاجج وغلبته في مواطن الجدال، في حين مفهومه الاصطلاحي ليس ببعيد عن هذه المعاني الثلاثة من حيث إنَّها تخدمُ العملية الحجاجية التي تتطلعُ إلى

[1]-Rey, A. *Le Robert Micro*. Canada: Montreal Canada,P :67.

[2]- جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د:ط، د:ت، ص:228.

الإقناع وهو غاية الحجاج، فيُفيدُ الحجاج بمعناه الاصطلاحي "الحجاجُ هو طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدفُ التأثير في السَّامعِ، فيكون بذلك الخطابُ ناجحاً فعالاً، وهذا معيار أول لتحقيقِ السِّمة الحجاجية، غيرَ أنَّهُ ليسَ معياراً كافياً إذْ يجبُ ألا تُهمَلَ طبيعةُ السَّامعِ (أو المتقبل)المُستَهدَف، فنجاحُ الخطابِ يكمنُ في مدى مُناسبَتهِ للسَّامعِ، ومن قدرة التقنيات الحجاجية المُستخدمة على إقناعهِ فضلاً على اِستثمار الناحية النَّفسية في المتقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه"[1]. يظهر أنَّ الدلالة المصطلحية لمصطلح الحجاج تدلُّ على أنَّهُ مجموعة حجج وبراهين يستقيها المحاجج في كلامه لتحقيق أهداف وغايات، كما أنَّهُ فعل تداولي يرتضي في عمله وجود قُطبين في الخطاب المُحاجج والمُحاجَج يتوسل كلُّ طرف إقامة الحجة على الآخر بإقناعه بالقبول أو الرفض أو التخلي عن سلوك ما، وإنَّهُ يتعين على المُحاجج مُراعاة طبيعة المُستقبل وحالته النفسية والظروف المُحيطة به لتحقيق الإقناع والتأثير.

1-2-1-الحجاج وتقنيات التأثير:

إنَّ البعدَ الحجاجي من الأبعاد اللسانية والنقدية الفاعلة التي ساهمت في معاينة النصوص والكشفِ عن خصائصها، وذلك بما تمتلكهُ من أدوات تمكن الباحث من توظيفها واستخدامها في الوجه الأمثل، وذلك بغية الكشف عن العناصر الفاعلة في الخطاب. " فالحجاجُ مثل السَّردِ هو كلٌ يُساهم في بنائهِ شكلُ الانتظام الحجاجي، إنَّ الحجاجَ هو حاصلٌ نصي عن توليف بين مكونات مختلفة تتعلقُ بمقامٍ ذي هدفٍ إقناعي، فهذا النَّصُ كلُّهُ أو بعضهُ سيكونُ بالإمكانِ ظهورهُ في شكل حواري (حجاج حواري) مكتوب أو شفوي (حجاج أحادي الحوار) وفي هذا الإطار ستُسَخَرُ تعابير بلاغية... وإنَّ الحجاج باعتبارهِ شكلاً من أشكالِ انتظامِ الخطاب يكون الآلة التي تُمكِن من إنتاج أنواع من الحججِ في مظاهر مختلفة"[2]. إذن الحجاجُ هو حاصلٌ لتشاكُلِ عدد من التقنيات التفاعلية الخطابية التي يسعى المتكلم

[1]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج؛ مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق سوريا، ط:1، 2008، ص:21.

[2]- باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، تر: أحمد الودرني، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، ط:1، 2009، ص:16،17.

من ورائها استمالة المستمع والتأثير فيه وإقناعه بما طرحهُ. فيرصد المتكلم تقنيات لغوية وبلاغية ومنطقية وفي سياقات مختلفة وداخل الحوارات الثنائية والجماعية مع المستمعين.

وتقوم العملية الحجاجية بين طرفين أو أكثر مُرَسِخةً الجانبَ التداولي في منحاهُ الإقناعي التأثيري " فالحجاجُ جنسٌ خاصٌ من الخطابِ يُبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرضُ فيها المتكلمُ دعواهُ مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابُطاً منطقياً، قاصداً إلى إقناع الآخر بصدقِ دعواه والتأثير في موقفهِ أو سلوكهِ تجاه تلك القضية"[1]. إنَّ الحجاج هو آلية خطابية تقوم على فكرة ما يختلف حولها المُتخاطبون، وتتطلب سلسلة من التبريرات والحجج لتأكيد الفكرة أو دحضها هذا لإحداث الفارق في ذهن المتلقي أو في سلوكهِ لتغيير رأيهِ أو موقفه وسلوكه اتجاه الفكرة المطروحة. " فالحجاجُ هو تقديمُ الحججِ والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثلُ في إنجازِ تسلسلات استنتاجية داخل الخطابِ، وبعبارة أخرى يتمثلُ في إنجاز متواليات من الأقوالِ بعضُها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضُها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[2]. إذن يعرضُ المُحاجج في العملية الحجاجية مجموعة من الأفعال الإنجازية، والتي هي خاضعة لترتيب منطقي عقلاني، غايتها إقناعُ المُخاطَب أو مجموعة من المخاطبينبلزمِ أمرٍ أو تركهِ، وإنَّ هذه الأقوال التي يرصِفُها المُخاطَب هي حجج منطقية يعمد لها ونتائج تُعبر عن قضية من القضايا داخل العلاقة الحجاجية، ويجدر بنا هنا العروج على العناصر الأساسية المُشكلة للعلاقة الحجاجية. " لأنَّ أي علاقة حجاجية تتكون على الأقل من ثلاثة عناصر: قول الانطلاق (مُعطى، مُقدمة منطقية) وقول الوصول (خلاصة، حاصل) وقول أو أقوال العبور والذي يُمَكن من اجتياز قول إلى آخر (اقتضاء، دليل، حجة) "[3]. إنَّ هذه العلاقة الحجاجية العقلية مُهمَة في أي خطابٍ تدرَّعَ بالحجاجِ مقصِداً، ذلك لأنَّها تلتزمُ بإطارٍ منطقي هدفهُ التأثير، وتُعدُّ آلية يلجأ لها الخطيبُ لتحقيقِ غايتهِ، ومسلَّمة ينبغي أن تدرجَ في خطابهِ حتى تضمن له القبول أو الرفض، كما " تعدُّ المهارات الأسلوبية من أهم هذه

[1]- ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو الجزائر، ط:2، د:ت، ص:136.

[2]- حمو النقاري، التحاجج؛ طبيعتهُ ومجالاته ووظائفهُ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط المغرب، ط:1، 2006، ص:57.

[3]- باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ص:21.

العوامل لأنَّها تبرزُ الحجاج وتقويه، لذا فهي تُعدُّ ظواهر أدبية إبداعية وبلاغية خطابية في آن، لكن هذه المهارات الأسلوبية من جهة أخرى ...لا تستطيع أن تؤثرَ وتُقنِعَ من دون مضمون، أي من نسقية المعاني والأفكار ومن دون العلاقة الحججية باعتبارها علاقة عقلية"[1]. مادام الحجاجُ آلية إقناعية دورُها يكمنُ في التأثير على المتلقين إما يقبولِ رأيٍ وتجسيدهِ، أو دفعهِ إلى إبدال قناعتهِ وتغيير قرارهِ وموقفهِ، فإنَّهُ يتوسل دوما الأنجع في علاقتهِ الخطابية ويستدل بمهارات أسلوبية البلاغية من تمثيل ومشابهة واستعاره، وأدبية إبداعية بخلقِ عوالم فكرية تنبعُ من واقع المبدع أو محيطه أو تجسُ نبضَ الإنسانية، فتبثُّ في القارئ روحاً وتجعلهُ مقتنعاً هذا بالإضافة إلى الكلمة المُعبره المنتقاة والحجة البالغة والمنطق الصائب، لتجدَ طريقها في ذهن القارئ، وإنَّ هذا لا يتأتى إلا بمدارسة الحجج ومعاينة تسلسلها المنطقي وتدرجها. أو ما يُطلق عليه بالسلالم الحجاجية.

ودائماً ما يسلكُ المُرسِلُ أو الخطيبُ في علاقتهِ الحجاجية مسلكاً يجني منه فعالية حجاجية، تتطلبُ هذه الفعالية تقنيات تساهمُ في بلورة رأيهِ. " وإنَّ الفعالية الخطابية لا تظهرُ وتتجسمُ لغوياً إلا بمهارات أسلوبية وتأثيرات بلاغية، فهذه العوامل تخضعُ للشروط الإبداعية والابتكارية لمتطلبات جمالية وألبسة يتلبسُها الحجاج وعلاقاته الداخلية، وتتفاوت قيمة هذه العوامل من نص حجاجي إلى آخر"[2].يُظهرُ القول حقيقة قيام فعالية خطابية حجاجية، التي تستندُ وتكتسي بقيمٍ بلاغية، تتعلقُ بمهارات الخطيب المحاجج، بما يسمى العوامل والروابط الحجاجية، وتختلفُ من نص لآخر انطلاقاً من كفاءة المتلقي ودرايتهِ والمقام الذي هو فيه، وإنَّ الحجج في أي خطابٍ تخضعُ لقانون في ترتيبها، أو ما يسمى بنظرية السلالم الحجاجية. " فالحجاجُ ظاهرة لسانية نصية لا يُمكنُ تفسيرها دون إبراز مراتب المتكلمين وأدوارهم في أفعال الكلام، وبالإضافة إلى ذلك هناك الوقوف عند العناصر والروابط الحجاجية باعتبارها أدوات لسانية، ثم تشريح السلالم الحجاجية داخل المنطوقات والأقوال... ويسعى هذا التحليلُ إلى صوغِ قواعد ومعايير

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة؛ بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط:1، 2008، ص:195.
[2]- المرجع السابق، ص:195.

قراءة النص الحجاجي لسانيا بمساعدة علوم أخرى"[1]. وهكذا فتحليل أي نصٍ حجاجياً يخضعُ لمجموعةٍ من المبادئ والخصائص والعوامل الحجاجية التي تبرزُ قواعد بناء النص وجماليته الأسلوبية التعبيرية ومنها:

1-2-1-1-السلالمُ الحجاجية: Les échelles Argumentatives

يُعدُّ السلم الحجاجي من متطلبات الدراسات الحجاجية تترتب على أساسه الحجج وتنبني، فلا توضع الحجج اعتباطا بل لابد من نظام تحتكم إليه حتى تؤدي غايتها المنشودة. " السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي:

"ب" "ج" "د" حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن" النتيجة، فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معينة، فإنَّ هذه الحجج تنتمي إذاك إلى نفس السلم الحجاجي"[2]. يفضي مفهوم السلم في الغالب إلى الصعود والارتقاء، والتدرج في وضع الحجج وترتيبها وهذا بهدف الوصول إلى نتيجة معين، ولكن هذا التدرج والترتيب يخضع لقوانين يذكرها طه عبد الرحمن "أما قواعدُ السلم الحجاجي فتنبني على مفهوم السلم الحجاجي وقوانينه، وتعريف السلم أنَّهُ مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوَّدة بعلاقة ترتيبية ومستوفية للشرطين التاليين:

[1]-محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة؛ بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص:192.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء المغرب، ط:1، 2006، ص:20،21.

- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزمُ عنهُ ما يقعُ تحتهُ، بحيث تُلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

- كل قول في السلم كان دليلا على مدلول معيَّن، كان ما يعلوهُ مرتبة دليلاً أقوى"[1].يرى طه عبد الرحمن أنَّ ترتيب الحجج يقع على تدرج في سلم ترتيبي، وكل حجة تستلزم حجة أخرى، إذ بينهما رابط دلالي فلا تكون الحجج الموضوعة عشوائية، وتقع من أقوى حجة إلى أقلها قوة يربط بينها خيط رفيع دلالي. ويضيف إلى هذه القواعد قوانين فيذكر:"

1. قانون الخفض: مقتضى هذا القانون أنهُ إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإنَّ نقيضه يصدقُ في المراتب التي تقعُ تحتها.
2. قانون القلب: مُقتضى هذا القانون أنَّهُ إذا كان القول دليلا على مدلول معيَّن، فإنَّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.
3. قانون تبديل السلم: ومُقتضى هذا القانون أنَّهُ إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول مُعين، فإنَّهُ نقيض الثاني أقوى من النقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول"[2]. إذن يُؤطر العلاقة الحجاجية قوانين وهي التي تُصنف الحجج بالتدرج في السلم، وهكذا تترتب حججاً عديدة متفاوتة الدرجة في وقعها وحجاجيتهاترتيباً وفق قوتها الإنجازية الحجاجية، وكلَّما كانت الحجة في القول من السلم الحجاجي أعلى كانت أقوى، وبالتالي كانت أقرب منها إلى النتيجة، وكانت أقوى في نفس المتلقي.

1-2-1-2-التقنيات الحجاجية:Les Techniques Argumentatives

إنَّ تقنيات الحجاج تقنيات خطابية، هي في الحقيقة مُستمدة من بيئة التراكيب اللغوية التي يتمُ توظيفها، من خلال ألفاظ وتراكيب تجعل الآخر يتبنى وجهة نظر فاعل الحجاج ويخدُمُها، " ويقسم (بيرلمان وتيتيكاه) تقنيات الحجاج

[1]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط المغرب، ط:2، 2000، ص:105.
[2]- المرجع السابق، ص:106.

اللغوية إلى فئتين، هما تقنيات طرق الوصل، وتقنيات طرق الفصل، ويُقصد بالأولى ما يتمُ به فهم الخطط التي تقَرِب بين العناصر المُتباعدة في الأصل، لتمنَحَ فرصةَ توحيدها من أجل تنظيمها وكذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلباً أو إيجاباً(...) وتقنيات الفصل هي التي تكون غايتُها توزيع العناصر التي تعدُّ كُلاً واحداً أو على الأقل مجموعة متَّحدَة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلِها أو تفكيكها"[1].تنقسم التقنيات الخطابية الحجاجية إلى نوعين حسب المعنى الذي تقتضيه داخل السياق، وخلالهما تتوزع الحجج وتنتظمُ اللغة، وكلُّ تقنية تتميز عن الأخربفي الدور المنوط بها داخل الخطاب، وإنَّ كل نوع منهما تنضوي تحته حججا فهناك"الحجج القائمة على الوصل والحجج القائمة على الفصلِ، فالأولى تمكن من نقل القبول الحاصل حول المُقدمات إلى النتائج، والثانية تسعى إلى الفصلِ بين عناصر ربطت اللغة أو إحدى التقاليد المعترف بها بينها"[2]. فالحججُ القائمة على الوصل تحاول أن تربطَ بين الأحداث من مقدماتها إلى نتائجها وتفسر العلاقة، وهي تجمعُ تراكيب لغوية وبلاغية مُوَجهة إلى المخاطب للنظر إلى الأشياءِ بطريقة معينة، والحجج القائمة على الفصلِ تحاول الفصل بين عناصر البنية الواحدة وتفكيكها. ولقد حاولنا حصر الحجج المنضوية تحت تقنتي الفصل والوصل في جدول تخطيطي جامع لها، والمقتبسة من كتاب نظرية الحجاج للحسين بنو هاشم[3] والتي سنستندُ على بعضها في عملية التحليل انطلاقا من **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**:

حجج الوصل			**حجج الفصل**
الحجج شبه المنطقية	**الحجج القائمة على بنية الواقع**	**الحجج المؤسسة لبنية الواقع**	
التناقض والتعارض	**علاقة التعاقب والتتابع**	**علاقة التعايش**	فصل المصطلحات
		الشاهد	

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط:1، 2004، ص:477.

[2]- الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط:1، 2014، ص:57.

[3]- ينظر المرجع السابق، ص:58

المطابقة والتعريف والتحليل وتحصيل الحاصل	الحجة النفعية	/	المثال	الفصل
قاعدة العدل والتبادلية			التناسب والاستعارة	
حجة التعدية والتضمين والتقسيم	حجة التجاوز		القدوة والقدوة المصادة	
المقارنة	حجة الاتجاه		النمو	

جدول توضيحي لأهم حجج الوصل والفصل.

تتباين التقنيات الحجاجية وتتمايز من ناحية مؤداها الدلالي داخل النص، كما يوجد منها الظاهر والمضمرداخل العلاقة الحجاجية وهذا كلُّهُ قصدَ دفع القارئ إلى بذلِ وُسعِهِ في كشف قصدية الكاتب، ويمكنُ حصرُ وتقسيم تقنيات الحجاج والتمثيل لها في هذا القول:

1. " الأدوات اللغوية الصرفة مثل: ألفاظ التعليل بما فيها الوصل السببي، والتركيب الشرطي، وكذلك الأفعال اللغوية والحجاج بالتبادُلِ والوصف وتحصيل الحاصل.
2. الآليات البلاغية: مثل تقسيم الكل إلى أجزائهِ، والاستعارة، البديع، التمثيل.
3. الآليات شبه المنطقية ويُجسدُها السُلَّم الحجاجي بأدواتهِ وآلياتهِ اللغوية ويندرجُ ضمنهُ كثير منها، مثل الروابط الحجاجية (لكن، حتى، فضلاً عن، ليس كذا، فحسب، أدوات التوكيد) ودرجات التوكيد

والإحصاءات وبعض الآليات منها الصيغ الصرفية مثل التعدية بأفعل التفضيل والقياس وصيغ المبالغة"[1].

إنَّ هذه التقنيات الحجاجية هي ضرورة جمالية فاعلية لابدَّ منها في أي نصٍ أدبي، سواء كان شعرياً أو سرديا، فهي تُعزِزُ رأي المخاطب، وتزيدُ من تأكيد رأيهِ، واحتمالية قبولِ طرحهِ. وإنَّها تتنوع وتتعددُ ويميزها الخطاب الموظفة فيه. وإنَّ آلية الحجاج تسعى للكشفِ عن هذه الجزئيات وتحديد دورها في الخطاب، بحيث كل بناءٍ نصي يتبنى تقنية تخدمهُ توافقُ وتلائمُ غايتهُ، وتبرزُ براعة الكاتب وكفاءته، والنص الروائي هو الآخر يلجأ لاعتمادِ هذه التقنيات، بل يعَدُّ حقلاً خِصباً لها، فلا نكادُ نمرُّ على عنصر سردي إلا ألفيناها تتماشجُ معهُ، ورواية حوبة من الروايات التي تنبهت للجانب اللغوي البلاغي، فلا يفتأ الروائي في كل محطة من محطاتها إلا أن يبرزَ براعتَهُ اللغوية والبلاغية وتلاعبهِ بالكلم، فالرواية تزخرُ بهذه التقنيات الجمالية الحجاجية، وهذا ما سنحاول القبض عليه خلالها وعرضهُ وإبرازَهُ خلال المباحث التالية.

1-3-الحجاج في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر:

إنَ المقاربةَ التداولية للخطاب السردي لا تنظرُ إليهِ من حيثُ حبكته أو تكوينه الجمالي المُستقل بذاتهِ، ولا إلى شطحات السارد في تبني القضايا الكونية، وإمتاع القراء بسبك الحكايات بل تسعى للبحثِ في عمقِ الخطاب السردي واشتغال التقنيات الحجاجية فيه، ومدى تحكُم الروائي بهذه التقنيات، وقدرته على استوعابها وتوظيفها، فيخرجُ من صميم النصوص السردية الحجج، وتتبادلها الشخصيات المتفاعلة داخلهُ، وتكون بعض الحكايات والشخصيات الروائية استشهادات وتمثيلات ظاهرة أو ضمنية يُرادُ بها التأثير في وعي القارئ وجذبهِ، بل وحتى اللغة التي تغترفُ لها من الأساليب اللغوية والقواعد النحوية ما يُشبِعُ فهمها، وتترك المتلقي يغيبُ في التفريق بين الخيال والواقع.

والحجاجُ يُعدُّ بعداً من أبعادِ الخطاب التداولي، وآلية من الآليات التي يعمدُ لها صاحبُ الخطابِ لإيصالِ رأيهِ وإقناع المخاطبين، وإنَّ كل حجاجٍ يستمدُّ استراتيجيتهُ ووظائفَهُ من الحقلِ الخطابي التواصُلي الذي يُوضَعُ فيه

[1]-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص:477.

الخطيب، فينهل من معينهِ، ويعمدُ الخطابُ السردي في بناء هيكله السردي الحجاجي بتشكيل هذا البناء عن طريق خلق الحوافز وسرد حكايات أخرى لتُكملَ الحكاية الأم، وهنا يحدث انتشار الأزمنة وتفاعل الشخصيات وحركية الأحداث، فتظهر براعة الروائي في اختيار الصيغ السردية والتلاعب بهذه التقنيات، كما يقتضي هذا توظيف جملة من التقنيات اللغوية والبلاغية الحجاجية لبلوغ الغاية الأسمى والتأثير المطلق. والتقنيات الحجاجية إحدى الوسائل التي يستعين بها الروائي في بنائه السردي، فنراها في بنائه لهذا الفن وفي شبكة العلاقات المنسوجة بين الشخصيات وفي لغتها وفي صراعها وفي حبكتها وتوظيفها للأمكنة.

ويظهر الحجاج في الخطاب الروائي "**حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**" في القصة الكاملة ككل، وهذا لأنَّ " الاستعارة الإطار هي القصة بأكملها من أولها إلى آخرها، وذلك بالاعتبار الذي جعلَ أحدَ النقاد المُحدثين يعتبرُ الرواية استعارة موسعة، وهذا المُستوى الاستعاري يتكشفُ من خلال التحليل العام في جميع المستويات، كلَّما كان الحديثُ عن الرؤية العامة والوظائف الرمزية للنص"[1]. إنَّ الخطاب السردي الروائي ككل استعارة، تفرضُ نفسها على القارئ فرضاً مُغرياً. وهذا نظرا لاعتماد الكاتب عنصر التخييلمن جهة، والكتابة الأدبية الإبداعية بمختلف جمالياتها وآلياتها من جهة أخرى، فارتكاز المبدع على الجانب التخييلي لينزاح به عن الواقع واستعارته لعوالم غير ممكنة تجعلهُ يخوض في الحجاج، فيرى أبو بكر العزاوي مُفرقاً بين الاستعارة البديعية والاستعارة الحجاجية أنَّ "الاستعارة الحجاجية تدخل ضمن الوسائل البلاغية التي يستغلها المتكلم المحاج بقصد توجيه خطابه، وتحقيق أهدافه الحجاجية، وهي من الأنواع الأكثر انتشاراً؛ لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية، ويتواجد هذا النوع من الاستعارة في اللغة اليومية، وفي الكتابات الأدبية والسياسية والصحفية والعلمية، أما الاستعارة البديعية أوغير الحجاجية فتكون مقصودة لذاتها، ولا ترتبط بالمتكلمين ومقاصدهم وأهدافهم الحجاجية، يعتمدها الأدباء

[1]- حمو النقاري، التحاجج، ص:15.

لإظهار تمكنهم في اللغة"[1]. إذن إنَّ الخطاب الروائي يستغل كثيراً الاستعارة الحجاجية لأنها شديدة الارتباط بمقاصد المتكلمين والتي توجه الخطاب السردي الوجهة التي يبتغيها الروائي، ولأنها تتماهى مع مختلف التعابير والصور السردية في الرواية.

فيُعلنُ الحجاجُ وجودهُ في **رواية "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر"** على مستوى عناصر السرد المختلفة وتقنياته والبُنى الحكائية، كما يظهرُ في النّص الموازي للنص الأصلي ونقصدُ بذلك العنوان، الذي أعلن من بدايتهِ حجتهُ الاستعارية. ووضعنا وجهاً لوجهٍ مع الحجاجِ ومع المسكوت عنهُ، وهذا في استعارته لرحلة البحث عن المهدي المنتظر، كما استعار الروائي في خضم الحكي شخصية شهرزاد الساردة من حكاية ألف ليلة وليلة، وتماهى بذلك مع التراث وحكاياه، وهنا حجةٌ أخرى عميقة مضمرة تجعل القارئ يستحضر التراث السردي لحكايات شهرزاد ويغوص في عظمة شخصيتها ودلالتها في التراث العربي، فتضعنا شهرزاد الساردة والتي هي حوبة أمام الحكاية الأم المماثلة لحكايات شهرزاد، وهي حكاية لنموذج إنساني كابدَ عناء الحرب، وصراعات بين الأنا الجزائرية والآخر الجزائري، وبين الأنا الجزائرية والآخر المُغتصب الذي أرادَ النيلَ منها، فكانت بداية هذه الرواية مقدمة للحجاج حين تُدخلنا حوبة في متاهة قصتها، قصة أجدادها الذين سكنوا الأرضَ وعمروا وحاربوا لافتكاكِ الحرية، فهي رحلة زمنية إلى سنوات الاحتلال وهذا لتعميق خبرة القارئ بالحياة الإنسانية آنذاك، وإثارة وعيهِ لمقاصدها. وفي هذا الحال لايجوز البتة الفصلُ بين السردِ والتجربة الإنسانية والتاريخية التي عاشها الإنسان الجزائري وابتساله للدفاع عن أرضه. وليست عتبة العنوان وحدها من البنى التي أثارت تعاقُدَها مع الحجاج، فهنالك بنى سردية مختلفة في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** تلاقحت مع الحجاج وضمنتهُ. ومن بينها الشخصيات والحوار والمكان وأثارت ذلك، فكيفَ تمثلت هذه البنيات السردية الحجاج وكيف تمظهر خلالها وهل استطاع الروائي أن يصلَ بها إلى غايتهِ المنشودة؟

[1]- ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص:109،108.

ثانيا: الشخصية الروائية وحجاجيتها:

بما أنَّ الخطابَ السردي فعلٌ تواصلي يتحققُ بحضورِ أطراف عدَّة تنجزُ العملية التواصُلية، فلا محالة أنَّهُ يُنجَزُ في إطار سياقٍ محدد داخلي وخارجي، وإنَّ هذه الأطرافَ تُعدُّ محورَ الرواية الرئيس، ويدورُ حولها المضمون، وتتفاعلُ بفضلها الأحداثُ وتتعالقُ، يقترِحُها الروائي لتُجسِدَ لنا رؤيتهُ وفِكرَهُ، فيمنحُها الحياة ويُشكِلُها تشكيلاً فنياً يُعبرُ من خلالها عن ما يسودُ في مجتمعهِ وحولهِ، ولكلِّ رواية شخصيات مُعينة تُبرِزُ طبيعتها وتصرُفاتها، وتُحددُ أهدافها في الواقعِ، ونحن في هذه الرواية سنشتغل على هذه الفرضيات الآتية : الدور الحجاجي لكلِّ شخصيةٍ وما مثلت في المتن الحكائيي؟ وذكر أهم الحجج التي اتكأت عليها الرواية لتبليغ مقاصدها بواسطة هذه الشخصيات؟ وهذا كلُّهُ انطلاقاً من طبيعتها وتصرفاتها، وطريقة تعامُلها مع القضايا المتواجدة حولها وكيفية معالجتها.

تُعدُّ الشخصية مُكوناً فاعلاً في العملية التواصُلية المنشِئة للخطاب السردي. والفاعلة بين مختلف عناصرهِ "فالشخصية علامة صامتة تضطلعُ بدورِها باعتبارِها علامة، فهي وسيط يربطُ الكلمات بالأشياءْ، ويُعيدُ الخطابَ إلى خارجهِ، إلى العالمِ المحسوسِ والاجتماعي الذي نعيشُ فيه"[1]. إنَّ هذه العلامة اللغوية تحيا وتنبعثُ بربطها بالعناصر الأخرى وبربطها بسياقها، وإنَّها حتما تُحيلُ إلى العالم الخارجي الذي استقاها منهُ المبدع، أو من مخياله الذي تراكمت فيه مختلف الطبائع والشخصيات، لأنَّهُ منشأ تركيبها. " فالشخصية كمدلولٍ هي مجموع ما يقالُ عنها بواسطة جمل متفرقة في النص بواسطة تصريحاتها، وأقوالها، وسلوكها وهكذا فإنَّ صورتها لا تكتملُ إلا عندما يكون النص الحكائي قد بلغَ نهايتهُ، ولم يعدْ هناك شيءٌ يقال في الموضوع"[2].إذن الشخصية لاتتحددُ وترتسمُ في أول الأمر، بل تنتهي في ذهن القارئ بعد جمعهِ لمختلف الأقوال والصيغ والسلوكات والأفعال التي تكون قد صدرت منها أو من مثيلاتها في الخطاب الروائي، وتتحقق من خلال القول والفعل الذي يصدرُ منها أو يُقالُ عنها، وبالتالي إنَّ الشخصية الحكائية لا تتحددُ

[1]- إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب،تر: ليلى احمياني، محمد تنفو، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط:1، 2018، ص:104.
[2]- حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص51.

هويتها وكينونتها السردية إلا من خلال فاعليتها في الحكي أو الدور المنوط بها، فتتحددُ وتتوضحُ معالمها وملامحُها على إثر الأفعال المنجزة داخل الحكي. وقد استأنست **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** بالشخصيات المختلفة، وكانت مسرحاً لها ولأقوالها وأفعالها، وتعددت نظراً لتعدُدِ الحكايات، ونظراً لاستلهامها التاريخ أيضا فعادت منه واستعارت شخصياته، واتخذت أبعاداً وأنواعاً مختلفة، فمنها الرئيسة المحورية التي انبنى حولها الحكي وتحكمت في السرد وأحداثهِ، ومنها الثانوية التي أثثت لفضاء الحكي وساندت السرد لبلوغِ غاياته ومنها الغائبة التي أثارت جانب الذاكرة.

2-1- إيتوس الشخصية الساردة:

لا شكَ في أنَّ الشخصية الروائية تُنتَج من خلال عملية ذهنية تركيبية، يضطلعُ بجمعِ أجزائها وتركيبها القارئ، وهذا انطلاقاً من مجموعة من المعطيات عنها، التي قد ذكرها الروائي في عمله الفني، وقد تكون هذه المعلومات ظاهرة وقد تكون ضمنية، والشخصية الساردة في حوبة كانت تظهر من خلال ضمير تسيّرُ السرد، وأحيانا في مقاطع يُترك لها المجال في التواصل والتفاعل مع السارد الثاني أو الكاتب لحكاياها، ولكن غلب الضمير في الرواية في عرض شخصياتها وأحداثها، فالشخصية الساردة هي شخصية إشارية كما اعتبرها فيليب هامون Ph. Hamon "فهي دليل على حضور المؤلف أو القارئ أو من ينوب عنهما في النص...فالكاتب قد يكون حاضراً بشكل قبلي بنفس الدرجة وراء "هو وأنا" أو وراء شخصية أقل تميُزاً أو وراء شخصية مميزة بشكل كبير "[1]. فشخصية حوبة الساردة التي ظهرت في المتن الحكائي غالبَهُ متسترةً بضمير،لم تكن شخصية حولها الحكي والقصة ولكنها هي من قامت بفعل الحكي، والتي تمتلكُ زمامَهُ. ويتجلى الحجاج بواسطة الإيتوس في شخص حوبة التي وظفها الروائي عزالدين جلاوجي وظهرت في افتتاح كل بوحٍ في الرواية. ذلك أنَّ الإيتوس Ethos"يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب والتي يُقدمها عن نفسه، إذْ يظهر في كل

[1]- فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية،تر:سعيد بنكراد، دار الحوار، اللاذقية سوريا، ط:1، 2013، ص:36.

الأفعال كفئاً وشريفاً؛ ويتكيَّف مع المقامات، فيكون شديداً أو مُرحباً، عنيفاً أو مُتفهماً، رحيماً أو قاسياً"[1]. إذن الإيتوس الحجاجي هو تلك الصفات التي تُميز المتكلم وتجعلهُ مقبولاً لدى مُتلقيه. فالفاعلُ هنا (حوبة) اتخذت موقفاً في الإيتوس الحجاجي وهو امتلاك ذاكرة شخصيات ووطن تسردها، مُؤدية في ذلك وظيفة إقناعية بما تسردهُ من أخبارٍ عن أجدادها وعن ذاكرتها المكلومة. راسمةً صورة في ذهن مُتلقيها من خلال الصفات التي برزت في الحكي عنها. ومن ذلك ما ذكرهُ شريكها في الحكي: "**حوبه حين تحكي تكون كالعين النضاحة، تنبجسُ الحكاية من كل جوارحها وجوانبها، فهي تُشبه عيون مياهنا، وحقول قمحنا، وطيور الكروان الحالمة في ليالي صيفنا، عيناها الكحلاوان الواسعتان تتوسد شواطئها النوارس الحالمة، وتُقهقه على رملها الناعم أمواج حوريات البحر...**"[2]. يحثنا السارد الكاتب من خلال تصويره لحوبه هذه الصورة الحسنة وتوصيفها وتشبيهها بلاغياً بعناصر الطبيعة على القراءة والانغماس في الحكاية، وإثارة خيال المتلقي للتأويل والتصور وإثارة عواطفه واستهدافها بهذا من خلال هذه التفاصيل والجزئيات الممزوجة بالطبيعة. كما ينتقل الإيتوس الحجاجي في حوبة لا لتصوير الساردة بل يتعدى ذلك لتصوير جرائم فرنسا. فتقول: "**إنَّ عويل الأبرياء العزل ليتردد صداهُ إلى اليوم، وإني لأسمعهُ كأنَّهُ يَحدثُ اللحظة، ما أكثر جرائم فرنسا في هذا الوطن الغالي**"[3]. تُقدم حوبة صورة عن أحداث 8 ماي 1945 صورة تُسهم في التأثير على المتلقي وعواطفه وتزيد من حماسته للخطاب السردي التاريخي وتفاعلهِ معهُ، وتضمن توجيه المتلقي إلى ما ترغب بكسر هواجسه النقدية واستمالته إليها.

ولقد استمر الايتوس الحجاجي لحوبة يستحضر التاريخ ويرسم معالمه ببعثه من خلال أسلوب القصة العام. لأنَّ" كل مُخاطِب لابدَّ أن يتركَ بصماته على أسلوب خطابِهِ لأنَّهُ يحملُ رؤية خاصة ويتخذُ لنفسهِ موقفاً خاصاً (...) فالراوي على وجهِ الخصوصِ يتميزُ خطابهُ أنه لا يُعبر عن ذاتهِ وأفكارهِ فقط كما تفعل معظم الشخصيات الأخرى في

[1]--محمد طروس، النظرية الحجاجية؛ من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب، ط:1، 2005، ص:18.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، دار الروائع للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:1، 2011، ص:11.

[3]- المرجع السابق، ص:556.

القصة، بل إنَّهُ ينقل أيضاً أحاديث الشخصيات القصصية وأفكارها"[1]. فحوبة الساردة من خلال الرواية تحاول إثبات رؤيتها ووجهة نظرها وتجسَد ذلك من خلال أسلوب حكيها وحتى من خلال أفكارها التي تبثها من حين لآخر إلى شخصية أخرى مستمعة كاتبة للحكاية. تقول:" **هي ذي القرية، لقد تغير فيها كل شيء، تسعون سنة كافية لتغيير كل شيء...هذا هو الجبل، صخورهُ مازالت تُخزن أنغام العربي الموستاش حين كان يعزفُ عليها فيزرعُ فيها الانتشاء"**[2] تحاول حوبة بهذا الإيتوس الحجاجي الذي يقدم صور للمتلقي عن الشخصيات والبيئة التي يعيش فيها والارتباط الذي بينهما مُتخطيا الزمن؛ إلى إقناع المتلقي بإيتوس السارد العارف بالحكاية وبمصائر الشخصيات، وبصور أخرى تُظهِرُ رؤيتها لتحريك شغف المتلقي والإيحاء إليه بما تقدم لتكسب ثقته واقتناعهُ وتؤثر في عواطفه وتستدرجهُ إليها، تاركةً بصمة فيه أقل ما يقال عنها أنها تستنهضُ الهمم وترغبُ باعتراف لهم وبنضالهم.

ولقد حضرت الحجج وتميزت في "**رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**" انطلاقاً من الشخصيات التي كانت هي في حدِّ ذاتها حججاً، ومنها حجة الشاهد. فالشاهدُ هنا L'éxemple "يُؤتى به لتقوية درجة التصديق بقاعدة ما معلومة وذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول "[3]. يستعين المُحاجج بهذه الحجة لإثبات أمر وترسيخه في ذهن المتلقي وهذا بالعدول إلى حالات خاصة تُحقق التصديق، وقد استعان الروائي بالشاهد التُراثي العربي الراوية شهرزاد، التي كانت أيقونة عربية وعالمية عبر العصور التراثُبية، ولم يتوان في التصريحِ بهذه الحجة فيقول السارد:" **حوبة هي شهرزادي التي ظلَّت مدى السنوات الطوال تزرعُ نفسي القاحلة بحكاياتها الجميلة، فتُحيل صحرائي إلى جنتين من أحلام وآمال، وإن تكن هي شهرزادي. فأنا لستُ شهريارها..."**[4]. لقد ارتحلَ بنا الروائي بهذا الاستشهاد إلى حكايات ألف ليلة وليلة ووضعية الساردة شهرزاد، وكأنَّ ما سنكون بصددهِ هو حكاية من حكاياها، فهذا العدول منه إلى هذا الشاهد لإيهامنا بأنها ليلة من ليالها؛ الليلة الأولى بعد الألف، ويستحضر في أذهان المتلقين تلك الليالي الحالمة

[1]- ينظر عبد الرحيم الكردي، السرد ومناهج النقد الأدبي، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، د:ط، 2004، ص:101.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:138.

[3]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج؛ دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط:1، 2001، ص:55.

[4]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:11.

غوصاً بالذاكرة إليها، وأشبهَ حوبة بوضعها لفعل الحكي، وهذا التضمين لهذا الشاهد التراثي، ودلالة الاسم العميقة التي تحملُ روافدا من الحكي الممتع والخيال الباهر، والشخصيات المتفردة الحالمة، يثيرُ مخيلة القارئ ويحملهُ ويغريه على التهيؤ لمعايشة ليالي أخرى من الحب والحربِ والأحزان، هي ليالي الجزائر المكلومة، وكأنَّهُ يريدُ أن يقولَ أنَّها ليلة بعد الألف من ليالي شهرزاد، فتثير هذه الحجة عقلَ القارئ، وتجذب كلَّ حواسهِ ونباهتهِ لها حد الاقتناع، والوصول به إلى لذة التمتُّع بالحكي.

2-2- إيتوس الشخصية البطلة:

تروي حوبة في هذه الرِّحلة حكاية شخصية "**العربي الموستاش**"هذه الشخصية المفعِّلة المتخيَّلة في الحكي، والتي تتخذُ لها أبعاداً واقعية في الرواية، لأنها تتلبسُ صفات هي من صميم الواقع، والتي يدورُ حولها مضمون الحكي، بانطلاقها من عرشها أولاد سيدي علي إلى مدينة سطيف، الشخصية البطلة بالرغمِ من أنَّ البطولة في هذه الرواية كانت جماعية، فإنَّ هذا البطل لهُ ميزتهُ وكلمتهُ المتفرِّدة التي تتمايزُ عن غيرها. "فشخصية البطل تتمتعُ في الرواية بقدرٍ أو بآخر من الاستقلال المعنوي الكلمي الذاتي ويملكُ أفقاً خاصاً، وهو كلام غريب بلغة غريبة، يُمكنهُ أيضاً أن يعكسَ مقاصدَ المؤلف وبالتالي أن يكون إلى حدٍّ ما لغة المؤلف الثانية"[1]. لقد تعددت معالم البطل وميزاته من رواية لأخرى وهذا حسب المقام الذي وُضِعَ فيه وحسب مقاصد الروائي ونواياه بتفعيله هذه الشخصية، وتمثل الإيتوس الحجاجي في شخصية العربي الموستاش والذي تجلى من خلال مجموعة من الصفات التي ميزتهُ عن باقي الشخصيات التاريخية والمتخيلة، وتتمثلُ الصفة حجةً أرادَ بها الروائي أن تتماهى مع هذه الشخصية لتزيدَ من عمقها وواقعيتها في ذهن القارئ، ووسيلة لإقناعِ المتلقي بها وإثارةِ إعجابهِ بمواقفها وسلوكها وبتفرُّدِها وتميُّزِها الذي لا نظير لهما. " تُعدُّ الصفة من الأدوات التي تمثل حجة للمرسل في خطابه، وذلكَ بإطلاقهِ لنعت معين في سبيل إقناع المرسل إليه"[2]. فلقد استثمرَ الروائي **عزالدين جلاوجي** كثيراً في حجة الصفة لتصويرِ بطلهِ المقاوم "**العربي الموستاش**"، هذا الإنسان الهادئ الذي لا

[1]- ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، تر: يوسف علاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق سوريا، د:ط، 1998، ص: 84،85.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص:486.

ينقطعُ تأمُلُهُ للطبيعة ومسامَرَته للناي، الذي يحملُ ثأراً دفيناً لوالدهِ المغتال. تذكر الساردة ذلك:" **هناك تعلم من الطبيعة مالم يتعلمهُ من البشر، لاشيء أحلى عندهُ من لحظات التأمل مُدثراً بوهج الصمت، ولا شيء أحلى عندهُ من إنصاتهِ للطبيعة في هدوئها وثورتها...ولا شيء أحلى عندهُ من القصبة يُدغدغُ عيونها فتفيضُ ألحانها كالماء الزلال، تتجاوب معها الجبال والفجاج...**"[1] إذن تجلى الإيتوس الحجاجي في الصفات التي صورت ملامح شخصية العربي، فرسمت شخصية هادئة عميقة عمق الطبيعة تتدثر بوهج الصمت وتغني لها. وثائرة مثلها فتذكر الساردة في ذلك أبياتا من الشعر العامي:"

يا خاوتي ليل الحقرة طالْ والظلمْ طغى وتْجبَر

هياَ نتكلوا على ربنا ولَفعالْ ونعلنْ ثورتنا في جبالنا و انْفَجرْ

نسَيقوا أرضنا بالدَّمْ بلا سؤالْ ونرجعولها عزَّهْ تْزيدْ وتكبرْ"[2]

نلحظ أنَّ الإيتوس الحجاجي في هذه الأبيات يُظهر لنا شخصية لها هيبة ثائرة، تُنَفس عن غضبها بأبيات لا تقلُّ غضباً عن صاحبها، فهي تُعلن الثورة وتحثُ لها بكلماتها، مُستغلةً طاقتها التعبيرية لتنقل لنا غضب الشخصية وثورتها ورفضها للاحتلال والظلم، والمُصَوبة للمتلقي للتأثير فيه وفي انفعالاته لإقناعه أولاً بالشخصية وبموهبتها الشعرية وصورتها الثورية، وثانياً لإثارة قضية الثورة فيه وقضية الظلم الذي أنهك الشعب الجزائري وتحريك ذاكرته.

كما يُعدُّ اللقبُ من أبرز التقنيات الحجاجية في الخطابات،فهو إيتوس حجاجي يُعطي صورة عن الذات المتكلمة ويرُادُ به التعريف بالشخصية وإعطاء شيئ منها عنهُ وعن دورهِ في الرواية." فمن أبرز التقنيات اللقبُ الذي يُقوي المظهر الثابت للشخصِ وذلك بإسنادِ صفة لا زمنية للمُسمى؛ أبو العباس السفاح، مسيلمة الكذاب.."[3].يعتمدُ المبدع لرسم شخصياته والتعريف بها حجة اللقب، فهو صفة تُطلق على الشخص لتوجيه المتلقين. ومن ذلك تذكرُ الساردة في هذا

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:40.

[2]- المرجع السابق، ص:527،528.

[3]- عبد الغاني تريكي، التقنيات الحجاجية عند بيرلمان وتيتيكاه ومقاصدها التداولية، مجلة أبوليوس، المجلد:9، العدد:1، جانفي 2022، ص:301.

الشأن:" **ومدَّ أصابعهُ يفتلُ شاربيه الكثين، وفوجئ بصوت يأتيه من جهة اليمين: أراكَ حائراً ياموستاش (...)مرحباً، اسمي العربي.**

العربي الموستاش، راقبتك طويلاً، وظهرت لي حيرتك، اطمئن أنا رابح، أنا سي رابح..."[1]. مفادُ ذلك أنَّ اختيار المُبدع للقبِ **العربي الموستاش** ليس اعتباطاً في الخطاب السردي بل هي حجة غايتُها التأثير المباشر في الجانب الذهني للمتلقي وحتى الجانب الشعوري، تستثيرُ القارئ وتحملهُ على حب الشخصية وتصديقها وقبولها، فاللقب هنا اسم منسوب للعرب يحملُ دلالات العروبة وينضح بها الاسم،علاوةً على ذلك كثافة الشاربين (الموستاش) الدالة على الفحولة العربية آنذاك واليوم وإثباتٌ للرجولة بها، فهذا الاسمُ يُعلِنُ من بدايتهِ خصوصية هذه الشخصية، وبالتالي إنَّ الكاتبَ أحدثَ قراءة في الذات الجزائرية العربية، والكاريزمات الشعبية التي تتخبط في عمقِ الرّيف والتلالِ ليرسُمَ لنا شخصية العربي الموستاش، رجلا صالحا ذا بنية قوية وعريضة، شاعرا وعازفا للناي، متعلقاً بالصالحين وكراماتهم، مُندفعاً وغيوراً على وطنهِ وأهلهِ. فكلُّها أوصاف حجاجية عمدَ لها الروائي ليُوجهنا ويُؤثِرَ فينا بالتركيز على الذاكرة الجماعية الجزائرية، فنزيدَ انغماساً معها.

ولازال الروائي يُظهر لنا الإيتوس الحجاجي لشخصية العربي ويصفه لنا باعتماد الحجج المختلفة، ومنها الحجة شبه المنطقية التماثل؛ فالتماثل حجة" تُؤسسُ على الربط بين حالتين بينهما علاقة ما (...) فيتعلقُ الأمرُ باستدلال يعمل على ربط منطقتين من الواقع، الأولى تكون موضوع اتفاق مُسبق، والثانية تُشكل بواسطة الرأي المُقتَرح للإذعانِ"[2]. إذن التماثُل يقعُ بين أمرين الأول موجود سلفاً والثاني يُوضعُ لتحقيق الإقناع، وإنْ تأملنا شخصية **العربي الموستاش** وجدناها تتماثل وبطولات الشعراء العرب، إذْ تُحيلنا خصائص شخصيتهِ إلى استذكار عنترة وفروسيتهِ وشعرهِ وحُبه العذري. فتذكر الساردة في هذا الشأن:

"يا شعبي الغالي ثورْ حرامْ تبقى مقهور

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:142،143.

[2]- محمد محمود حسين محمد، فاعلية التقنيات الحجاجية في رواية " فوق الحياة قليلاً" لسيّد وكيل، مجلة الزهراء، مصر، العدد:31، د:ت، ص: 5238.

عْداك مَصُّوا دمك و انتَ ر اقد مخمور

والعزَّه طريقها واحد الناروالبارود والدَّم افورْ"[1]

وفي الغزل يذكر:"ياناسْ خافوا ربي لا تلوموني

في حبي للرُّومية واعذروني

هذي حوررية هبطت مَ الجنَّه؟ واللا مَ الملايكه فهموني؟[2]

تُبرز هذه الأبيات الثورة النفسية التي يعيشها العربي الموستاش جراء الاحتلال والاضطهاد، واستنهاضه الهمم لفك قيد الاحتلال، وتُبرز اللوعة والحب العذري، وبالتالي هذا التنويع لدى الشخصية من شأنه أن يُصيب المآلات الحجاجية التي يُريد الروائي استثمارها في متلقيه وتعريفه بالشخصية. وأنها شخصية تحبُ الشعر ونظمهُ والتغني به، وهذه الوسيلة عمد لها الروائي ليُوهمنا بصدق الشخصية ووجودها الحقيقي في الواقع، وليؤثرَ في القارئ وفي عروبتهِ لأنهُ يعلم اهتمامه وفخرهُ بأسلافهِ، وهذه كلها مقاصد من الروائي ليجعلنا نؤمن بالشخصية وبمواقفها النضالية.

والأمرُ الثاني الذي يُظهر تماثل شخصية العربي مع شخصية أخرى وطنية،بكفاحهِ واندفاعهِ، وتبنيهِ لقضايا التحرُّرِ ورفضهِ للمهادنة والمُسايسة مع المُستعمر وسواه، مؤمناً بمقولة ما أُخِذَ بالقوة لا يُسترجعُ إلا بالقوة. ما ذُكر في هذا الحوار:"**يقول فرحات عباس: -ياجماعة، نحن بحاجة إلى توحيد الصفوف لا إلى تشتيتها. اندفع العربي الموستاش يردُّ بغضب: نعم لتوحيد الصفوف تحت راية الوطن لا تحت راية العمالة"**[3]. فهذا الشاهد يُبرز التماثل بين شخصية العربي في الرواية والشخصية الوطنية في الذاكرة الجزائرية التي رفضت الاضمحلال في فرنسا، وليس في الشجاعة ورفض التبعية لفرنسا فقط بل في فصاحتهِ وجرأتهِ وتميُّزِهِ وتفرُّدهِ، وهذا الاستقراء ظهر انطلاقاً من المميزات المنثورة في الرواية وأثناء تركيبها وجدنا أنَّ مجموع الأيتوسات الوصفية التي رسمت ونحتت شخصية العربي أعطت

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:444.

[2]- المرجع السابق، ص:250.

[3]- المرجع السابق ، ص:410.

أبعاداً أخرى ضمنية لهُ في ذهن القارئ، وأكسبتهُ قوةً ومصداقية وإقناعاً لدى المتلقي، وساهمت في تحقيق مرامي الكاتب في إمكانية التصديق والتماهي مع الحكاية، وهذا دون أن نشعر أننا أمام شخصية تاريخية.

2-3- تداولية حجة السلطة في الشخصية المعارضة:

الشخصية المعارضة هي شخصية تمثل المعارضة والمعاكسة في النص الروائي، وتقفُ بالندِّ للشخصية الرئيسة، وتُعرقِلُ خُطاها، لها سماتُها الخاصة والمتميزة أيضاً. "فالمُعارضL'opposant هو عامل يهدف إلى عرقلة جُهود الذات ومنعها من الحصول على الموضوع"[1]. يبدو أنَّ الشخصية المُعارضة تمنع من حُصول الأمر وتُعرقل الشخصيات الأخرى، وهي أيضاً شخصية فاعلة في الحكي، وفي بنية الأحداثِ وبلورتِها، فيَعظمُ شأنُها حين اشتداد السِّجال والقرعِ في الرواية. ولقد تمثلت هذه الشخصية المعارضة في شخصية "**القايد عباس**" تتميزُ بقوةٍ بدنية وسلطة مطلقة توارثها عن أجدادهِ وبمددٍ من الاحتلال الفرنسي ليخلقَ منهُ سليطاً، وبثقة كبيرة يُحاولُ من خلالها عرقلة مساعي الشخصية الرئيسة والشخصيات الأخرى.

وتظهرُ ملامحُ السلطة في الرواية متمثلةً في شخصية "**القايد عباس**" الذي نصَّبتهُ فرنسا على العروش، ليتقصى أخبارهم ويكونَ أذنَها التي تسمعُ بها وذراعها التي تبطشُ بها، وجعلت لهُ كل الصلاحيات عليهم. ولقد استغل الروائي لتحقيق هذه الغاية حجة السلطة. "فحجة السلطة Argument D'autorité " فالسلطان في معناها الحقيقي؛ والمتمثل في أنَّهُ يُشكل قوة مادية يأخذُ منها قوتَهُ ليس مُلزماً بأن يستعين بدليل، توظيفهُ أو الاستعانة به أمرٌ زائدٌ عليه، والوجه الثاني هي أنَّ من معاني السلطان هو الاستعلاء هذا الذي يجعلهُ يُقدمُ حُجتهُ دون اعتراض، يُقدمهُ في أسلوب متوازي متعاون لكي يُحققَ الأخير غايتهُ، والثالث أنَّ السلطان يكون إقناعه على الأسلوب الإكراه والإلزام أو الإجبار مُستعملاً مكانته"[2]. يعتمد المُحاجج في خطابهِ على مكانته وقوته وحتى كفاءته اللسانية لتحقيق الإقناع، وإنْ نظرنا

[1]- يُنظر حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص:36.

[2]- معاذ مراد مقري، الخطاب الحجاجي في السرد الجزائري المعاصر؛ قراءة مقطوعة من رواية مقامات الذاكرة المنسية لحبيب مونسي، مجلة التحبير، المجلد:2، العدد:3، كلية الآداب والفنون، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، سبتمبر2020، ص:61.

للرواية وجدنا شخصية "**القايد عباس**" تستغل نفوذها وقوتها في السلطة وتعزز ذلك بقاموسها اللغوي في إظهار ذلك.يقول القايد عباس مُتحدياً شخصية خليفة الذي قتل له زوجه. عن زفاف ابنته: "**سأكون حاضراً، أنا سيد العرش وإلي تعودُ الكلمة الأخيرة، وإياك أن تتصرف من دوني...**"[1]. يُظهرُ هذا الشاهد لغة القايد عباس الحادة الساخرة باستعمال أفعال كلامية تحذيرية توعدية والتي ساهمت حجة السلطة في وضع قاموسها وتشكيلها.

كما أسهمت حجة السلطة في تشكيل ملامح شخصية القايد عباس المعارضة ويذكر السارد في هذا الشأن:"**وقد استعمل القايد عباس لذلك عصابة قوية أسندَ قيادتها إلى حميدة، ويكفي القايد أن يشير بكلمة واحدة ليُنفذَ أمرَهُ، عشرات أولئك الذين قُتلوا شر قتلة وأصابعُ الاتهام تتوجهُ إليهِ في قتل بلخير، وإذا عجز القايد عباس بعصابتهِ وعرشهِ استنجد بفرنسا فداهمتهم بقواتها تحت أي ذريعة**"[2].إذن فهذه الشخصية التي رسمها الروائي تمثلُ السلطة وتفرِضها على الشخصيات الأخرى، اتخذت من سلطانها سيفاً حاداً، يلوي به رقاب أهله ويقطعُ كل من سولت لهم أنفسهم التمرَّدَ عليه، هذه الحجة التي غالبَ بها القرى والمداشر وعشيرته، وكان أسلوب الإكراه الأسلوب الماضي بين أهلهِ والقرى المجاورة، ومن هم دونه وهذا بقرارته التعسفية والجائرة، إذْ لم يسلم أحد من بطشهِ.

وإنَّ استغلال الحجة بالسلطة في تشكيل شخصية القايد عباس أعطى للرواية بعداً خاصاً ظهرَ في الصراعات مع مختلف الشخصيات الموظفة في الرواية، وظهر في حواراتها التي كان فيها الاختلاف طاغياً واللجوء للدفاع عن الآراء والمواقف في ذلك، وقد أبانَت هذه الحوارات عن سلطته وتملُّكِهِ واستبدادهِ، كما استغل الروائي حجة السلطة ليرسُم لنا شخصية مُعارضة ميَّزت قاموسَهُ اللغوي وخلقت أحداثاً وعقداً عديدة كان لهذه الشخصية السلطوية دورٌ في حدوثها، واستغلَّ الروائي هذه الشخصية كمدلولٍ إيحائي لهُ وزنهُ في التاريخ الجزائري، وعرَّف من خلالها بطريقة ضمنية الخيانة والنَّهب والاستغلال باسم العروبة والانتماء الجزائري، والتي عانى منها الثائرون والجزائر على العمومِ، فألبستهم فرنسا بضع قلائد ونياشين فبيَّتوا الولاء لها، وهذه حقيقة لا مفرَ منها مما زادَ استغراق المُحتلِّ في الجزائر. وإنَّ هذا

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:87.

[2]- المرجع السابق ، ص:32.

التوظيف لهذه الشخصية التي تقوَّت بحجة السلطان، أرادَ بها أن يزيح الضبابية عن بصيرة القارئ ويُعلن له عن ماهو مسكوت عنه وكلها مقاصد أراد تمريرها الروائي إلى ذهن القارئ ليعرِفَ عدوَ الوطنِ.

أما الشخصية المتسلطة المُعارضة الثانية هي شخصية "**الشيخ عمار**" شيخ الزاوية. التي استغلت حجة السلطة الدينية لقضاء مآربها، وهذا بوصفهِ شيخ للزاوية في الحكي. فيذكر السارد في هذا الشأن:" **أمَّا أولاد سيدي بوقبة وشيخهم فيُمثلون السلطة الدينية التي يجبُ أن يخضعَ لها الجميع، ولها وحدَها أن تفُضَ النزاعات، وأن تُعلِنَ دخول رمضان وانتهاءهُ، وتحدد أيام الأعياد، ولها كلمتها المسموعة حتى عند الحاكم الفرنسي**..."[1]. إذن شخصية **الشيخ عمار** استغلت نفوذها الديني في السيطرة على القبائل، ومنحتها حجة السلطة الدينية الخصوصية والسُؤدد؛ والاتباع من مريديها وهذا لما تُخولُهُ لها سلطة الدين من جهة وسلطة الاستعمار من جهة أخرى. ، وهذا كفيلٌ له بجعلِ مريديهِ وأتباعهِ والقبائل المجاورة لهُ تنقادُ لهُ لا تناقشهُ ولا تتنافى معهُ، لأنَّ لهُ السلطة الدينية المطلقة في التقرير، وهذه السلطة لها رهبانيتها وقداستها من طرف المريدين والأتباع ومختلف الناس آنذاك واليوم، خوفاً من لعنات أصحاب القبب، وكان دائما ما يلجأ إلى النصحِ والوعظِ والإرشادِ لأنَّ كلَّ العروشِ تخشاهُ فهو ممثل السلطة الدينية فيظهر هذا في قوله لما أراد مُساعدة **القايد عباس**في زواجه من"**حمامة**"عنوةً. "**لكحل رجلٌ فقير، سنشتري قبولهُ بأكياس من الشعير، وسأعينُكَ بسطوتي عليهم..**"[2]. ويذكر "**الشيخ عمار**" في حوار داخلي رغبته في استغلال "**سولافه الرومية**" **عباس لا يحتاجني إلا في أمرين، أنْ أكون لهُ عوناً أمام الحاكم الفرنسي ليمُدَّ سلطانهُ على الجميع، أو أن أخطُبَ لهُ فتاة مال قلبُهُ إليها، لكنْ هذه المرة سأتجرأ وأطلُب منه سولافه الرومية، لن أطلبها للزواج طبعاً، ولكن سأقنعهُ بأن يُرسلها خادمة في الزاوية، وهل هناك أسعد للمرء من أن يكون خادماً لله تعالى وقرآنهُ الكريم؟ وهناك حين تكون تحت تصرفي سأقضي منها أوطاري**"[3].جعل الروائي القاموس اللغوي لشخصية الشيخ عمار ينحو منحى المُعارضة

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:33.

[2]- المرجع السابق، ص:36.

[3]- المرجع السابق، ص:37.

للشخصيات الأخرى بالوقوف ضدها في مصالحها ومُسايرة القايد عباس في عرقلة مساعيها، ونجد هنا اللغة أثبتت حجة السلطة بهيمنتها عليها، إذْ اتخذ الشيخ عمار سلطة الدين وخدمته منفذاً سيادياً على الآخرين وظهر في الفعل الكلامي الذي يدل على ما سيحدثُ في المستقبل من الزمن (**سأعينك بسطوتي عليهم**)، كما اتخذ حجة السلطة الدينية غرضاً في استباحة الأعراض وتحقيق غاياته الخسيسة وهذا ما أبانه الفعل الكلامي الذي يدل على ما سيحدث في الزمن القادم باعتماد حروف التسويف (**سأقنعهُ بأن يُرسلها خادمة في الزاوية، وهل هناك أسعد للمرء من أن يكون خادماً لله تعالى وقرآنهُ الكريم؟ وهناك حين تكون تحت تصرفي سأقضي منها أوطاري**) وعليه إنَّ حجة السلطة ساهمت في تشكيل شخصية الشيخ عمار ورسم ملامحه التي صورها مزيجاً من الخبث والاحتيال، كما ساهمت السلطة الدينية في اختيار لغته التي لا تخلو من الاحتيال والتخطيط والابتزاز بذريعة الدين.

وقد قامت شخصية"**الشيخ عمار**" في تشكيلها أيضاً على حجة التناقض، وهذا عن طريق" خرق معيار أخلاقي يتناقض والشخصية التي يفترض فيها الاستقامة والتقوى بدل الخيانة والغدر، وهو ما يعني وجود تعارض بين ظاهر الشخصية وباطنها، بين غائية القصد وضد الغائية الكامنة في النتيجة"[1]. إذن حجة التناقض تقوم على إظهار شيء يخالفهُ ما هو موجود في باطن الشخصية، خارقة في ذلك المبادئ الأخلاقية، وإنَّ حجة التناقُض ساهمت في بناء شخصية الشيخ عمار، فيُبين ظاهرها الورع والخشوع والقيم النبيلة والفخر بالأصول، أما مخبرها يدينُ الولاية للآخر، ويُفجر بها أقبح الصفات التي لا تنتمي لشيخِ زاوية، مُستغلاً سلطتَهُ الدينية ليبطشَ بالقبائلِ ويستغِلَ أموالهم ويحتكرها، ويضطهدهم بتغليب القايد عباس عليهم. كما يخفي الفجور ويبيحُ لنفسهِ النيلَ من شخصية سلافة الرومية التي ظهرت في الحكي المرأة الجميلة زوجة أب القايد عباس وخليلتهُ الوافدة من المدينة، التي أخذها عنوةً وهذا استجابةً لنزواتهِ الدنيئة بمعية القايد عباس وابنه. "**قال: ليس في الوجود من يفرُّ مني. وجثا على ركبتيه أمامها، مدَّ يدهُ إليها، بصقت بقوة في وجهه قائلةً: -ابتعد أيُّها الفاجر، تتستر بالدين لتخدعَ الناس (...) وأنَّى لكِ معرفة الدين**

[1]- محمد مشبال، البلاغة وأنواع الخطاب، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط:1، 2017، ص:246.

أيتها الفاجرة؟"[1]. إذن لا جدال في أنَّ الروائي في تشكيله لشخصية "**الشيخ عمار**" قد احتفى بحجة التناقض فيها، لأنَّ الفعل الكلامي الذي مرَّ بنا يوضحُ التضاد الذي يقع في هذه الذات بين مخبرها الذي يخرق المبادئ الأخلاقية ويمتهن المكر والخداع والدناءة؛ وبين مظهرها الذي يلبسُ لبوسَ الدين ويتستر وراءهُ لتحقيق مآربهِ، فصورتهُ وكفاءتهُ الدينية لها أبعاد إقناعية تذعِنُ لهُ كل القامات وتخشاهُ، وتُقيمُ لهُ المقامات والمأدبات، وتتقربُ إليهِ بالقرابين، مقتنعةً بمقامهِ ودعواه، وبالتالي هناكَ رسالةٌ مشفرة من المُبدع عن البدع والخرافات التي انتشرت آنذاك وتحلقت حول الزاوية باسم الدين للقضاءِ على الدين وتعاليمهِ، وأنَّها من هاجمت الوطن وكانت تعرقلُ استقلالهُ، وهكذا كانت الحجج المستقاة من الروائي لها دورا فعالاً في تشكيل شخصية "الشيخ عمار" وفي طرح أفكار تتضاد والشخصيات الأخرى وكان هذا كفيلاً بخلقِ أحداث وحوارات أبانت عن قصص مختلفة مستلهمة من التاريخ يهدفُ بها الروائي إثارة المتلقي لهذه القضايا وإقناعه.

2-4- تداولية حجة الرمزفي الشخصية التاريخية:

رواية حوبة من الروايات التي اشتغلت على التاريخ وكان اهتمامُها مُنصباً على التقنيات الحجاجية في تصوير الشخصيات، باعتبارها أداة تبليغ وتأثير وإقناع أيضاً. فحفرت عميقاً في التاريخ الجزائري وفي قضية تُثبتُ وجود الذات الجزائرية ومُعاناتها، ويأبى الكاتبُ إلا أن يغرِفَ لهُ غرفةً من محطات وأحداث تاريخية هي محطاتٌ رمزٌ في تاريخ الجزائر، وكانت حوبة تسرِدُها مُقدِمةً في ذلك شخصيات تاريخية مُفعلَةً الحكي، ومُستشهِدةً بمآثرِها وأقوالِها، لتزيدَ القارئَ اقتناعاً. ولقد كان الروائي يحاولُ في بعض الأحيان أن يُعطيها لمسته الفنية في القول، أو المزاح وهذا ليزيدَ من حيويتها داخل العمل الروائي، وإنَّ من هذه الشخصيات المفَعَّلة في الحكي شخصية "**فرحات عباس**" شخصية "**عبد الحميد بن باديس**"، شخصية "**محمد بوراس**".

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:426

تمثل الشخصيات التاريخية الآنف ذكرُها رمزاً في التاريخ الجزائري، واستلهمها **الروائي عزالدين جلاوجي** في روايته **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** لتشاطر الشخصيات المتخيَّلة الأحداث والحكي، والرمز يُعدُّ من التقنيات الحجاجية التي لها القدرة على التأثير في المتلقين. وهذا لأنَّ حجة الرمز "تقوم على الانتقال من الرمز إلى المرموز له. وتكسبُ فعاليتها التداولية من التلازم المبني على علاقتي المشاركة والتبرير بين الرمز والمرموز إليه"[1] إنَّ فكرة رمزية تلك الشخصيات ترسخت نظراً لما قدَّمت، ولفاعليتها الوطنية ودفاعِها عن القيم وعن الوطن، ولقد استغلَ الروائي حجة الرَّمزِ لما لها من ملمحٍ تأثيري في الذاكرة مُحاولاً بشكلٍ من الأشكال الوفاءُ لوطنيته وللوطنيين الأحرار، بتخليدهم، وذلك بتوظيفهم في حكيهِ ومشاركتهم جانباً من حيواتهم مُحولِاً إياهم إلى لغة ذات مقاصد، فشخصية "**فرحات عباس**"شخصية رمز للمقاومة في التاريخ الجزائري، ولقد حاولَ الروائي بقدرٍ كبير أن يُحييها حياة الشخصيات التخييلية، وهذا انطلاقاً من الصفات أو من خلال الأفعال والمواقف والحوارات، يذكر أنها شخصية طالبت بالاندماج والتوحد مع فرنسا. فيقول: "**نحن سنطالب بالجنسية والاندماج ونأخذ حقوقنا بالتساوي مع الفرنسيين واليهود، مع المحافظة على أحوالنا الشخصية**"[2]. إنَّ هذا الفعل الكلامي يمثل فكر شخصية فرحات عباس ورمزاً من أقواله التاريخية، ولقد استعان الروائي في روايته برمز المقاومة والثورة "فرحات عباس" وبأفكاره التي تنادي بالقيم الفرنسية والاضمحلال فيها. وهذا لأهميتها في هذه الحقبة وبما أحدثت من صراعات مع الشخصيات الأخرى لدفاعها عن موقفها الإدماجي،وبالتالي شكلت موقفاً حجاجياً يوحي بدلالات ضمنية أرادها الروائي أن توحي للمتلقين وتدلو بدلوها، إذْ توظيف هذا الرمز يجرُّ إلينا أحداثاً ومواقفاً عديدة من التاريخ الجزائري تستدعي من متلقيها فكُّها وفهم الرسائل الضمنية.

وإنَّ أفكار شخصية فرحات عباس الرمز الإدماجية لهي من المبادئ الحجاجية، استناداً إلى ما تُمثِلُهُ في وجودها الواقعي. "فالمبادئ الحجاجية هي مجموعة من المسلمات والأفكار والمُعتقدات المُشركة بين أفراد مجموعة لغوية معينة،

[1]- يُنظر محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص:131.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:432.

والكلُّ يُسلمُ بصدقها وصحَّتها"[1]. فالمبدأ الحجاجي الأيديولوجي "**لفرحات عباس**" واضحٌ، هو المساواة مع فرنسا في الحقوق والواجبات فيقول في هذا الشأن: "**ومن قالَ إننا ضد بسط فرنسا هيمنتها على الجزائر؟ نحن معها وسنساعدها، ولكننا نريد أن نكون شركاء معها، نحن يا إخوان سنطالب بالمساواة**..."[2]إن هذا الفعل الكلامي الاستفهامي يُظهر مدى قناعة الشخصية بفكرها ورغبتها في تحقيق ذلك ببلورة أفكارها ودعوة الجماعة التي تنتمي إليها بتبني أفكارها، وهنا تكمن أهمية رمزية الشخصية التي حملت إلى الرواية محمولها وفكرها الواقعي وخلَقت بذلك نقاط صراع مع الشخصيات المتخيلة وجدال، فيسعى الروائي بتوظيفهِ لهذه الحجج إلى التأثير في المتلقي بشحن الخطاب الروائي بمختلف الدلالات الرمزية التي من شأنها الإيحاء للمتلقي ودعواه لفكها.

ولقد احتفى الخطاب الروائي بشخصيات تاريخية أخرى وطنية رمز، هي شخصيات مرجعية تاريخية عُرِفت بصمودِها ومقاومتها للاحتلال ومُجانبتها لفكر الاندماج في فرنسا، مُعاكسة "**لفرحات عباس**" وأتباعِهِ ولسياسة الاضمحلال والتنوير التي كان يدعو لها. وهي "شخصية **عبد الحميد بن باديس، البشيرالإبراهيمي، محمد بوراس**" فيقولُ "**ابن باديس**" رداً على "العقبي" في الرواية حول بيان لتأييد فرنسا في حربها ضد الألمان." **قضيتنا عادلة، وسنواصلُ الدفاعَ عنها ضد كل من يقف في طريقها، لن أرسِلَ تأييداً ولو قطعوا رأسي.."**[3]. إنَّ هذه الشخصيات التاريخية مهما كانت فاتنة ومميزة، فإنَّ حضورَها مُستمدٌ من براعة التصوير، وبراعة الاستحضار والاستلهام من التاريخ الجزائري، مدمجاً في ذلك التاريخ بالإبداع، محققا التخييل التاريخي. وإنَّ تضمين الرواية لهذه الحجة الرمز الوطنية التي تمثل وتشير للمقاومة في سياقها التاريخي وتبنيها لمسلماتها وأفكارها التحررية ومبادئها الأيديولوجية التي نادت بها، يمثلُ للمتلقي الذاكرة الوطنية بالإيحاء إلى المقاومة، وبهذا يُدرك سحر الشخصية، وبالتالي تستولي على وجدان القارئ وعلى وعيِهِ، وإنَّ كل هذه المعالم المُستوحاة تحملُ قدراً من الإقناعِ لدى القارئ، ويلجأ إليها المُبدع ليُقيم مضاهاة بين زمن

[1] - حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد لبنان، د:ط، 2010، ص:66.
[2] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:454.
[3] - المرجع السابق ، ص:489.

سابق وزمن راهن، ساعياً لمعالجة قضية ما لها امتدادُها في السابق، أو تسليطاً منهُ الضوءَ على قضايا مُغيبة يبعثُها في التاريخ فنياً. مُنطلقاً من الحقيقة إلى المجاز إلى شواهد، مُؤرِخاً بفنياته أعمالهم وقصائدهم، ومُعيداً بذلك كتابة التاريخ كما ينبغي أن يكون من وُجهته الفنية الإبداعية مُحتفظاً ببعضِ خصائص هذه الرموز الوطنية.

2-5- تداولية حجة التعارض في شخصية الآخر:

ليس يخفى اهتمام السارد وحرصه على تعديد الشخصيات الروائية المتخيلة لأجل إعطاء مجال أوسع للحوار والجدال، وهذا باهتمامه بالشخصية المُعارضة لإتمام النسيجِ الحكائي وإيرادها لإتمام الصراع في الرواية. وهذا " لأنَّ جميع تلك الشخصيات قد أُدخِلت في كل رواية باعتبارِها كائنات على حدة وقصيرة النظر، إلا أنَّها داخلَ ذلك النطاق المُحدد وداخل الخصوصية نفسيهما، تنتجُ وجهات نظر تترجم إيديولوجياتها ومنظوراتها المُتفرِّدة لكونِها مُعارضة لوجهات النظر وللمنظورات الأدبية انطلاقاً من خلفيتها"[1]. ولقد أورد الروائي شخصيات مُعارضة أنتجت وجهات نظر مختلفة بحضورها، وأظهرت ثقافات أخرى مثلت الوجه الآخر المُعادي للوطن ووثقت أسماءهم ونصوصهم التاريخية. "فالآخر هو المختلف في الجنس أو الانتماء الديني أو الفكري أو العرقي[2]. لقد استغل الروائي هذه الفكرة عن الآخر في تشكيل شخصيات تمثل المختلف في الدين والعرق ووجهات النظر، وأبانت هذه الشخصيات تعارضها مع الذات الجزائرية، إلا أنَّ الروائي استطاع أنْ يستغل حجة التعارض لإظهار الاختلاف والصراع لديها. فحجة التعارض"إدخالُ قضية ونقيضها، وذلك حين يقع المرء دون رغبة منهُ في تضارب بين قاعدة أثبتها أو دعوى دافع عنها وبين دعوى أو قاعدة سبق أن أثبتها أو كانت مُسلماً بها عند الجميع، ويُعتبر بوصفه عضواً في الجماعة مُعتنقاً لها"[3]. وإنَّ هذا التعارض تُمثلهُ الشخصيات اليهودية، العنصر الدخيل الذي يُوحي بدلالات عريضة والمتمثل في شخصيتي "حييم، وشمعون المونشو..."فيذكر السارد موقف اليهود المؤازر لفرنسا في احتفالها بمائة سنة لاحتلال الجزائر. "**يا سي رابح نحن أبناء**

[1]- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط:1، 1987، ص:82.

[2]- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية)، عالم المعرفة، الكويت، د:ط، 2013، ص:17.

[3]- ينظر الحسين بنو هاشم،نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص:59.

عمومتكم، ولكن تهمنا مصلحتنا، لقد حصلنا على حقوقنا كاملة من فرنسا، فطالبوا بحقوقكم"[1] لقد أبرز الفعل الكلامي اعتراف الشخصية بالحجة الأولى القرابة والعمومة التي تربطهُ بالعرب، ليُردِفَ حجة ضدها تُعارضها، فالمصالح أولى منها، فالحجة الثانية عندهم أقوى من القرابة وأقوى من الصداقة وأقوى من أي شيء، فالحجة الثانية تبين ماهي عليه شخصية اليهودي، وهذا العرق الذي يفرض وجودهُ مهما كلفَ ولا يُهمهُ العلاقات، وإنَّ هذا التعارض الذي وظفهُ الروائي يُدركُهُ المتلقي، ولكنَّهُ بهذا التضمين لهذه الحجة يُريد أن يُشعِرَ المتلقي بشعور احتقار لهذا الكيان في الأرض مُنبهًا بخبثهم وخيانتهم للجزائريين وتنكرهم لهم. وكلُّها رسائل يمررها الروائي لقُرائه محاولاً إثبات نظرة الآخر لهذا الوطن لم تكن مختلفةً عن غيرها بل كلهم مُغتصبون جاؤوا ليحققوا مآربهم. وهذا ما جاء على لسان إحدى الشخصيات. يقول "سي رابح" مُخاطباً "شمعون المونشو": **" دعْ خداعكَ ونفاقك جانباً، أنتم اليهود كشفتم حقيقتكم، وحين تهبُّ العاصفة ستقتلعكم جميعاً، حميناكم قرونا فختنتمونا عند أول فرصة"**[2].وبالتالي توخت هذه الحجة إظهار مرامي الروائي ومقاصده التداولية من توظيفها وهذا بإشراك المتلقي لا شعوريا لكُرهِ هذا الكيان وإقناعه بحقيقته التي لا تُخفيها السنين.

2-6- تداولية حجة العاطفة في شخصية الآخر:

استخدمَ الروائي عز الدين جلاوجي في سياقٍ آخر"شخصية سوزان"،التي وضَعناهاَ على طاولة التشريح لاستنطاقِ العلاقة التفاعلية في المتن، فألفينا وجهاً آخر لم يكنْ مُعارضاً للذات الجزائرية، ولا مُحتلاً بالغصبِ، بل تظهر الوداعة والتسامح والقَبول للذات الجزائرية، واستنفارِها للاستيطان والحربِ، فقد أبان الروائي عن علاقة عاطفية نشأت بين "شخصية العربي الموستاش" وشخصية سوزان" زوجة "فرانكو المُعمر"وهذا لما عمل بستانيا في حديقته، وتُعدُّ العاطفة من الحجج التأثيرية. "فالعاطفة مسلك آخر في الحجاجِ مهم يقوم على بناء العواطف داخلَ الخطابِ بناءً حجاجياً، يُساعدُ على تبرير ما يشعرُ به المتكلم من عواطف، وحمل المُخاطب على الاعتقادِ في صحة ذلك

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:357.

[2]- المرجع السابق ، ص:356.

الشعورِ، ومن ثمَّ على تبنيه"[1]. إذن تبنت رواية حوبة حجة العاطفة متمثلة في (مشاعر الحب) ولمحناها في شخصية سوزان وحتى شخصية العربي التي بادلتها الحب. وظهر هذا على سلوكها، يذكر السارد في هذا الشأن: "**نهضت سوزان قصدتهُ وقفت بجانبه تعبقُ عليه محبةً ووداً، وراحت تحثُهُ على السير معها، حين دخلا الغرفة(...) طلبت منهُ أن يجلس على كرسي وثير إلى طاولة كبيرة، وراحت تضع أمامه صحونا مُلئت طعاما وفواكه(...) جلست قبالته وطلبت منه الأكل...**"[2]. ويذكر السارد أيضا "**راحت سوزان تنتعش وتُشرق الحياة على وجهها، يُطفئ شلال الحب جحيم حياة عاشتها مع رجل لا تُحبه..**"[3]. فيُظهر هذا الفعل الكلامي الذي جاء على لسان السارد العليم بسلوكات شخصية سوزان التي تُومئ باهتمامها بشخصية العربي الذي لم يكن إلا بُستانيا في حديقتها، سلوكات سوزان ومُراقبتها للعربي الموسستاش في عمله ساعات، وجلوسها رفقته وحديثها معه يُبين عن ألفة سوزان به وتعلقها بشخصه. "فيمكن استنباط المعلومة المتعلقة بالعاطفة من الصوت وقسمات الوجه وحركات اليدين"[4]. إذن حركات سوزان وقسمات وجهها تُنبئ بتعلق شخصية سوزان وحبها للعربي، وهذه الحجة التي استغلها الروائي العاطفية ليخلق تصوراً آخر في ذهن المتلقي عن شخصية الآخر وعاطفته، وحمل المتلقي على تصديقها وإقناعه بصدق مشاعرها، وإنَّ هذا التوظيف لهذه الشخصية أسفرَ عن تأويلات لم تُفتَح، ومنها قضية الآخر ومسالمته للذات الجزائرية، هذا الآخر المسكوت عنهُ يحكي معاناته هو الآخر مع المحتل، مُتحديةً وجودهُ بمساندة العربي وصحبهِ في القضاء على القايد عباس، أرادنا الروائي أن نرى في الآخر برؤيتهِ ومقصديتهِ، أنَّهُ لم يكن دوماً مُحتلاً بل فيهِ من الشخصيات المناهضة ضد الإنسانية والظلم في حقها.

[1]- حاتم عبيد، منزلة العواطف في نظريات الحجاج، مجلة عالم الفكر، العدد:2، المجلد:40، أكتوبر-ديسمبر،2011، ص:240.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:246،247.

[3]- المرجع السابق، ص:248،249.

[4]- حاتم عبيد، منزلة العواطف في نظريات الحجاج، ص:256.

2-7- حجاجية العجائبي في الشخصية:

رافقت الشخصيات المتخَيَّلة في السردِ شخصيات عجيبة، أعطت للحكي بُعداً آخر على غرارِ الشخصيات الأخرى، وهذا على الرُّغمِ من أنَّ قولها كانَ شبه مُنعدِم، إلا مقطعاً مسجوعاً تُردِدُهُ في كلِّ الأحايين وأينما حلَّت، حركاتُها كانت خارقة للعادة مما خلى السردَّ يأخذُ منحى آخر في توظيفها، حتى الزمن لا يكادُ يتوقف في تصوير غرابتها. فالحديثُ عن الشخصية العجيبة يفرضُ التعريف بالعجيب والذي هو إحدى دعامات العجائبية. " فالعجيبُ هو من الفعل عَجَبَ، العُجُبُ والعَجَبُ، إنكارُ ما يردُ عليك لقلة اعتيادهِ"[1]. يبدو أنَّ العجيبَ هو ظهور ما لا يعتادُ عليه الإنسانُ ويُنكرُهُ عقلُهُ ولا يتقبلهُ. ويرى تزفتان تودوروف T. Todorovأنّهُ لابد أن تتحقق ثلاثة شروط في الأمر ليكون عجائبيا"أنَّ العجائبي يحمل النص القارئ على اعتبار عالم الشخصيات كعالم أشخاص أحياء وعلى التردد بين تفسير طبيعي وتفسير فوق- طبيعي للأحداث المروية. ثمَّ قد يكون هذا التردد محسوساً بالتَّساوي من طرف شخصيةٍ، على ذلك يكون دور القارئ مُفوضاً إلى شخصيةٍ وفي نفس الوقت يوجد التردد"[2]. يظهر من الشروط السالفة الذكر وبالاستناد إلى رواية حوبة أنَّ التفسير فوق – طبيعي- حققتهُ شخصية البهلي لخضر العجيبة التي كانت إنسانا عادياً؛ ثم راحت تتغير سلوكاته مما أثار الدهشة عند الشخصيات والمتلقين مناصفة. "فالكائن العجائبي هو الإنسان العادي والذي يطرأ عليه التحول فيندهش معه الإنسان أمام غرابة الأحداث"[3]. إذن شكلت شخصية البهلي لخضر حجة عجائبية بظهورها في الحكي وتحولاتها التي أثارت دهشة الشخصيات وبالأخص شخصية العربي الموستاش وأصابته بالتردد والإستغراب، ومن ذلك ماعرضهُ السارِدُ حدث دخول"العربي الموستاش" القرابة ولقائه "بالبهلي لخضر "المثير للغرابة:**"-ما تفعل هنا أيها الساحر اللعين (...)من أرسلك، ما تُريد منا؟ إرحل عليك اللعنة، سأمصُّ دمك. خرجَ من بين يديه كأنَّهُ شعرة تُسل من زبدة، وطار في الفضاء بعيداً بعيداً، راح يُتابعهُ وهو يفرشُ جناحي برنسه وحولهُ هالة من نور واختفى في**

[1]-جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت، بيروت لبنان، د:ط، 1999، مادة عجب، ص:549،560.

[2]- تزفتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، تر: الصديق بوعلام، تق: محمد برادة، دار الكلام، الرباط المغرب، ط:1، 1993، ص:54.

[3]- المرجع السابق، ص:209.

السماء"[1].لجأ الروائي في هذا الفعل الكلامي إلى توظيف أحداث خارقة لقوانين الواقع، فوق –طبيعية وهذا لأنها لاتتوافق والنظام البشري المألوف، فالطيران والتلاشي أثار دهشة شخصية العربي التي راحت تُسلم، ووضعتها في دائرة تردد بين الحلم والواقع بين التصديق والإيهام.

ولقد كان ملفوظ"شخصية البهلي" حجة عجيبة إضافة إلى عجائبية سلوكاته،وهي عبارة عن لازمة كان يُردِدها أينما حلَّ ووطِئ، وقد شكلت هذه اللازمة نبوءة في الحكي واستشراف للمستقبل. يقول: "**ياناس ياناس، هو سيد النَّاس، يرفع الباس، ويعلي الراس، اِسمه بالعين يبدا، والنفوس له تهدا، يرفع راس بلادنا ويعز نفوس ولادنا**"[2]. هي لازمة ألفاظها عامية، أُحجية ظلَّت تدقُّ على نفوسِ العرشين وتقلقُهم، عرش أولاد سيدي علي وأولاد النش، وشكلت غموضاً لديهم وإبهاماً حيَّر عقولهم، وإنَّ استحضارها شكَّل بملفوظهِ تعددية، وجلبَ الانتباه، فهذه الحجة للعجيب وللكرامات قصداً منهُ، ليصرِفَ اهتمام الشخصيات والقُراء، إلى ماهو أغرب وأعجب ويُثير التردد في نفوسهم والاستغراب، وبهذه الإضافة منه للعجيب ولكرامات المُتصوفة التي تفوق خيال البشر مقاصد تداولية، ووظيفة تواصلية مع القارئ، فهو يرومُ من وراء الخوارق إشعار المتلقي باللذة والإمتاع، لأنَّهُ يُعاينُ شخصيات تُخفي الكثير، ولعلَّ السارد يمرِرُ عبرها الكثير من الحجج الضمنية التي تستقرُّ في لا شعورِه، فالناس من طبعهم الاستجابة للأمورِ العجيبة الغريبة وسماع حكاياها وأخبارها.

لقد أبان الخطاب الروائي لدى عز الدين جلاوجي عن ثرائه بمختلف الشخصيات التي مارست حججاً متنوعة، وهذا لاحتوائها طاقة إقناعية ساهمت في بلورة الأحداث وفق إطلالاتها، ومنح الرواية قضايا ومواقف متعددة ومتشعبة للدفاع عنها. ولقد تنوعت وظائفها بين الإخبارِ والإمتاعِ والإثارة، وعبرت عن مسائل وقضايا مُختلفة، وكل هذا في إطار التفاعل مع الشخصيات الأخرى المتخيلة والمعارضة، ومن الشخصيات ما جاءت لتُعيشنا مغامراتها وتمرُّدها ونضالها،

[1]-عزالدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:107.

[2]- المرجع السابق، ص:38.

ابتكرَها الكاتبُ من أجلِ أداء دور معين وإيصال رسالة إلى المتلقي حتى يتخيلَها ويقتنِعَ ببعدها الوجودي، وكأنَّها حقيقية لا تخلو من الإقناعِ لأنَّها جاءت متطورة الأبعاد.

ثالثاً: التقنيات الحجاجية في الحوار:

لا تتراءى لنا الدورة التواصُلية ولا تتجلى الأفعال المنجزة خلالها ولا حركيتها وفاعليتها إلا في إطار علاقة حوارية تواصلية بين فاعلين مختلفين، فهي تعكسُ أفعال الشخصيات وتُظهِرُ أفكارها وانتماءاتها وكوامنها، وتُجلي الحديث عن صراعاتها، فالحوارُ يستأثرُ بخصوصية في الخطاب الروائي ويُعدُّ من أبرز تمظهراتهِ، باعتبارهِ عالماً تتداولُ وتتحاور فيه الشخصيات، كما يتجسدُ عبرَهُ النظام اللغوي وتنبني باقي العلاقات والعناصر الخطابية الروائية، وطالما أنَّ الحوار عنصرٌ أساس من عناصر الخطاب السردي، وعنصرٌ يتجلى عبرَهُ الحجاج، وتظهر العلاقة الحجاجية بين المتفاعلين، فإنَّ الحجاجَ مُلازمٌ له وملازمٌ لكلِّ الخطابات، فعبرَهُ تطرح الشخصيات أفكارها، وتُدافع عن انتماءاتها ومقاصِدها، وعبرَهُ تُقنع وتدافعُ وتدحض وتفند الآراءَ، وتطرحُ قضاياها لاجئةً لحججٍ مختلفةٍ للبرهنة عليها والدفاعِ عنها. وإنَّ هذا ما سنسعى خلال هذا المضمار الإحاطة به ولملمتهِ، بإبراز تجليات الحجاج في الحوار؟، وانبناء الحجج وأنواعها ودرجتها الحجاجية؟

لعلَّ أبرزَ ما يتبدى لنا في البعد التداولي للخطاب الروائي الحجاجي ويلحُّ علينا تسليط الضوء عليه هو عنصر الحوار، فهو متنفسُ الشخصيات، وأداة للتعبير عن أفكارها وتوجهاتها، وحتى أداةً للباحث للقبضِ على مقاصد الشخصيات وسلوكاتها لفهمها وتفسيرها، ففي كلتي الحالتين هو معبر للشخصيات" فالحوارُ هو خطابٌ لأنَّه قولٌ لغويٌ مُتعدد الأغراض والمقاصد، ومن ضمنها الإقناع والتأثير، لأنَّهُ يفترضُ مُتكلماً وسامعاً مع توفر مقصد التأثير بوجهٍ من الوجوهِ في هذا السَّامع"[1]. إذن الحوار الروائي هو خطابٌ لغوي، يتوفرُ على فاعلين مختلفين، ومن أبرز الفاعلين في

[1]- ينظر عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة تونس، ط:1، 2001، ص: 45.

الخطابِ الشخصيات، والتي تتميزُ بفاعليتها وحركيتها وصداماتها الذاتية النفسية السيكولوجية والجماعية، والكلُّ في هذا المضمار يسعى لإقناعِ الآخر بطريقة أو أخرى بمقصديتهِ والتأثير فيه، أو التنفيس عن ذاتهِ وإجلاء همومها وتبديدها زفرات وعبرات وخواطر. " فالحوارُ يُعدُّ أنجع سبيل ينتهجهُ مُرسِلُ الخطابِ لدراسة حجج ومواقف مُخاطبيه بطريقة مقبولة تمنحُ حجاجهُ في النهاية النقاء والمصداقية، وهما أمران لا يتمان إلا عن طريق الحوار المؤسس على الاحترام والحقيقة والبعد عن القسر والاحتيال"[1]. من هنا لا يسعنا القبضُ على الحججِ وإدراكها، وفهم مساعي المُخاطبين ومقاصدهم إلا عبر هذا المنفذ، الذي يُظهرُ اللغة في حجاجيتها، ويبرزُ تشكلاتها وتمظهراتها في هذه القناة التي تمررُ التوجهات والرؤى وتُعلنها للقارئ. وتُسخرُ له مختلف التعابير اللغوية وغير اللغوية لتحقيقِ محاجة قوية، كما يُتيحُ لهم فرصةَ مناقشة القضايا وإبداء آرائهم والدفاع عنها باعتماد مختلف الحجج والتقنيات والأساليب الحجاجية لتحقيق الإقناع. وتأسيساً على هذا سنحاول إبراز أهم التقنيات الحجاجية داخل البنية الحوارية؟

3-1- التقنيات اللغوية:

إنَّ الخطاب الروائي خطاب لغوي تداولي،يتواصل خلالهُ مجموعة من الفاعلين باللغة، تتضافر في إنشائه مجموعة من الروابط والعوامل الحجاجية (تقنيات لغوية) التي ينظمها المُرسل لأداء رسالة يبغي من ورائها توجيه المتلقي والتأثير فيه، فالتقنيات اللغوية هي مجموعة من الروابط والعوامل اللغوية وهذا ما أشار إليه أبو بكر العزاوي. "فاللغة العربية تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة إلى قيمتها الحجاجية نذكر من هذه الأدوات: لكن، بل، إذن، حين، لاسيما، إذ، لأنَّ، بما أنَّ، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنَّما، ما، إلا..."[2]. يتبين انطلاقا مما ورد أنَّ التقنيات اللغوية تتوفر على مجموعة من الروابط والعوامل الحجاجية والتي تؤدي قيمة حجاجية داخل الخطاب اللغوي، وبما أنَّ الحوار خطاب لغوي تشترك في إنشائه أقطاب عدة، فإنَّهُ لا محالة

[1]- محمد بن سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص119.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص:27.

يحتفي باللغة وبتقنياتها، لأنَّ كل مُتحاور يحاول إقامة الحجة على الآخر وهذا ما سنحاول قراءته وإثباته في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**.

3-1-1-الروابط الحجاجية: Les connecteurs Argumentatives

يحتوي الخطاب الروائي **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** على مجموعة من التسلسلات اللغوية، التي تُسهم في إحكامها وترتيبها واتساقها مجموعة من الروابط اللغوية. فالروابط اللغوبة:"Les connecteurs تربط بين قولين أو حجتين على الأصح أو الأكثر، وتسندُ لكلِ قولٍ دوراً محدداً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية : بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأنَّ، بما أنَّ، إذ..."[1]. تعمل الروابط الحجاجية على جمعِ الحججِ والأقوالِ بعضها إلى بعض ووصلها، كما تعطي لها وظيفتها الخاصة داخل السياق، ولقد صنف أبو بكر العزاوي الروابط حسب قوتها الحجاجية:

"أ- الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع، ذلك، لأن ..) والروابط المدرجة للنتائجِ (إذن، لهذا، وبالتالي..)

ب-الروابط التي تدرِج حججاً قوية (حتى، بل، لكن، لاسيما..) والروابط التي تدرج حججا ضعيفة.

ج-روابط التَّعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك.) وروابط التساوق الحجاجي (حتى، لاسيما..)"[2]. إذن تختلف الروابط الحجاجية وتتعدد حسب قيمتها الحجاجية ووظيفتها داخل الخطاب، وهذا ما سنسعى معاينته في خطاب **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**.

3-1-1-1- الروابط المُدرجة للحجج:

هناك العديد من الروابط اللغوية التي عمد لها المبدعُ في إنشاء خطابه الروائي الحجاجي، وفي رصف الحجج وتدرجها، وسوف نحاول أن نقف على بعضها في الدراسة ومن الناحية الحجاجية فقط ومن ذلك:

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ، ص:26.

[2]- المرجع السابق، ص:30.

الرابط الحجاجي الواو: يُعدُّ الواو من الروابط الحجاجية التي تقوم بوصل الحجج وربطها وترتيبها، ولقد ظهر كثيرا وتكرر في الخطاب الروائي **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**. "فالواو من الروابط الحجاجية التي تُسهم في ترتيب الحجج ونسجها في خطاب واحد متكامل، إذ تفصل مواضع الحجج، بل وتقوي كل حجة منها الأخرى"[1]. وفي هذا الصدد نعرض نماذج عن ذلك. فيقول السارد على لسان شخصية عقيلة والدة حمامة:"**نحن في الحياة لا نملكُ أمرنا لأننا بيد المقادير، وليس لنا أن نجزع، وزواجك يابنيتي قضاء وقدر، وإذا أراد الله أن تكوني لغير العربي فلا راد لذلك**"[2]. فالربط الحجاجي بواسطة (الواو) في هذا الشاهد قام بالوصل بين الحجة والأخرى ورصفها. بداية بالتسليم بعجز الإنسان وضعفه وأمره كلهُ للقدر، واستمر بذلك حتى انتهى بقدرة الله وإرادته في قدر الزواج، كل هذه الحجج تخدم نتيجة واحدة مضمرة في القول مفادها (عظمة قدرة الخالق وتكلفه بشؤون خلقه ومصائرهم)، وإنَّ هذا الرصف للحجج وترتيبها يقوي الحجج ويدعم النتيجة. ولقد جاء الرابط الواو في شاهد آخر على لسان شخصية العربي " **وإلى متى نسكت يا عمي رابح؟ إلى متى بالله عليكم؟ وهؤلاء الأغراب يستغلون أرضنا، ويحرم منها أبناؤنا**"[3].فالرابط الحجاجي الواو هنا يوصل بين الحجج ويُسند بعضها لبعض ويقويها لتحقيق غاية ونتيجة واحدة، فالسكوت الذي طال من الجزائريين انجرَّ عنه استغلال الأغراب للوطن والتمادي فيذلك وبالتالي حرمان أبناء الأرض من أرضهم، فالحجج هنا جاءت مترابطة متسقة وكل حجة تعضدُ الحجة التي قبلها وتقويها وهذا كله بفضل الرابط الحجاجي الواو، للوصول إلى نتيجة واحدة مضمرة أنَّ السكوت وعدم الانتفاض أطال عهد الاستعمار والحرمان في الأرض ولابد من التحرك للتخلص منه.

الرابط الحجاجي حتى: يُعتبر الرابط حتى من الروابط التي تفيد العطفَ والربط في لغتنا، ومن الروابط التي تدرجُ حججاً قوية، وإنَّ" الحججَ المربوطة بواسطةِ هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنّهَا تخدمُ

[1]- يُنظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص:472.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:83.

[3]- المرجع السابق، ص:488.

نتيجةً واحدة، ثم إنَّ الحجةَ التي ترِدُ بعد حتى هي الأقوى، وهو ما يقصدهُ النُّحاة بقولهم: أن يكون ما بعدها غاية لما قبلَها، ولذلك فإنَّ القول المشتمل على الأداة حتى لا يقبل الإبطالَ والتعارُضَ الحجاجي"[1].تسعى حتى لترتيب الحجج وتساوقها، إذْ تكون هذه الحجج التي تربطها تخدمُ نتيجة واحدة ومن ذلك أمثلة كثيرة في الرواية اخترنا منها قول شخصية سي رابح:" **لم يعد يزعجني اليهود ولا النصارى مادام أبناء جلدتنا معهم، حتى صالح القاوري شاركهم احتفالاتهم، حتى القياد وبعض شيوخ الزوايا**"[2]. فالرابط الحجاجي حتى في هذا الشاهد الروائي ربط بين حجج متتابعة تخدمُ نتيجة واحدة (استياء الشخصيات الروائية الثائرة من مشاركة العرب في احتفالات فرنسا)، وما نلاحظهُ أنَّ الحجة بعد الرابط حتى كانت أقوى من الحجة التي سبقتها، وهذا لأنَّها أكدت امتعاض الشخصيات الثائرة من مشاركة العرب في احتفالات فرنسا المئوية لاحتلال الجزائر، فكان احتفال الفرنسيين واليهود أقل شدة ووطئاً على نفوسهم من احتفالات مشايخ الزوايا والقياد. فالحجة التي جاءت بعد الرابط كانت أقوى من سابقتها في خدمة النتيجة.

إنَّ استعمال الرابط حتى يؤكد على وجود حجة تأتي مباشرة بعده وهذا ما يوضحهُ المثال الآتي ذكرهُ قال أمقران:" **ونحن نريدهم كثرة، حتى النساء يجب أن يشتركن في المسيرة مباشرة أو عبر الشرفات على الأقل**"[3]. إنَّ الروائي بإدراجه الرابط الحجاجي (حتى) يؤكد أهمية المسيرة لدى الجزائريين والتي تؤسس لغد خال من الاحتلال، هذه المسيرة التي لها خصوصيتها أتاحت الفرصة للنساء بالمشاركة لقيمتها التحررية، وخصوصيتها تظهر في إقحام النساء في المسيرة وهي علامة غيرة الرجل الجزائري تتنافى ومبادئه ولكن الوطن والتحرر عنده قبل كل شيء. وبالتالي هذه الحجج في تساوقها وتساندها خدمت نتيجة واحدة هي المشاركة الجماعية في المسيرة لتحقيق الحرية.

ونلفي اشتغاله على الرابط الحجاجي حتى، والذي برز بشكل مُلفت للانتباه في الشاهد نظراً لتكراره على رأس كل جملة: " **تراءت له القرية كسراب بقيعة، حتى جدران الطوب والحجارة ذبلت، حتى قرابة سيدي علي أفلت، حتى**

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص:73.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:357.

[3]- المرجع السابق، ص:543.

تُراب الأرض احترق "[1] وحتى من الروابط الحجاجية التي تجمع بين قولين أو حجتين وهي من الروابط الحجاجية المدرجة للحجج "[2]. فنرى من خلال القول أنَّ الرابط حتى جمع بين أكثر من حجة، تصور مآل القرية بعد مرور زمن طويل لاحتلال فيها، وبعد مغادرة أهلها لها، والرابط الحجاجي حتى هنا أحدث فارقاً بين الماضي والحاضر الذي أصبحت عليه القرية. و لقد أبان الرابط حتى من خلال إدراجهِ راصفاً ورابطاً للحجج على قوة حجاجيته وقوة الحجج المدرجة بعدهُ، فما أصاب القرية أمرٌ جلل، وهي صورة مصغرة لما أصاب الجزائر في كل شبرٍ منها، والغرضُ الذي يبغي الروائي إدراكه هول المأساة الذي كان له وقعٌ قاسٍ على هذه الأرض، حتى أصبح لها أنيناً يُسمع، والغاية الحجاجية لإدراج هذه الحجج اسثارة وعي المتلقي لدناءة المحتل، وجبرهِ على الإحساسِ بألم الأرضِ يومها وهي أسيرته .

3-1-1-2- الرو ابط المدرجة للنتائج:

تستعمل الروابط المدرجة للنتائج بسوق الحجج ونتائجها وتضم روابط مثيل: لهذا، وبالتالي، إذن، حينئذ...ونجدها تتجسد في رواية **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** يذكر السارد حوارا داخليا لشخصية الشيخ عمار:" **كلما فقدت الزاوية ولاء عرش معناه أنَّها فقدت سلطتها الروحية عليه، وبالتالي فقدت دعم العرش المادي، فقدت ما كان يغدقهُ الناس عليها من حبوب و أنعام وحطب**"[3]. يبرز المعطى الحجاجي المدرج للنتائج المتمثل في الرابط الحجاجي (وبالتالي)، إذْ سمح هذا الرابط باستنتاج النتائج من الحجج السابقة، فتوسط الرابط (وبالتالي) بين الحجة والنتيجة، فكانت الحجة (فقدان الزاوية ولاءها في عرش) نتيجة ذلك (فقدان الدعم المادي لهذا العرش وما يغدقه الناس عليها من تبرعات)، وهكذا فإن الرابط الحجاجي وبالتالي يوجه انتباه المتلقي إلى النتيجة المرجوة، ويحقق هذا الرابط الحجاجي بوجوده في السياق اللغوي قوة حجاجية، ويوجه الخطاب الحجاجي للنتيجة المرغوبة.

[1] - عزالدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص: 389،388.

[2] - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص:30.

[3] -عزالدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:220.

الرابط الحجاجي المدرج للنتائج إذن: هو من الروابط الحجاجية اللغوية التي استخدمها الكاتب للحصول على نتيجة معينة، ومن ذلك ما يقول سي رابح مُخاطبا رفاقه:" **المسافة ليست طويلة من مسجد المحطة إلى حديقة الجندي المجهول، إذن يمكن أن نتحكم جيدا في المسيرة**"[1]. يظهر من الشاهد أنَّ القول الذي سبق الأداة (المسافة ليست طويلة من مسجد المحطة إلى حديقة الجندي المجهول) قُدِّمَ بوصفه حجة، بينما ما استأخر بعد الرابط إذن (يمكن أن نتحكم جيداً في المسيرة) يُعدُّ بمثابة النتيجة، وبالتالي يحقق الرابط الحجاجي إذن بوروده طاقة حجاجية ويوجه الخطاب الحجاجي للنتيجة الحجاجية التي يرجوها.

3-1-1-3- روابط التعارض الحجاجي:

تعدُّ روابط التعارض الحجاجي من الأدوات المهمة في الفعل الحجاجي، ولا يكادُّ يستغني عنها الروائي في بناء لغته الروائية، ومنها الرابط الحجاجي (لكن) "لكن هو حرف استدراك. ومعنى الاستدراك أن ننسب حُكماً لاسمها، يخالف المحكوم عليه قبلها(...) ولا تقع لكن إلا بين متنافيين"[2]. إنَّ المتكلم يعمد لاستغلال الرابط لكن باستجلاب حجة بعده تخالف وتدحض الحجة التي قبل الرابط وتفندها، " فكل خطاب تال لها هو الحجة الأقوى صوب الدعوى التي يدعيها المرسل، والاستدراك بهذا هو المدخل المنطقي والسبيل إلى منح الحجة التي تأتي بعدها قوة أكبر"[3]. إذن اعتماد الرابط الحجاجي لكن في الخطاب يسعى المرسل خلاله إلى توجيه الخطاب إلى نتيجة معينة باستغلال الاستدراك، وقد ورد الرابط الحجاجي لكن كثيراً في خطاب **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**، وكان له أثر في خلق تعارضات واختلافات في الفعل الكلامي الحجاجي ومن ذلك قول شخصية **القايد عباس** مُخاطبا أهل قريته:"**لم يمتْ البُهلي لخضر ولكنَّهُ قتل، وُجدَ جثة هامدة عند قرابة سيدي علي حيث تعود أن يبيت ويمارسَ طقوسهُ، وعلى جسده**

[1]- عزالدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:542.

[2]- الحسن بن قاسم المُرادي، الجنى الدَّاني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوه، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط:1، 1992، ص:616.

[3]- ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص:511.

علامات ضرب وجر"[1].الذي نلحظ فيه الرابط لكن قد عمل تعارضا حجاجيا باستقدامه، بين ما تقدم الرابط وما تأخر عنه، فالحجة التي سبقت الرابط تخدم نتيجة ضمنية (أن البهلي لخضر لم يمت موتة عادية كما رُوجَ لهُ) أما الحجة في القسم الثاني بعد الرابط تخدم نتيجة مُضادة للنتيجة السابقة (أنهُ وُجِد مقتولاً وعلى جسده علامات الضرب) فما أحدثهُ الرابط لكن هو رفع ماتوهم أهل القرية عنه بموته بإثبات حقيقة تتنافى مع ما يظنون هو الاعتداء على البهلي لخضر وقتله. وهنا كان الرابط الحجاجي لكن فاصلاً مهما بين الحجج، وجعلت الدليل الثاني أقوى حجاجيا من الأول أي أن الجريمة والاعتداء أمرٌ وأدهى.

ويذكر السارد حواراً آخر يُضَمن الرابط الحجاجي لكن."**قال يوسف الروج مُخاطبا سي رابح: لا تحزن يا عمي رابح، واطمئن تماما فرنسا ما عادت تقدر على فعل شيء(...) قال سي رابح: ولكنّها فعلت يا يوسف، لقد جنَّ جنونها فهرعت تغلق مئات المساجد والمدارس والصحف، إنها تنسف كل ما بُنِيَّ(...) علق سي الهادي: ولكن الناس لم يسكتوا لقد اندلعت المظاهرات العارمة....**"[2].وردَ في هذا الشاهد الرابط الحجاجي لكن ليقوم بوظيفة الربط بين حجج وآراء متعارضة، فالحجة الأولى أبانت على(**أنَّ فرنسا ما عادت تقدر على فعل شيء**)ونتيجتها عجز فرنسا وترددها وعدم اقتدارها أمام الحركات التحررية، وقد استدركت شخصية سي رابح باعتماد الرابط الحجاجي لكن بتقديم الحجة المعارضة للحجة الأولى والمضادة لها (**ولكنّها فعلت يا يوسف، لقد جنَّ جنونها فهرعت تغلق مئات المساجد والمدارس والصحف، إنها تنسف كل ما بُنِيَّ**) وقادت هذه الحجة إلى نتيجة مضادة لنتيجة الحجة السابقة ل(لكن)وهذه النتيجة هي (**أنَّ فرنسا لم تهن ولم تضعف وإنما سعت لنسف كل ما بناهُ الجزائريين لخلق الوعي الوطني**) وتعدُّ الحجة الثانية أقوى من الثانية لأنها قادت الفعل الحجاجي إلى وجهته المطلوبة. ليُردِفَ ويستدركَ شخصية سي الهادي بتعليقه حجة تأخذ بالفعل الحجاجي إلى منحى يلبّن بين حجتي شخصية يوسف الروج وسي رابح(**ولكن الناس لم يسكتوا لقد اندلعت المظاهرات العارمة**) والتي قادت إلى نتيجة(**أن جزاء ما قامت به فرنسا في حق الجزائريين من اعتقالات**

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:175.

[2]- المرجع السابق، ص:412.

ونسف للمساجد والمجلات هو اندلاع المظاهرات وعدم السكوت أكمام هذا التجبر) وإنَّ هذه النتيجة مضادة للنتيجة التي سبقتها توضحُ عدم استسلام الجزائريين أمام ما تفعلهُ فرنسا، وإنَّ هذه الحجة توجه القول بمجمله إلى إرادة الشعب وعدم استسلامه، وإنَّ الذي منحها هذه القوة هو الرابط الحجاجي لكن.

الرابط الحجاجي (بل): هو من روابط التعارض الحجاجي والتي تفيد العطف في اللغة العربية، وهو "حرف إضراب وله حالان أن يقع بعده جملة أو أن يقع بعده مفرد، فإن وقع بعده جملة كان إضراباً عما قبلها، إما على جهة الإبطال وإما على جهة الترك للانتقال من غير إبطال"[1]. فقد يعمل الرابط الحجاجي على إبطال الحجة التي قبلهُ، كما يعمل على انتقال الحجج من حالة إلى أخرى دون الإبطال،ويذهب أبو بكر العزاوي إلى اعتبار الرابط بل من الروابط الحجاجية التي تقيم علاقة بين الحجة والنتيجة، ولكن الحجة الواقعة بعد الرابط هي الحجة الأقوى"[2]. ومن ذلك ما جاء في الرواية،يقول العربي الموستاش عن شخصية سوزان:"**فعلا كانت قد انفصلت عن فرانكو منذ أكثر من عام، وهي لا تمقت فرانكو لتصرفاته الحمقاء، ولا للفرق الكبير بينهما في السن والتفكير فحسب،بل لأنها تحملُ شعوراً مُعادياً لكل ما هو فرنسي، بل وتسعى للانتقام من كل ما هو فرنسي، مُرجعة للفرنسيين كل مآسي أسرتها الصغيرة**"[3]. يظهر مما تقدم أنَّ بل المعتمدة في الشاهد هي من الروابط الحجاجية التي أفادت الربط بين الحجج، فقد توسطت الحجج وكان ما قبلها يذكر بعض أسباب كره سوزان لفرانكو، وأما ما وقع بعد الرابط الحجاجي بل جملاً، أبطلت ما كان قبلها من إثبات دواعي الانفصال (كبر السن والتصرفات الحمقاء) إلى اعتماد حجج أخرى (كرهها للفرنسيين وسعيها للانتقام منهم) وهكذا تم الانتقال من حجة إلى أخرى باعتماد الرابط الحجاجي بل، غير أنَ الحجة الواردة بعد الرابط هي الأقوى في الخطاب الحجاجي، إذْ وجهت القول وجهته الحجاجية التي أراد بها شخصية العربي الموستاش إقناع أصحابه بها وبالتالي إقناع المتلقين بذلك.

---

[1]- ينظر الحسن بن قاسم المُرادي، الجنى الدَّاني في حروف المعاني، ص:235.

[2]- ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص:63،64.

[3]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:344.

3-1-2- العوامل الحجاجية: Les opérateurs argumentatives:

لا يستقيمُ الخطابُ الحجاجي إلا باحتوائه عوامل حجاجية تجمع الممكن وترصِفهُ بغية إعطاء معنى شامل كُلي للخطاب، فالعوامل الحجاجيةLes opérateurs " لا تربطُ بين مُتغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج) ولكنَّها تقومُ بحصرِ وتقييد الإمكانات التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل (ربما، تقريباً، كاد، قليلاً، كثيراً، ما...إلا، وجل أدوات القصر"[1]. إنَّ وظيفة العوامل ربط الممكن للأقوال وحصرها وعرضها، فالعواملَ الحجاجية ألفاظٌ بعينِها تحقق أبعاداً تداولية حجاجية، " فإذا وُجدت هذه المورفيمات في ملفوظ تحولِ وتوجِه الإمكانات الحجاجية لهذا الملفوظِ"[2]. لقد تنوعت وتعددت المورفيمات الحجاجية التي توجه وتحول الممكن في الخطاب الروائي **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**، ومنها الآتي:

العامل الحجاجي (لولا): اعتمد الروائي العديد من العوامل الحجاجية لتوجيه خطابه وحصره فيما يريد إيصاله لمتلقيه ومن ذلك العامل الحجاجي الشرطي لولا" حرف يفسر حسب الجمل التي تدخل عليها، فإن كانت الجملتان بعدها موجبتين فهي حرف امتناع لوجوب (...) وإن كانتا منفيتين فهي حرف وجوب لامتناع (...) وإن كانتا موجبة ومنفية فهي حرف وجوب لوجوب"[3]. لقد وظف الروائي العامل لولا كثيرا في خطابه إلى جنب عوامل أخرى رغبةً في حصر إمكاناتهوتقييد نتائجه ومن ذلك: قال الشيخ عمار في حواره مع القايد عباس: "**حتى فرنسا تبالغ في القمع، وأخشى أن لا يتحمل الناس أكثر من هذا، لولا ذلك مافرَّ أولئك الشبان،وما وقعت ثورة بريكة وعين توتة والأوراس..."**[4].فالعامل الحجاجي لولا في الشاهد ربط بين حجة ونتيجتها، وقد جاء بعد الحجة (مبالغة فرنسا في قمعها للجزائريين) أدى إلى النتيجة التي جاءت بعد العامل لولا وهي (فرار الشبان والتحاقهم بالثورات، واشتعال الثورات)، فلو تأملنا هذه الجملة الشرطية المركبة، لوجدنا أنَّ الحجة ظلم فرنسا وقمعها تخدم النتيجة فرار الشباب والثورات

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص:26.

[2]- ناديا رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، كلية الآداب، حلوان مصر، ط:1 ،2013، ص:117.

[3]- ينظر الحسن بن قاسم المُرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص:597،598.

[4]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:35.

الشعبية المتفرقة في البلاد، وهذا بفضل العامل الحجاجي الشرطي الذي وجه الاحتمال الحجاجي في الخطاب نحو الغاية والنتيجة المشروطة في الحكي.

العامل الحجاجي التحذيري (إياك):إنَّ صيغة التحذير تحملُ دلالتها الضمنية البُعدَ عن الأمرِ المحذور والتَّوجُسَ منهُ، توجيها وتحذيراً لترك الأمر المذمومِ والمرفوض وتجنبهِ،"**فالتحذير تنبيه المخاطب على أمرٍ مكروه ليتجنبه(...) أما التحذير فلهُ أساليب أشهرها إياك ومتصرفاتها**"[1].ولقد استعان الروائي بالعامل التحذيري كثيرا في الخطاب الروائي ليَخدُمَ غاياته الحجاجية ومن ذلك:**تقول سولافة الرومية مُخاطبة خليفة: " خليفة.. إياك أن تنسى، ذاكرة الرجال ضعيفة**"[2].اتخذت صيغة التحذير وعاملُها شكلاً تركيبيا مهماً في الشاهد، فقد احتوى على ضمير النصب المنفصل إيا مُقترنا بكاف الخطاب، ليحملَ في ضمنهِ رسالة نصحٍ وإرشادٍ وتوجيهٍ لشخصية خليفة، تمنَعهُ من مغبة النسيان، نسيان مظالم القايد عباس وقتله لزوجه الربح ، ويُصرِح بالمحذر منه ولا يُخفيه، وبالتالي يكون المُرسل قدَّم منفعتَهُ المتمثلة في التحذير من سلوك لا ينفع مع شخصية القايد عباس ولا ينبغي أن يكون والنصحِ بتجنبه بتثبيته في ذهن المتلقي بصيغة التحذير (إياك) وتوكيد ضرره، قاصداً بهذه العامل التحذيري توجيه الشخصية ومحاصرتها بأخذ الثأر وهذا لا يتأتى إلا بعدم النسيان.

العامل الحجاجي (لا...إلا): يُعدُّ العامل الحجاجي لا...إلا من طرق القصر في اللغة العربية، ولو استأنسنا بالرواية نجدها احتفت كثيراً بهذه العوامل التي حاصرت وقيَّدت الإمكانات الحجاجية ومن ذلك ما يقول القايد عباس: "**لا شيء يشغل بالي الآن وقد حققت كل أمنياتي إلا أن أتزوج حمامة**"[3]. يخصص الكاتب مختلف الإمكانات في هذا القول ويوجهها باعتماد العامل الحجاجي (لا..إلا) ، فينفي النتيجة (عدم شغول باله بعدما حقق أمنياته) باعتماد أداة النفي (لا) ويحصرها ويدعم حجته ونتيجته المرجوة (زواجه من حمامة) وهذا من دون الاهتمام بالاحتمالات الأخرى

[1]-عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط:5، 2001، ص:153.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:75.

[3]- المرجع السابق، ص:85.

باعتماد أداة الاستثناء (إلا). فقد أفاد هذا القصر توكيد الحجة والنتيجة والتأكيد عليها وإثباتها وتخصيصها دون غيرها، وهذا برفض كل الاحتمالات.

العامل الحجاجي كلما: ورد العامل الحجاجي الشرطي كلما في الخطاب الروائي، والذي أضفى عليه شحنة حجاجية بما يحملهُ من دلالات قادرة على إقناع المتلقي والتأثير فيه. ومن ذلك ما يقول أمقران مُخاطبا جماعته:" **كلَّما تأملتُ أطفال الكشافة، تخيلتهم ثواراً كباراً، هم أقدر على تأجيج نار الثورة**"[1]. سجل الشاهد حضور العامل الحجاجي الدال على الشرط، ولاشك من أهمية أسلوب الشرط لتقوية الفعل الحجاجي، فالعامل (كلما)"أداة ظرفية تفيد التكرار، مركبة من(كل) التي تفيد الاستغراق، و(ما) المصدرية الظرفية، تشبه أدوات الشرط لما فيها من العموم المستفاد من (ما) المصدرية الظرفية، والاستغراق المستفاد من (كل) (...) ويشترط في شرطها وجوابها أن يكونا ماضيين..."[2] استخدمَ الروائي العامل كلما الشرطية، والتي تحققت في القول باقترانها بفعلين ماضيين، مُكونةً في ذلك مع جملة الشرط وجواب الشرط قيمة حجاجية متمثلة في الحجة والنتيجة، فتكون من الأداة الشرطية غير الجازمة كلما، والجملة الشرطية (الحجة) (**تأملتُ أطفال الكشافة**) الذين يظهرون في الخطاب جُزءاً لا يتجزأ من الثورة وفاعليها، وجواب الشرط الذي كان يحمل نتيجتين مُترافقتين، النتيجة الأولى (**تخيلتهم ثُوارا كباراً**) والنتيجة الثانية الأقوى التي سيحققها هؤلاء الفتية (**هم أقدر على تأجيج نار الثورة**) ويتبين من خلال القول أنَّ ورود كلما الشرطية الحجاجية خلق إمكانات حجاجية، وهذا بعدم التقليل من شأن هؤلاء الفتية واحترامهم ودفعهم لتحقيق الحرية، وبهذا وجه الروائي دفة الحوار إلى تبصير المتلقين المتخيلين في الرواية إلى أهمية الشباب في تحريك رحى الحرب وتحقيق الحرية واسترداد الأرض، وتوجيه ذهن المتلقي المفترض إلى تعظيم دور الكشافة في تحرير الوطن وفاعليته في الثورة.

---

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:468.

[2]- محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم؛ مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات، المجلد الأول، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:1، 1996، ص:806.

2-3- حجاجية الفعل الكلامي:

عمدَ الروائي لاستخدام أفعال كلامية مختلفة في نسج خطابهِ الروائي، وهذا لتوجيه خطابهِ وجهة حجاجية، قاصداً التأثير في المتلقي وفي تفكيره وفي انفعالاته ودفعه إلى طريق الإقناع والاستمالة. فيرى مسعود صحراوي " أن الفعل الكلامي ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويعدُّ نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعالاً قولية لتحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر والوعد والوعيد...وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول"[1]. لقد أبان الفعل الكلامي عن اهتمامه باستعمال اللغة وذلك بتوسلهِ أفعال لغوية لها غايات تأثيرية، وإنَّ تأثير الفعل اللغوي المتعلق بالمتلقي وتفاعلهِ معه من خلال هذا النشاط المادي يسعى إلى تحقيقه المُرسل وتحقيق العملية الحجاجية، بواسطة أفعال لغوية يُنشئُها المرسل ويستثمرها مثيل الاستفهام والأمر والنداء والنفي... رغبةً منه لجعل خطابهِ مُقنعاً وفاعلاً.

وانطلاقاً من تحديد الفعل الكلامي ودوره الحجاجي نحاول إظهار عمل هذه الأفعال اللغوية الحجاجي من خلال نماذج حوارية، فنوردُ مقطعاً حوارياً جمع شخصيتي العربي الموستاش وسي رابح. وهذا المقطع يومئ بالتواصل والتعارف الأول بين الشخصيتين وبداية الحكاية على وتر الثورة والتاريخ الذي رسمَ ملامحهُ في مدينة سطيف:

" أراكَ حائراً يا موستاش..

عجلَ العربي بردُّ بسرعةٍ محاولاً أنْ يُظهِرَ تحدياً

مرحبا، اِسمي العربي

[1]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب؛ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط:1، 2005، ص:40.

العربي الموستاش راقبتُكَ طويلاً وظهرت لي خبرَتُكَ، اِطمئن أنا رابح. سي رابح، هل تحتاجُ إلى مُساعدة؟"[1]. تميز المقطع الحواري بتدخل السارد فيه ليصِفَ لنا الشخصية، ويصفَ الحوار الجُواني الذي حدث لها حين لقائها بشخصية سي رايح، فغرق في السرد الوصفي لتبيان الشخصية. ولقد بدرت من كلاهما سلوكات إيحائية جعلت التواصل بينهما يتدرج إلى الأمام. وإضافةً إلى حجاجية السلوك الذي لم يترك وقعاً على العربي الموستاش فقط بل حتى المتلقين ليطمئنوا لهذه الشخصية وينتظروا منها مبادرات كثيرة. هناك حجاجية الأفعال اللغوية التوجيهية المعتمدة في هذا المقطع. "فللأفعال اللغوية دورٌ يتجاوز الدور المُساعد في تركيب الخطاب، إذْ يستعمل المُرسل الاستفهام أو النفي أو الإثبات في الحجاج على أنَّها الحجج بعينها"[2]. ويكون الإقناعُ بالأفعال اللغوية بقصدٍ مباشرٍ، أي أنه يتم الإتيان بالسبب المباشر للاقتناع بالرسالة مباشرةً، فاعتمدَ لتحقيق الغاية الحجاجية أفعالا توجيهية: أسلوب النداء (**يا موستاش**)، وهذا النداء بتوظيف خاصية يا للنداء والمنادى **الموستاش** الذي اختلقهُ **سي رابح** حتى يُزيلَ الكلفةَ بينهما، ويفتح باباً للتحاورِ الهادئ، ويستطيعَ التواصُلَ معه مباشرةً. وهناك أيضاً اعتماد الفعل اللغوي الأمر بإلزام صاحبه بالقيام بأمر (**اطمئن أنا رابح**)، هذا الفعل التوجيهي بصيغة افعل من الآمر **سي رابح والمأمورالعربي الموستاش**، ليوجهَ صاحبَهُ إلى الاطمئنان والسكينة لهُ، وعدم القلق منهُ، وهو عملية لجأ لها الآمر **سي رابح** ملتمساً من المأمور **العربي** الثبات والسكينة نحوهُ والاستجابة لطلبهِ، وكانت الحجة تُضمِرُ وتحملُ النصيحةً لصاحبِها أيضاً، فهذه حجةٌ أخرى انتقل فيها الآمر من القول إلى إنجاز الفعل والامتثال لهُ وهنا تكمن حجاجية الفعل وتأثيرهِ من ناحية المأمور ومن ناحية متلقي الخطاب الذي وجهَ لهُ الحكي لاستمالته وتقريبه من الشخصيات في الحوار.

و لا عجب أن يكون الفعل التوجيهي الاستفهامي من دعامات العملية الحجاجية وهذا لتحريك النفوس والعقول بطرحهِ. ومن ذلك ما جاء في القول السالف (**هل تحتاجُ إلى مُساعدة؟**) هذا السؤال المُستفسر عن وجهته ورغبتهِ في المساعدة، وفي الآن نفسهِ هو فعل حجاجي يُضمر فيه المساعدة خارجاً عن معناه إلى معنى آخر يستلزمهُ

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص142،143.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص483.

بعيداً عن السؤال الاستفهامي، أي يحاول أن يطلبَ منه الموافقة على مساعدتهِ. وما كان هذا السؤال إلا لإزالة الشُقَةِ بينهما. وإلى جانب الآليات التي صاحبت الخطاب التلفظي هناك علامات وأمارات صاحبته: الحيرة، المراقبة والمبادرة إلى الاستضافة، وزادت من رسم الشخصيات وإعطائها شيئا من الواقعية، فهذا الفعل الوصفي لهذه العلامات وإيرادِها يضفي عمقاً عليها ويُلبسِها ثوب الحقيقة. وإنَّها لعلامات تترك القارئ يعيشُ الواقعة ويمتثلُ ذهنه الشخصيات ويترجمها، وبالتالي يستطيع إسقاطها في حياتهِ انطلاقاً من مجموعة العلامات الإيحائية.

كما استعمل الكاتب في خطابه الروائي الفعل التوجيهي الاستفهامي على لسان إحدى الشخصيات لا رغبةً في معرفة أمر غير معلوم، وإنما اعتمدهُ لطرح انشغالاته ومشاركتها والمتلقي، وهذا ما أظهرهُ المقطع الآتي ذكرهُ. "**لطالما سأل نفسهُ: من هم ومن فرنسا؟ وما علاقتها بهم؟ ولماذا هي هنا تقمعهم بالحديد والنار، وتدهم جيوشها قراهم فتفرض عليهم ما تُريد، تنزع منهم أبسط ما يملكون، وتتقاسم معهم غلاتهم الشحيحة؟ وهم ليسوا سواء، ملامح ولغة ودينا، كلما ذكر كلمة النصارى واليهود في القرآن، إلا وتذكر قول معلمه في الكتاب، إنهم فرنسا، وتذكر تعليقه مستشهدا بالآية " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملَّتهم" (...) ويحلم: آه لو كنتُ سيف بن ذي يزن، لأبدتُ النصارى عن آخرهم، وصيرتهم كالعهن المنفوش الذي شرحه لنا معلم الكتاب**"[1]. يُثير هذا المقطع الحواري الداخلي بنظامهِ اللغوي وآلياته الحجاجية اللغوية والبلاغية التجارب التي يمر بها الإنسان، فهو بهذا يبين عن قدرة الشخصية ووعيها بذاتها وما يُحيط بها وتشكل معارف متعددة لديها، وإدراكها لعالمها الخارجي وتواصلها معه، بداية الوعي الاجتماعي لدى العربي الموستاش وتشكله، ولقد توفرَ القول فعلاً كلاميا يثير مسألة محاورة الشخصية لذاتها؛ والذي يوضح بداية تشكلات الوعي عند العربي الموستاش بنفسهِ وبوطنهِ، وأثارَ هذه القضية التحررية بمجموعة من الأفعال اللغوية الاستفهامية التي لا يرغبُ بالإجابة عنها فهو بات يُدركُها، بقدر استنكارهِ هذا الكيان الظالم ووجودهِ الجائر في هذه الأرض. "**من هم ومن فرنسا؟ وما علاقتها بهم؟ ولماذا هي هنا تقمعهم بالحديد والنار، وتدهم جيوشها**

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:40،41.

قراهم فتفرض عليهم ما تُريد، تنزع منهم أبسط ما يملكون، وتتقاسم معهم غلاتهم الشحيحة؟". ولقد علمنا أن الاستفهام يُعدُ من أنجع الأفعال اللغوية حجاجاً، وقد لا يُراد الإجابة بقدر الاستخبار عن الأمر ويترك ذهن المتلقي يتأمله من سائر جوانبه[1]. فهذه الأفعال الاستفهامية اعتمدها الروائي على لسان حال العربي الموستاش لإثارة ذهن المتلقي والخروج به إلى عمق السؤال وهذا بالأخذ والرد في مسألة التحرر، واستلزم الاستفهام غرضاً غير البحث عن الإجابات وهو استنكار واستهجان هذا الوجود المحتل، واستهجان أفعاله الخارجة عن مألوف الإنسانية، وإقحام المتلقي في هذا الحوار الداخلي وتقريبه منه واستمالته حتى يتمثلهُ ويتخيلهُ ويمنح الخطاب الدلالات التي يستحقها بتأويله.

الفعل الكلامي الوصفي: إنَّ تقنية الحوار فتحَت مجالاً للمتحاورين على التعبير عما يجولُ بداخلهم والتعريف بأنفسهم، وهكذا فعل **العربي وسي رابح** حين راحَ كلُّ واحدٍ منهما يُظهرُ للآخر ما وراءَهُ، كما أعطى فرصةً للفعل الكلامي الإخباري الوصفي بالبروزِ، مُشتملاً على أدق التصويرات في حيواتهم. يذكر السارد: "**وتساءلَ العربي مدفوعاً بهواجسهِ، هل وراء رقة كلامهِ خديعة؟ كان سي رابح طويلاً نحيلاً عريضَ المنكبين يضعُ عمامة بيضاء، ويلبسُ معطفاً تجارياً أسود، وسروالاً عرب بنياً، لا يبدو الشر على ملامحهِ، وليس للعربي أن يُخطئ بفراستهِ الصافية تمييز معادن الناس (...) وأخرجهُ سي رابح من حيرتهِ وهو يُحدقُ فيه بعينيه العسليتين ويُردِفُ: اِحذر قد تحتالُ عليك بعضُ الشياطين**"[2]. لقد اعتمد الروائي في هذا المشهد التصويري على الفعل الحجاجي الإخباري الوصفي للوصول إلى إقناع المتلقي وترسيخ الشخصيات في ذهنه بتمثيلها، وخدم العملية الوصفية أدوات لغوية. " يشمل الوصف عدداً من الأدوات اللغوية منها: الصفة، واسم الفاعل، واسم المفعول"[3]. وإنَّ الناظر للمشهد الحواري التصويري السالف يألف تصويراً ووصفاً متناهياً للشخصيات، مُستنداً على الصفة المشبهة: طويلاً، نحيلاً، بنياً، أسود، بيضاء.. والنعوت: تجارياً،

[1]- يُنظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص:484.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:143.

[3]-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص:486.

الصافية، العسليتين.. والأحوال: مدفوعاً، وهو يحدق..، وهذا حتى يتركَ للقارئ فرصةً للتأمل والتخيل والاندماج بالعالم التخييلي، حجج لغوية يُحيلُ فيها الكاتب القارئ لاكتشافِ الشخصية بصورةٍ تدريجية، ليكملها تركيبتها في باقي الرواية انطلاقا من مجموع الأوصاف التي تتميز بها هذه الشخصية كلَّما ظهرت، ويقتفي أثر التحولات التي تجري في حياتها وفكرها كلما تطورت الأحداث وتشابكت. وإنَّ توظيفها في هذا السياق دون غيره جعلها أداة مُؤثرة من أدوات الحجاج التي أفضت إلى تحقيق الغاية الحجاجية المرجوة من الخطاب بإثبات الشخصية ورسم ملامحها عند المتلقي عن كثب، قصدَ إقناعهِ وجذبهِ نحوها وجذبِ أحاسيسهِ للدفاعِ عنها. ولقد رافقت هذا الوصف لشخصية **سي رابح** التي تظهر مُحتفيةً باللباس التقليدي الجزائري، علامات سلوكية سياقية " **وأخرجهُ سي رابح من حيرتهِ وهو يُحدقُ فيه بعينيه العسليتين**" فإنَّ هذه الحركات السلوكية الحجاجية لها مقصدية دلالية تُساعدُ المتلقي على الإدراك وتأويلِ الملفوظ وتنشيط التخيُّل، وتُساعدهُ على فهم الشخصية والعيش مع الحكاية كأنَّ لهُ دورٌ ضليعٌ بها أو يشاركهما الحوار، وتصور هذا العالم الذي انطبعَ في ذاكرته بعد فعل القراءة.

3-3- التقنيات البلاغية:

عمدَ الروائي في نسجِ خطابهِ الروائي لاستثمارِ حجج مختلفة تخدمُ الغاية التي يسعى لها، مُستعيناً بالبلاغة في انتقاءِ الحجج المؤثرة. "فتعدُّ البلاغة آلية من آليات الحجاج وذلك من خلال الصور البيانية والأساليب الجمالية لتستحوذَ بذلك على مشاعر المتلقي، والأساليب البلاغية قد يتمُ عزلها عن سياقها البلاغي ليؤدي وظيفة لا جمالية، بل يؤدي وظيفة إقناعية استدلالية، من هنا يتبين أنَّ معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداءِ أغراض تواصلية ولإنجازِ مقاصد حجاجية"[1]. يبين القول أن الصور البيانية والبديعية تضطلع في السياق بالدور الجمالي باستحواذها على مشاعر المتلقي بغمسهِ في جمالية التخييل، كما تضطلعُ بالدور الحجاجي الإيحائي وتُؤدي غايات حجاجية جراء توظيفها، وهذا ما اضطلعت به الصور البيانية والبديعية في الخطاب الروائي؛ وإننا سنحاول إثبات ذلك من خلال بعض النماذج.

[1]-صابر الحباشة، التداولية والحجاج؛ مداخل ونصوص، صفحات للنشر والتوزيع، سورية دمشق، ط:1، 2008، ص:50.

3-3-1- التشبيه:

إنَّ التشبيه يعدُّ تقنية من التقنيات البلاغية، يعمد لإنشائه منتج الخطاب لتقريب الصورة للمتلقي وتوضيحه له " التشبيه تمثيل فهو أداة برهنة ذات قيمة حجاجية، حيث لا يرتبط التشبيه بعلاقة المشابهة دائما، وإنَّما هو تشابه العلاقة؛ فهو مواجهة بين بنى متشابهة وإن كانت من مجالات مختلفة "[1]. وقد أورد الروائي عز الدين جلاوجي في خطابه الروائي عديداً من العلاقات المُتشابهة لتحقيق البرهنة مُستهدفاً ذهن المتلقي لهذه التمثيلات صراحةً أو ضمناً، وتأتي هذه التشبيهات مثلاً قصد الرجاء بقوله على لسان شخصية العربي الموستاش: "**آه لو كنتُ سيف بن ذي يزن، لأبدتُ النصارى عن آخرهم، وصيرتهم كالعهن المنفوش**"[2]. فهذا الفعل الكلامي العميق الذي يحملُ تمنياً ورغبةً في تحقيق العدالة، بتحويل النصارى(المشبه) في علاقة متشابهة تخيلية إلى عهنٍ منفوشٍ(المشبه به)، وهي حجة تشبيهية يضمرُ من خلالها نيته في تحقيق هذا ويرسلُ رسالته المضمرة إلى ذهن المتلقي للتخيل، ويُحركُ نفسه الوطنية وانفعالاتهِ، فعاقبةُ هذا المحتل وقيامتهُ ستكون على يدي العربي وأمثاله.

وفي تصويره لشخصية الزيتوني يضرب التمثيل الآتي يقول:"**حين امتطى تل الغربان، حط على ذروتها كطائر اللقلق المذعور المنهك**"[3]. لقد ربط الروائي بين علاقتين مُتشابهتين فالصورة الأولى (الزيتوني لما اعتلى تل الغربان وحط به منهكاً مُتعباً يائساً بعد مقتل والده) والصورة الثانية التي كانت محل المُشابهة (كطائر اللقلق مُتعباً منهكاً) فوظيفة التشبيه هنا كانت إيحائية رمزية للتعبير عن حالة شخصية الزيتوني الذي شبهه بالرمز طائر اللقلق المذعور، والتي تؤدي ضمنياً وبدلالة إيحائية قساوة الألم الذي يعيشهُ بعد قتل والده وعدم قدرته الانتفاض في وجه القايد عباس. وجاءت موحية بعاطفة الشفقة اتجاهه ومُساندتهُ في همه.

[1]- ينظر عبد الله صولة، في نظرية الحجاج؛ دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط:1، 2011، ص:56،57.

[2]-عزالدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:40،41.

[3]- المرجع السابق، ص:16.

لقد احتفى الروائي عز الدين جلاوجي كثيرا في رواية حوبة بالتشبيهات، وقد كانت جلها تحمل دلالة جمالية إيحائية ولتقريب الصورةُ للمتلقي" فالتمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهة.. وضاعف قُواها في تحريك النُفوس"[1]. إذن رواية حوبة وفي غالب صفحاتها برز التمثيل فيها، ناقلاً التصوير إليه، والدلالة الإيحائية، ففي التشبيه البليغ يوردُ قول العربي الموستاش **" أرأيت يا سي حسان، نحن عاصفة، والعاصفة التي لا تقلع الأشجار النخرة ليست عاصفة"**[2]. فالتشبيه في هذا القول (نحن عاصفة) يأتي بدلالة رمزية التي تُعبر عن موقف الجماعة من وجود الآخر الذي بات يؤرقها، ولا ترى إلا الهبوب لاقتلاع وجوده، واقتلاع من يُؤازرهُ ويدعم وجودهُ. وقد نبهَ التشبيه من وراء الرمز إيديولوجية الجماعة التي ترفض الاندماج. وينقل وضعاً خاصاً للشخصيات في صراعها مع الآخر وبقصد من الروائي بخاصية تمثيلية للتأثير في المتلقي وإشراكه في العملية التأويلية.

3-3-2- الاستعارة:

تدخل الاستعارة ضمن حجج التمثيل اللغوي وهي حجة من الحججِ المؤسسة لبنية الواقع وآلية بلاغية، يستعملها المتكلم بقصد توجيه خطابه. " فالاستعارة الحجاجية تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، والاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشاراً لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية التواصلية"[3]. تختلف الاستعارة الحجاجية عن غيرها لارتباطها تداوليا بالمتكلمين وغاياتهم، فهي لا توضع اعتباطاً وإنَّما تُطرح لتحقيق مقاصد حجاجية، والخطاب الروائي حوبة **ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** احتفى بهذه الآلية، وتزاحمت فيه مُلونةً إياهُ بجمالياتها ومقاصدها. ومن الصور التمثيلية

[1]--محمد مشبال، البلاغة والسرد؛ جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، د:ط، 2010، ص:17،18.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ص:534.

[3]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص:108.

الاستعارية قوله: "**ورفرفَ النومُ فزعاً هارباً من بين جفنيها(...) وهي تفكُ أهداب عينيها من آخر قيود النوم**"[1] إنَّ المعطى الحواري يصف لنا شخصية حمامة حين إدراكها ما ينتظرهما وهذا من وراء المقيل، (فالنوم لا يهرب فزعاً ويرفرف) إلا إذا كانت القضية أقوى، وهو بهذا التمثيل يصنع حجة قوية لتدعيم الطرح، وتُعدُّ من أقوى الحجج من الأقوال العادية، وتفتح أفاق التأويل أمام المتلقي، فهي تمثيلٌ تلاعبَ فيه الكاتب بالكلمات ليُعطيها أبعادا دلالية أخرى، ويدفع بذلك القارئ للغوص والاقتناعِ بهذه الصور وإثارة انفعالاته. وكذلك كان شأن التمثيل الاستعاري في القول الذي أردفهُ(**تفكُ أهداب عينيها من آخر قيود النوم**) حيث شبه النوم بالسَّجان الذي يضع قيوداً، وحذف السجان واستعار منه صفة القيود وفكها، وهذه الصورة غاية في المبالغة والتي من شأنها استمالة المتلقي واستمالة عواطفهِ وإشراكه في العملية وإقناعه بفحوى الخطاب.

ويؤكد الروائي عز الدين جلاوجي حجاجية خطابه الذي نجدهُ قد لونَهُ باستعارات حجاجية لاستمالة الأذهان والعواطف . فيذكر السارد: "**كان المساء يزحفُ على المدينة، وكانت السماء مدججة بسحب كثيفة**"[2] . فاستعار صورة (الزحف) للمساء وحذف المشبه به الزواحف، وهذا ليقرِب إلى ذهن القارئ صورة ذاك المساء الزمني قبيل أحداث8 ماي 1945 الذي كان مُضطرباً، ولقد رافق ذلك المساء (السماء مدججة بسحب كثيفة) فشبه السماء وسُحبها بالجندي المُزود بالسلاح،ليومئ للقارئ أنَّ حتى الطبيعة ساندت مدينة سطيف وسخط أهلها من الوجود الفرنسي في أرضها. فمزج الروائي من خلال هذه الصور الحجاجية الاستعارية بين الإمتاع باللغة التعبيرية وبين الإقناع الذي يتوسل تحقيقه هذا الخطاب في ذهن المتلقي واستمالة عواطفه نحوه. وبالتالي يقتنع بطرحهِ، وبأنَّ هناك جو جمالي رحب خلقهُ الكاتب ورؤية ومعالجة بالحجج التخييلية الوصفية التمثيلية، التي منحت خطابهُ الحواري دوراً تداولياً فعالاً أكسبه دلالات وفيرة، وتركتهُ دوماً منفتحاً على القراءة والتأويل وإعادة الصياغة، كما جعلتهُ يصلُ إلى مقصديات تداولية في إفهام الغير وجعل المتلقي يتذوق جماليتها وجمالية اللغة التعبيرية.

---

[1]-عزالدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:321.

[2]- المرجع السابق، ص:436.

3-4- التقنيات شبه المنطقية:

يتأسس هذا الصنف من الحجج على تماسهِ بالتقنيات الاستدلالية الرياضية والبرهنة المنطقية "فترمي إلى صحة الموضوع ومشروعيته بفضل مالها من بعد عقلاني تستمدهُ من علاقتها ببعض الصيغ المنطقية والرياضية"[1]. إذن تستوحي هذه التقنيات صحتها وقوة إقناعها لدن المتلقي انطلاقاً من بعدها العقلاني القريب من المسائل الرياضية والمنطقية ومن ذلك:

3-4-1- السلالم الحجاجية:

استعان الروائي في نسج خطابه الروائي وترتيب حججه ترتيباً منطقياً أسلوباً حجاجيا، وذلك باعتماد تقنيات حجاجية وسلَّماً تدرُجياً مُرتباً وفقه حججه ترتيباً سلمياً من الأعلى إلى الأسفل. فيُشير ديكروDécro إلى هذا الترتيب للحجج بمختلف أنواعها "على أنَّها تعرفُ تراتُباً معيناً يكون مُتسلسلاً في الدرجة، بحيث يكون الحكم أو الاختيار من قبل المعني مؤسسين على درجتي القوة أو الضعف وليس الصدق أو الكذب"[2]. وإنَّ هذا الترتيب للحجج ما اصطُلِح عليه بالسلالم الحجاجية، فالحجج في أي خطابٍ لا توضعُ اعتباطاً، بل تُنتقى حسب قوتها في الكلام وتأثيرها، ودرجتها التفاعلية، ويضيف على ذلك أنَّ "تراتب هذه الحجج وتدرُجِها من الأعلى إلى الأسفل ومن القوة إلى الضعف هو الذي يمنحُها تلك الطبيعة السُلميَّة"[3]. فتنطلق تقنية السلالم الحجاجية من الإقرار بترتيب الحجج وفق القوة والضعف وتتدرج من أعلى وأقوى حجة إلى أدناها حجة. وقد جاء هذا الترتيب في اللغة الروائية. ومن ذلك ما يقول: " **هل تعتقدين يا حمامة أنَّ أولاد النَّش سيسكتون عن ثأرِهم؟ ورفرفَ النومُ فزعاً هارباً من بين جفنيها فاستوت جالسةً وقالت: وهي تفكُ أهداب عينيها من آخر قيود النوم:**

- ما الذي ذكركَ بذلك؟

---

[1]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج؛ دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط:1، 2011، ص:49.

[2]-Oswald Ducrot , Lés échelles argumentatives . éditions de Minuit . Paris.1989.P.19-30عن,محمد بن سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص:194.

[3]-المرجع السابق، ص:194.

ردَّ وهو يدفعُ بظهرِهِ إلى الجداريُسندهُ: لا أدري، ليس هناك ما يريب، ولكن ليس أولاد النَّش من يسكتْ عن ذلك.

سألتْ بحيرة: و أنَّى لهم أنْ يعرفوا القاتلَ؟ أم تظن أنَّ السرَّسيُفشى؟ ربما. قالها العربي الموستاش واستدارَ في فراشهِ ونامَ نوماً مُتقطعاً"[1]. إنَّ السلالم الحجاجية تستلزم ربط الحجة بنتيجتها؛ ويتمُ هذا الربط بالتدرج في القوة والدرجة؛ أي من القوة إلى الضعف، وهذا إذا نظرنا إلى القول نجده يترتب تدريجيا في حججه ويخضع لسلمية من القوة إلى الضعف ويمكن أن نستعمل هذا السلم الحجاجي فنرمز للحجة (ح) والنتيجة ب(ن) والمستوحى من ترتيب أبي بكر العزاوي من كتابه اللغة والحجاج:

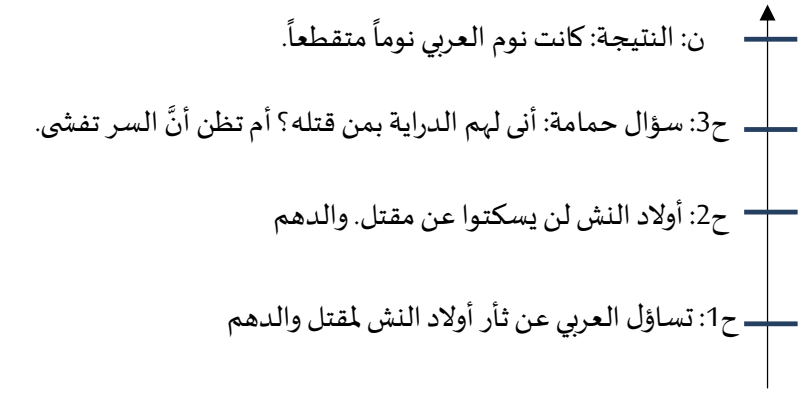

فإنَّ جملَ المشهد الحواري السردي هي حججٌ متراتبةٌ تدرجت مبدوءةً بحجة الاستفهام وبتساؤلٍ وقلق **العربي** وحيرته بعد قتله **للقايد عباس** من ثأر أبنائه له(**هل تعتقدين يا حمامة أنَّ أولاد النَّش سيسكتون عن ثأرِهم؟**)، إلى حجة تتحدث عن الزمن المستقبلي القريب تبادرت إلى ذهنه: **(أنَّ أولاد النش لن يسكتوا عن مقتل والدهم)**، لتُباغتهُ **زوجته حمامة** بردٍ هو حجة استفهامية أخرى وتساؤل: **(كيف لهم الدراية بمن قتله؟)** وفي الآن ذاته استدركت القول باعتمادِ الرابط الحجاجي "أم" والروابط الحجاجية les connecteurs"تربطُ بين قولين أو بين حجتين على الأصح أو أكثر، وتسندُ لكل قول دوراً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة"[2]. فأردفت على الحجة الأولى حجةً أخرى فيها احتمالية وأدخلت **العربي الموستاش** في ظنون. وأفادَ الرابط الجمع بين الحجتين واحتماليتهما في الحدوث معاً. فيبدأ المشهد الحواري بالحجة الأولى التي تُظهرُ قلقاً وحيرة على **العربي الموستاش**؛ لتنتهي إلى سلوك ظهرَ من حيرته ومن ردود **حمامة** على أسئلته وهو دخوله في نوم متقطعٍ. فإنَّ هذا التدرج الواعي في سوقِ الحججِ والأقوالِ وإخضاعِها لقواعدَ سلمية، له اعتبارات جمالية إقناعية تأثيرية" إذ لا تستطيع أن تُقنِعَ وتؤثِرَ من دون مضمون، أي من دون نسقية المعاني

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:321.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط: 1، 2006، ص:27

والأفكار، ومن دون العلاقة الحججية باعتبارها علاقة عقلية"[1]. إذن هذا الطرح للقضية والذي جاء بها سكون الليل والحيرة، اقتضت لتداولها طرفين متحاورين يتشاطران الحديث، ولجأت للاستفهام كفعل لغوي حجاجي لتُعبِرَ عن قلقها وتبثهُ في نفس القارئ الذي يعيشُ الحكاية معهما وينتظر ردة فعل أولاد النش. لقد تكررت الاستفهامات في هذا المشهد الحواري بطلب معرفة شيء مجهول باستعمال أدوات الاستفهام: هل، أنَّى، ما، ولكن هذا الشيء المجهول كان متصلاً بالنفس، يُريدُ أن يريحها بهذه الاستفسارات لعله يلقى من بينها إجابةً يقنِع بها نفسهُ فتهدأ، وتعليلاً يُركِدُ موجة القلق التي اجتاحتهُ. فنجد الروائي عزالدين جلاوجي استطاع بهذه الصيغ ترتيب حججه، للوصول بها إلى النتيجة التي أراد إيصالها للمتلقي لاستمالته للخطاب الحجاجي وإذعانه لشعوره بإشراكه في هذا القلق وهذا الحوار.

3-4-2- حجة الشاهد:

لقد استأنسَ الروائي في مقاطع سردية وحوارية كثيرة بحجة الشاهد، وهي الخطابات التي ليست لعز الدين جلاوجي، وإنّما تمثلت في آيات قرآنية منقولة على لسان الشخصيات، أحاديث نبوية، أشعار فصيحة وعامية، أخبار تاريخية وأحداث في البطولة، ذات دعامة حجاجية قوية وضعها المتكلم لتحقيق الإقناع، والتي تومئ بكفاءته التداولية في اختيار النصوص. فالشاهد" من شأنه أن يقوي درجة التصديق بقاعدة ما معلومة وذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول ذا الطابع العام، وتقوي حضور هذا القول في الذهن"[2]. يُؤتى بالشاهد في مختلف الخطابات لإيضاح أمر ما وتأكيده، وهذا لأنَّ الشاهد له حضوة لدى العامة، ولقد كان للشاهد حضوراً كبيراً في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**، نظراً لما يستجلبهُ إذا دخل نص روائي من دلالات وإثباتات استدلالية. يقول عبد الله صولة:" ولما كان الاستشهاد أو التبيين يهدفُ إلى تقوية حضور الحجة يجعل القاعدة المجرَّدة ملموسة بواسطة الحالة الخاصة يستشهد بها، فقد نظر إلى هذا الاستشهاد على أنهُ صورة تدعم القاعدة وتوضحها"[3]. إذن للاستشهاد غايات يتوسل مُرسل الخطاب تضمينها وإيصالها للمتلقي رغبةً في تبيين وإيضاح رؤيته والوصول به إلى التصديق.

---

[1]- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي؛عناصر استقصاء نظري، عالم الفكر،العدد:1،المجلد:50،الإصدار: 1يوليو2001،، ص:107.

[2]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج؛ دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط:1، 2011، ص:55.

[3]- المرجع السابق، ص:55.

وإنَّ الروائي عز الدين جلاوجي منح خطابه هذه المزية الحجاجية التي جاءت كثيرة ومن ذلك ما كان يبديه تأثر العربي الموستاش بحلقات القرآن بيّنا، وبالقرآن والحكايات التي كان يستشهد بها معلمه لإثارتهم، وتثبيت الأصالة فيهم، فالشاهد القرآني كان حاضراً ليُدعم قاعدتهُ العامة، ويُقوي حجته لتحقيق تصديق المتلقي لها والإذعان لمضمونها. فيقول السارد :"**كلَّما ذكر كلمة النَّصارى واليهود في القرآن، إلا وتذكرَ قول معلمه في الكُتاب، إنَّهما فرنسا، وتذكر تعليقه مُستشهداً بالآية" ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملَّتهم"**[1] **مُقتبساً من قول الله تعالى من سورة البقرة. الآية: 120 "ولَنْ تَرْضى عَنكَ اليَهُودُ ولَا النَّصَارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ"**[2].

ويستدل أيضا بشاهدٍ آخر ويُضمنهُ للشاعر أبي القاسم الشابي والذي من شأنهِ أن يُقوي درجة التصديق لدى المتلقي ويساهم في إذعانه لهذا التخييل التاريخي والشخصيات التاريخية وبوجودها وبقضيتها:

إذا الشعبُ يوما أرادَ الحياة ..... فلابدَّ أن يستجيبَ القدر

ولابدَّ لليل أن ينجلي .....ولابدَّ للقيدِ أن ينكسر[3] . إذن الروائي بهذا التضمين لهذا الشاهد يدعم قضيته ويقوي حُضورها في ذهن مُتلقيه، كما يقوي درجة التصديق بها.

3-4-3- حجاجية المبادئ الفكرية:

ينبني الخطاب الروائي في نسيجه على قضايا متعددة ومجموع رؤى وأفكار، هي بمثابة مبادئ فكرية يُضمنها الكاتب في خطابه " فمدار الحجاج يقوم على القيم، فهي غداء أساسي يُعوِل عليه في جعل السامع يذعن لما يُطرح عليه من آراء"[4]. إذن العملية الحجاجية تُعول على مجموع قيم ومبادئ يسعى الروائي من ورائها إذعان المتلقي لها وترسيخها أو

[1] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:41.

[2] - القرآن الكريم، برواية ورش عن الإمام نافع من طريق الأزرق،سورة البقرة، الآية120، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د:ط، 2021، ص:20.

[3] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:495.

[4] - محمد بن عمارة، الأبعاد الحجاجية للنص الشعري الفلسطيني؛ قراءة تداولية لسانية لقصيدة في القدس لتميم البرغوثي، الخطاب الحجاجي بين التنظير والإجراء، مؤلف جماعي، سلسلة منشورات مخبر التراث والدراسات اللسانية، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف، ط:1، 2022، ص:65.

التفاوض معها ورفضها. فها هو القول الآتي يُظهِر انتماءً فكرياً أيديولوجياً ويُعرِف بشخصية تاريخية. يذكر السارد شخصية **فرحات عباس** واصفا إياها" **تساءلَ في قرارةِ نفسهِ متى يجلسُ أبناؤنا أيضاً مع أبناء الفرنسيين على طاولة واحدة لينهلوا العلمَ أيضاً؟ تعالت نو اقيس الكنيسة تكادُ تصمُّ الآذان، مدَّ بصرهُ يتأملُ منارتها العالية، مُردداً في قرارة نفسهِ، هنا كنيسة، هناك مسجد، هناك كنيس، أليست الأديان كلُّها من الله، أليست الأرض كلُّها لله، فلماذا نتقاتل؟** "[1]. لقد أبانت شخصية **فرحات عباس** المبادئ الفكرية التي تنتمي إليها، واعتمادِها مجموعة من القيم التي تسترعي انتباه القارئ وتطرح في نفسِهِ تساؤلات. قيمة الدين كله لله. وقيمة الأرض كلها لله. وضرورة التعايش والتصالح والعيش في وطن واحد، فلا ضرر أن يتحقق. فهذه القيم تُعيد رسم شخصية فرحات عباس وإحياءَهُ كشخصية ليُناهض من جديد من أجل هذه القيم، ويدعو لها وكأنها تعيد قراءة الواقع انطلاقا من هذه الشواهد الحوارية والشخصيات التاريخية بأنَّ هناك من لا يزالُ ينادي ويُناهض بهذه القيم ويرغبُ بالاندماج في فرنسا. ولا يبغي الروائي منهُ إجابةً بقدر التحيُّر بما أتى، وإثارة أفكارٍ تستجيبُ لمنطقه وقد لا تستجيب حسب منطلقات الشخصيات وانتماءاتها الفكرية.

إنَّ الخطاب الروائي **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** كانت حقلاً خصباً لمختلف الحجج الإقناعية والتقنيات اللغوية والبلاغية والمنطقية، ولقد حاول الروائي توظيفها توظيفاً منطقياً وفق تقنيات مخصوصة، مُستخدماً وسائل متعددة لبناء حجاجي تتدرج فيه الحجج والنتائج، أجلَ إقناع المتلقي بوجهة نظره، أو بالتأثير في سلوكاته، فالقيمة التي أدتها هذه الوسائل داخل الخطاب لها دور مهم في صيرورة العملية الإقناعية بشكل سديد ولذلك أثث لخطابه الروائي انطلاقاً من رؤيته الإقناعية التي يتوخى أن يستميل بها المتلقي لخطابهِ والتأثير فيه.

[1]- عزالدين جلاوجي، رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:439،440.

رابعاً: جمالية المكان وبعدِهِ الحجاجي:

لا يخلو أي نصٍ روائي في بنيتهِ النصية من مجموع الأمكنة المنتظمة داخل الحكي، وتُعدُّ مسرحاً لأفعالِ الشخصيات وتشهدُ على أقوالِها وأفعالها وحركاتها، عنصرٌ أساسيٌ في بناء النص السردي، يُساهمُ في خلق دلالات لا متناهية، ويمنحُ الشخصيات إطاراً حيوياً تسري فيه الأحداث والوقائع والسجالات، ويُعبر كذلك عن رؤية الكاتب والأبطال في الرواية، فليس مجرد ديكور يؤثث الحكي، بل يُعطي للشخصيات بُعداً آخر أقرب منه للحقيقة، ولعلَّ هذا ما سنحاول تقصيهِ في هذه الجزئية. بإظهار كيفية تمظهر الأمكنة الحجاجية وتداوليتها.

4-1- بنية المكان:

يعدُّ المكان مكوناً أساسياً في الرواية، وعلى مسرحهِ تجري الأحداث المختلفة وتتصاعد، وإنَّهُ لا يزاحمُ غيرهُ من العناصر الروائية بقدر إضفاء علاقات دلالية ومنحها إطاراً تتحرك فيه لتُحقق واقعيتها، والمكان المقصود هنا هو الفضاء الجغرافي في الرواية الذي لهُ حدود هندسية ومعالم معمارية، المكان الرحيب الذي يحتوي الشخصيات وهمومها وأحداثها وتقاليدها وقيمها. فيعرفه عبد المالك مرتاض:" إنَّهُ خشبة مسرح واسعة تعرض الشخصيات من خلالها أهواءها، وهواجسها، ونوازعها، وعواطفها، وآمالها وآلامها... تحب، إن أحبت، عليه؛ وتكره، إن كرهت، من خلاله. لا تستطيع الشخصيات في تعاملها مع الأحداث، فعلاً أو تفاعُلاً، أن تُفلت من قبضة هذا الحيز"[1] فهذا الإطار الهندسي الذي تجري على أرضهِ الأحداث وتتنامى لم يكن بيتاً فحسب بل كل مكان لهُ علاقة بالشخصية، يُؤثر ويتأثر بها، تستمدُ منه ويستمدُ منها في علاقة متبادلة، مُرتسمٌ في الخطاب الروائي عن طريق اللغة التي تُسطرُ حدودهُ، ونلفي الروائي في خطاب **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** لا يقدمُ حداً أدنى من الإشارات المكانية التي تُحركُ خيال القارئ لاكتشاف المكان الذي تُصورُهُ القصة، بل كان المكون الأكثر حضوراً وفاعليةً في الرواية، دأبَ على تأثيثه ووصفهِ بدقة واهتمَ بتصويره بكثافة وتركيز كبيرين، ولقد تكشفت خلال الحكي للمكانِ أبعاد مختلفة ومن زاوية نظر مختلفة،

[1]- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية؛ بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، د:ط، 1998، ص:135.

وتنطلقُ كلُّها من طبيعة علاقة الشخصية بالمكان والأبعاد الدلالية الحجاجية التي منحتها إياهُ، وعلى إثر هذا سنركز على هذه الأبعاد . ونُظهر كيف استطاع الروائي إقناع القارئ بتخيُله والتعايش معه؟

4-2- تداولية حجة العاطفة :

ينهضُ المكان في الروايات المُعاصرة بأدوار ذات أبعاد مهمة وحساسة، تستمدُ الحياة من الشخصيات ومن حركيتها، وهذا من خلال علاقة التأثير والتأثر المتبادلة بينهما، ويقومُ هذا النوع من الأمكنة بتميُزِهِ بإثارة العواطف والأحاسيس والهواجس، وبالحديث عن حجة العاطفة التي ظهرت في الرواية كثيراً وتلونت بلونها، فهي من الأفعال الكلامية الحجاجية التي لها تأثيرها، فهي لا تقلُّ أهمية عن الحجج الأخرى في تحقيق التداول والإقناع الحجاجي " فالحجة بالعاطفة أو العاطفية تهدفُ إلى التأثير على انفعالات الجمهور، بالبحث عن الشفقة كحجة بسيطة تستعمل في التسول أو القضايا الجنائية، أو بالبحث عن النجاح من موقع القوة، فنلجأ إلى الوعد أو الوعيد، لإخضاع المتلقي أو جعله في وضعية دونية (...) فتستعمل كل مصادر شخصية الخطيب، أو الانفعال للخروجِ من المجال العقلاني ولإثارة الخوف، أو الاحترام، أو الانفعال، فينفتح حقل الحجاج لكلِّ أشكال الإغراء"[1]. إنَّ من مقتضيات الفعل الحجاجي العاطفي إظهار الانفعالات الداخلية التي تمرُ بها الشخصيات وإعلانها في الخطاب اللغوي، فتتهيأ في صورٍ مختلفة ومن ذلك ما ستثيرهُ النماذج الآتية.

ولقد ظهر المكان (**قرية أولاد سيدي علي**) الذي تنتمي إليه الشخصية البطلة **العربي الموستاش** ومختلف الشخصيات في الرواية بمظهر الوطن الصغير، هذه البقعة القصية التي أنجبت ثواراً ومناضلين، تراوحت العواطف المستصاغة من الخطاب الروائي عنها بين الحنين والحب والأمل، وخيبة ومرارة وحزن ورغبة بالانتقام وحصار سلَّطهُ المحتل وحلفاؤهُ من القبائل الأخرى، ويظهر هذا من خلال القول الذي يصفُ **شخصية الزيتوني** أخ العربي الأكبر :" **وخيِّلَ إليه أنَّ كل جنبات العرشِ، تلالهُ، هضباتهُ، وديانهُ، كل صخرة، وكل نبتة، كلها جميعاً كانت تصرخ فيه**

[1]- محمد طروس، النظرية الحجاجية، دار الثقافة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط: 1، 2005، ص:40.

تُطالبهُ بالثأر من أولاد النش (...) حين امتطى صهوة تل الغربان، حطَّ على ذروتها كطائر اللقلق المذعورِ المنهك، فرش جناحي برنسهِ الأبيض، ثم ما فتئ أن ضمهما إليه، كانت سهامُ البرد الربيعية قارسة رغمَ قرص الشمس الذي كان يُحارب قزعات السحاب السوداء، ظهرت أمامه قبيلة أولاد سيدي علي منبسطةً، لقد بدأت الأرضُ تكتسي بالخضرة، كانت البيوت المتناثرة أمامه أشبه بجمال باركة، جميعُها محيط من الحجارة ولبن التُراب مُغطى بقصب وطين، حركة بعض النسوة بادية أمام بيوتهن عشرات الرجال يتحركون هنا وهناك..."[1]. فالعواطف من هذا المكان مختلفة اختلاف الشخصيات وعواطفها وأحلامها وآمالها وتأثيرها على المكان وتأثرها به، فكان الحبُّ التمرُّد الانتقام الحسرة الحنين للماضي يسِمُها، فالحجج العاطفية ليست كلُّها بالقوة نفسها والغرضِ نفسهِ، على الرغم من أنها كانت تتوخى النتيجة نفسها، فترتيب الحجج لم يكن منطقياً بالقدر الذي كان عاطفياً مماثل لعاطفة الشخصيات، حتى لكأنَّ المكان خلالها يتحدثُ هو الآخر عن همومهِ ويحزن لحزن شخصياته وينتحب لفراقها، وهذا ما حاول الروائي أن يصورهُ خلال الشاهد: (أنَّ كل جنبات العرش من تلال وهضاب وأشجار وحجارة صارخة في وجوه أهلها راغبةً بالانتقامِ) ويجتهدُ الروائي خلال هذا التصوير العاطفي الحجاجي لاستمالة القارئ وإثارتهِ بهذا المعجم العاطفي، وهذا بإشباعِ فكرهِ وعواطفهِ بهذه الانفعالات العاطفية حتى يتقبل الأمكنة ويتحقق التخيُّل والحنينية في نفس المتلقي، والبكاء والنحيب معها والتعايش مع الحاصل.

كما لم يُفوت الروائي الفرصة لإطلاعنا على القرية في غياب أصحابها وفي سنين المجاعة والطاعون التي اجتاحت البلد، مُصوراً إياها " **تراءت لهُ القرية كسراب بقيعة، حتى جدران الطوب والحجارة ذبلت، حتى قرابة سيدي علي أفلت، حتى تُراب الأرض احترق، لو اندلقَ عليه البحر لامتصهُ في لحظات، جال ببصرهِ، لم يصل سمعه إلا أنين الأرض..."**[2]. الصورة البلاغية التي رسمها الروائي في هذا المقطع لها أبعاد دلالية ومقاصد منها الظاهرة الصريحة ومنها الضمنية، فالصورة الظاهرة التي يتلقفُها المتلقي هي التحول الذي أصاب القرية بعد إصابتها بالقحط والمجاعة

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:15،16.

[2]-المرجع السابق، ص:388،389

كغيرها من المداشر والمرض، مُحركا عاطفة الشفقة لدى الشخصيات والمتلقين معا، لهذه القرية التي احتوتهم وأحلامهم، وكانت مسقط رأسهم، وهو يعرف علاقة الإنسان بأرضهِ وبيتهِ الأول الذي وُلِدَ فيه، فلا يكفي البكاء على أطلالهِ،بل غايتهُ إذكاء هذا الشفقة والحنينية في قلب المتلقي فيُحرِكَ شجنه وحزنه لمسقط رأسهِ، فهذا الشاهد وغيرهِ من الخطابات فيها دعوى خفية تتأسس تدريجيا من خلال تنامي الحكي، ولن يظفر بها إلا لما يُخلص القراءة، حديث خفيٌ مُسربٌ للأذهان بإعادة قراءة التاريخ بوعي ناقد وإدراك معاناة هذه الأرض وشعبها، وليس هذا التخييل للإمتاع فحسب. بالقدر الذي أرادنا أن نجري مقارنة بين التعاسة والحزن في القرى، والبدائية في بيوتها والشقاء، في حين المحتل يهوداً أو نصارى يستلذون بخيراتها وينتفعون بمدنها وأراضيها ويبنون لأنفسهم قصوراً، وهي دعوى ضمنية لإدراك هذه الصورة المستبطنة من الحكي. وبالتالي فإنَّ الحجج العاطفية المصطفاة لعبت على وتر الأحاسيس والعقل معاً، فلم تكن بالسهولة النفسية التي تظهر، لأنها في باطنها كانت عقلانية تخاطب العقول للإدراك بعواطفها حجم الألم الذي كابدهُ أجدادنا ولازال الأحفاد ينالون جزاءهُ.

3-4- تداولية القيم والمبادئ الحجاجية:

لا يُظهرُ المكان الروائي حركة الشخصيات وتفاعلاتها ومختلف الأحداث التي تجري فحسب، بالقدر الذي يطرح قيماً ويُظهر تعدد الأفكار، فللمكان مع الشخصيات امتداد واسع لا تحدهُ الحدود الجغرافية، ولا الهندسية، مكان ذو بعد تعبيري يُعبَر فيه عن مختلف القيم والرؤى. فالقيم les valeurs" هي صورة للمرغوب، إنَّها تشكل في كل حال من الأحوال هرمية للمفضل، بناء عليها نقوِّم الآراء والسلوكات، آراءنا وسلوكاتنا، وآراء وسلوكات الآخرين، وبصفة عامة تمثل القيم كياناً مُشتركاً يُكوِّن أسس الثقافة، ويحدد الطرق التي تجعل أعضاء جماعة مُعينة تسكن عالما واحداً"[1]. تغدو القيم معايير إنسانية تختلف من مجتمع لآخر والتي تضطلع بدور مهم في تقييم سلوكات الإنسان وتحديدها، ويُمكن التعرف على هذه القيم المختلفة انطلاقاً من المواقف التي كانت تطرأ على الأمكنة في الرواية.

[1]- فيليب بروتون، الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال، عبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، ط:1، 2013، ص:92.

لا ريب أنَّ المتتبع للخطاب الروائي **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** يجد أنَّ الروائي قد استغل مجموعة من القيم الحجاجية لتشكيل الفضاء الجغرافي وهذا قصد إثبات المواقف والرؤى ورسم صورة مثالية للمتلقي، وتنقسم هذه القيم الحجاجية التي لها دورٌ مهم في العملية الإقناعية إلى قسمين." فيميز بيرلمان بين القيم المجردة مثل العدل والحق، وبين القيم الملموسة مثل: الكنيسة، وفرنسا، والوطن"[1]. إذن هناك صنفين من القيم، تتصنف حسب وجودها فهناك الملموسة المحسوسة، وهناك المجرَّدة غير مُجسدة. ولقد برز فضاء المقهى في خطاب **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** ومثل قيمة حجاجية مُجسدة مُهمة في الحكي. فحوبة انتصرت للمقهى وصورتها بزاوية نظر قد لا تشبه الآخرين، المقهى مكان فجر مختلف القيم والمبادئ ومنها الأيديولوجية، وهذا لما عالج مختلف القضايا الفكرية والسياسية والشخصية وحتى المعرفية، يقول السارد واصفاً المقهى: " **من بعيد أقبل سي رابح دخل مقهى العرب التي كانت مكتظة حد التجشؤ (...) قال سي الهادي يا إخوان في مثل هذا اليوم احتلت فرنسا الظالمة أرضنا العزيزة ورغم التضحيات الجسام التي قدمها أجدادنا إلا أنهم انهزموا أمام جبروت فرنسا وقوتها، والانهزام ليس عيباً، العيب هو الاستسلام، يجبُ أن نظهر للفرنسيين أننا لن نرضى بتواجدهم بيننا، وهذا يقوم منذ الآن على مقاطعة العمل عندهم، ومقاطعة سلعهم ، بل و... وقاطعهُ صوت غاضب: الثورة الثورة، هؤلاء لا يفهمون إلا لغة القوة...بدا القلق ظاهراً على علال القهواجي، كان يخافُ أن تُداهم الشرطة المقهى ويتهم باتخاذ محله للتحريض ضد فرنسا، صفق بيديه وقال: انتهى لقد فهمتم..**"[2]يبرز القول مجموعة من القيم الحجاجية المختلفة، والتي قد اتخذت نوعين، قيم مجسدة محسوسة قيمة مقهى العرب والذي تعلقت به المعتقدات والقيم الروحية المجرّدة: الدعوة للتكاتف والتعاون من أجل تحقيق الحرية، قيمة الثورة والدعوة للانتفاضة ولغة القوة، التضحية والمعارضة وإبداء الرفض والمقاطعة لهذا المحتل ، قيمة الوطن ووجوب الدفاع عنه. والقيمة الحسية المعادية تمثلت في فرنسا ووجودها، الشرطة الفرنسية، والقيم المجردة التي مثلتها: الظلم والاستبداد والاعتقالات والمداهمات..وبالتالي هذه القيم وتراتبيتها

[1]- فيليب بروتون، الحجاج في التواصل، ص95.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:355،356.

في القول أبانت عن اتفاق المجتمع حولها، وإنَّ توظيفها يمثل دعامة حجاجية للخطاب يرفع من شأنه وقيمته الدلالية، وبقدر كبير من القبول وإقناع المتلقي والتأثير فيه بحقيقة الظلم والاستبداد الذي تعرضَ لهُ الوطن، تسترجي استعطاف المتلقي، وهذا بتحريك ذاكرته من خلال تواصله مع ذاكرة الكاتب، وإثارة وإيقاظ بصيرته بهذا المُستبد الذي لازال يحلمُ بهذه الأرض.

شكلت مدينة سطيف في الرواية قيمةً مُجسدة حجاجية مهمة، وهذا لاستوعابها لمبادئ حجاجية إيديولوجية ومختلف القيم الحجاجية، فحوَّلها الكاتب من مكان له معالم وحدود جغرافية وهندسية إلى قضية، وهذا بما تحمل من منشآت وأفضية أخرى لها مرجعيات تاريخية إيديولوجية وحضارية، تفجرت عيون النضال والكفاح من جوانبها، فيذكر السارد: **" فتحت سطيف عينيها باكراً على حركة نشيطة لم تألفها، وعلى مظاهر لم تشهدها، خرج حسان بلخيرد من مكتبته، تجول سريعاً في كل الشوارع المحيطة مقترباً أكثر من الفرنسيين، قريباً من الكنيسة الكاثوليكية عند بوابتها لمح العربي الموستاش وأمقران يقفان لا يكادان يتحركان وكأنهما تمثالان، وصل إليهما حسان بلخيرد(...) جميعهم كان يلبس صدرية خضراء وقميصاً أبيض وربطة عنق حمراء، واعتمر كل منهم شاشية بيضاء، طُرِزَ عليها هلال ونجمة بالأحمر، قال حسان بلخيرد مزهُواً: المدينة كُلُّها ترتدي ألوان العلم الوطني.(..) أحس المعمرون بالاستفزاز...فخرج العشرات منهم إلى المدينة مدججين كعادتهم بأسلحة المختلفة، حاملين في تحد سافر علم فرنسا على سياراتهم"**[1]. حفِلَ المشهد الحواري على مجموعة من القيم الحسية والمجردة التي استوعبها فضاء سطيف القيمي: المكتبة التي تدل على الفكر والعلم، الشوارع والتي تدل على الحركة وتدل على قيمة التغيير والانتفاضة التي ستشهدها، الكشافة الوطنية وارتداؤها للرموز الوطنية، والتي تُثير قيمة الوطن والوطنية والدفاع عن رموز الوطن، وفي المقابل ظهرت قيم تُبين عن التعارض: المُعمرون وإظهارهم لقيمة الاحتلال والاستفزاز وهذا بحملهم السلاح، قيمة العلم الفرنسي ودلالته على السيطرة والاحتلال في غير أرضه، الكنيسة الكاثوليكية التي تبين عن قيمة الدين والتعايش الذي

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:471،472.

فرضته فرنسا بمدينة سطيف. وإنَّ هذه القيم المختلفة التي أشار إليها الروائي تعكس التنوع والاختلاف الذي كان موجوداً في مدينة سطيف، ولا يُخفي الروائي باعتماده هذه القيم تأكيدهُ ودفاعهُ عن الوطن بتبيانه قيمة الحرية وانتفاضة الشخصيات لتحقيقها، وهذه القيمة قيمة فاعلة مُؤثرة في المتلقي تحثُهُ على التآزر مع الشخصيات والتعاطف معها وإبداء القبول لها والالتزام نحوها.

وقد عزم الروائي على تبيان قيمة الوطن من منظور المكان، وبموجب هذه القيمة التي اتفقت عليها جل الخطابات أتى الكاتب بالمبادئ الفكرية والتي تُعدُّ حجة لأنها تمثل مجموعة أفكار ومعتقدات المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية[1]. إذن إنَّ هذه الأفكار يسوقها الكاتب في خطابه، ويدْعم بها حجاجه حتى يخلق تنوعاً في الأفعال والأحداث. ومن ذلك ما يذكر السارد: **"تشكلت أحباب البيان بسطيف، من النواب والعلماء وحزب الشعب والكشافة ومن الشيوعيين، حيث سارع عمار أوزقان عبر جريدتهم الأسبوعية ليبرتي إلى تأييد ذلك، وبدا أحباب البيان باخرة ضخمة تحمل كل الجزائريين، وتسير بهم إلى بر يراه فرحات عباس بر أمان، ويتوجس الأخرون منه خيفة"**[2] . تظهر مدينة سطيف من منظور الروائي مدينة بملمح إيديولوجي، تستوعب مختلف التعارضات والمفاوضات على أرضها، مدينة تستيقظ دوماً على النشاطات الفكرية والسياسية التي تُحاك في الخفاء، ظهور حزب أحباب البيان وجمعية العلماء المسلمين والكشافة إضافة إلى حزب الثوار،وكل هذه القيم المجردة المسرودة تسعى لتحقيق قيمة الحرية واسترداد الوطن لقيمة الكرامة. وبالتالي لقد حاول الروائي من خلال خطابهِ الروائي رصد مختلف التحركات والأفكار والقيم وتدعيم خطابه الحجاجي وتوجيهه توجيها مقصوداً نحو خدمة نتائج دون أخرى رغبةً منه في استمالة المتلقي وإقناعه بمبادئه الفكرية.

[1]- ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص:33.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:533.

4-4- تداولية حجة العجائبي :

يغدو المكان عجائبيا بما يُمثلهُ من مرجعيات عجائبية، إذ يعمد إلى توظيفها الروائي في تشكيل خطابه الروائي، وذلك عن طريق توظيف شخصيات عجائبية وتصوير حركتها عليه، أو تصوير أوصاف تحملُ الخوارق وبمُوجبها يتحول الإنسان إلى أمرٍ خارقٍ للمعقول والمعتاد، كأن يطير مثلاً أو غير ذلك من الأمور غير المألوفة، ويذهب تودوروف T. Todorov في هذا الشأن فيذكر: "يحبُّ القصُّ العجائبي ...أن يُقدم لنا بشراً مثلنا فيما يقطنون العالم الذي نوجد فيه، إذا بهم فجأة يوضعون في حضرة المُستغلق عن التفسير"[1]. فالعجيب هو ما لم تألفهُ عين الإنسان، ويشكل الحيرة والاستفسار في قلبه وعقله. فإنَّ الإنسان هو الذي يترك نفسه في هذه الحيرة لما يتحول إلى أمرٍ غير طبيعي فيترك حتى القارئ في هذه الحيرة، وهذه الحجج العجائبية اللامألوفة وغير المعتادة كانت دعامات أساسية في الخطاب الروائي تبعث على الحيرة والتعجب ومنها:

إنَّ قرابة أولاد سيدي علي مثلت مكاناً جغرافياً يوحي بالعجائبية، وهذا لِما يحدث داخلها من طقوس تنبعث منها الرهبانية، هذا المكان الضيق المغلق الذي مساحته تكاد تأخذ بضع أمتار، ولكنهُ يعتبر مفتوحاً للشخصيات الروائية التي كانت ترى فيه ملجأها ومشفاها، صفاءها وربيعها، وحرصَ الروائي على أن يُظهرهُ بمظهر يتجلى منه مختلف دلالات الورع، وتنبيه كل الحواس لليقظة الباطنية وهو ما أشبه بالروحي، وهذا ليكتسبَ به ثقة المُتلقي ويجعلهُ يؤمن بدعواه وقضيته. فيذكر السارد:" **دخل القرابة تناهى إليه صوت، جمد مكانه وقد ارتعش جسده كله، فتح عينيه على آخرهما لم يتبين شيئاً، الظلام يغتال الرؤيا تماما، انطلق من المكان صوت لم يتبينه، ثم اندفعت حركة تتجه إليه، أشهر بندقيته وهو يتراجع إلى الخلف، عند الباب تبين له البهلي لخضر(...) ما تفعل هنا أيها الساحر اللعين، عرفت الآن، أنت سبب كل البلايا، من أرسلك، ماتريد منا؟ ارحل عليك اللعنة، سأمصُّ دمك. خرج من بين يديه كأنه شعرة تسل من زبدة، وطار في الفضاء بعيداً بعيداً، راح يُتابعه وهو يفرشُ جناحي برنسه وحوله هالة من نور..**"[2].

[1]-تزفتان تودوروف،مدخل إلى الأدب العجائبي، تر: الصديق بوعلام، دار الكلام، الرباط، ط:1، 1993، ص:49.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص106،107.

لقد تفنن الروائي في تصوير هذا المشهد العجائبي الذي حدث داخل قبة أولاد سيدي علي، مازجاً فيه بين حلمٍ وواقع الشخصية، الذي هو الآخر يبدو حلماً غرائبياً ممتداً لشخصية العربي الموستاش، لاجئاً في ذلك الروائي إلى اعتماد تقنيات لغوية، فبتقنية الوصف الحجاجية وبرسمها الدقيق للمكان، يكادُ يرنو إلينا من صفحات الرواية، رسماً يدفعُ بالقارئ إلى الاقتناع والغوص في هذا الواقع العجائبي، بمزيجٍ من التشويق والرهبانية ينسجُ حكايته وبحجج إقناعية بتركيزٍ يوقعُ القارئ في الغموض المنبعث من الصورة العجائبية. فيذكر في هذا الشأن محمد مشبال:" فالناسُ يستجيبون لحكاية الوقائع الغريبة كما يستجيبون للمواقف الهزلية المُضحكة، للغرابة(...) وظيفة جمالية، يستوقفُ السرد بغرابته المتلقي لتأمل العالم من حوله والنظر فيه وتدبُره، على نحو ما يستدعيه للاستمتاع بما يُعرض عليه من غرائب، ليست وظيفة الغرابة في النهاية سوى استنفار الذهن لتأمل الطبيعة والاستمتاع بأسرارها"[1]. وبالتالي فهذا المكان العجائبي بوظيفته الإمتاعية يغدو حجةً من بين الحجج التأثيرية، التي تفتحُ الأذهان على نصوصٍ وتصورات جديدة، وتستدعي الكثير من التأويلات والتفسيرات، مُستثيرةً فضول القارئ ودهشتهِ.

وتزدادُ غرابة التصوير وعجائبيته حين يقول "**خرج من بين يديه كأنه شعرة تسل من زبدة، وطار في الفضاء بعيداً بعيداً، راح يُتابعه وهو يفرشُ جناحي برنسه وحوله هالة من نور**"[2]. لقد عمَّقَ التمثيل الحجاجي الصورة الروائية، وجعلها أكثر إيحائية وأبعد منظوراً وأعمق تأويلاً، فتلاشى معها الإحساس بالزمن وأصبح مُعبقاً بالعجائبية، مُلتحمةً في ذلك الصورة مع التشبيه (البهلي لخضر المشبه) (شعرة تسل من زبدة المشبه) والاستعارة (طار وهو يفرش جناحيه، فالمشبه: البهلي لخضر، والمشبه به: الطائر محذوف) فإنَّ هذه العلاقات التشابهية بتوظيفها، يُقدمُها المتكلم على أنَّها دليل أقوى لصالح النتيجة المتوخاة، وهذا بتجسيد الصورة وتشكيلها، فينتقل المعنى من مجرد صورة ذات أشكال، إلى صورة ذات دلالات مفعمة بالحيوية لها سطوة وتأثير على المتلقي، وبذلك فهذا التوظيف للحجج العجائبية

[1]- محمد مشبال، البلاغة والسرد، ص:87.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:107.

تربك القارئ دلالاتها الروحية، وتُحقق الوظيفة الإمتاعية المرجوة، وتُضفي نفساً جديدا على الرواية بكسر رتابة السرد المعتادة بالغوص في الخوارق واللامعتاد، فيستشعِرُها القارئ وتثير في نفسه الاستغراب والتعجب.

شكلت شعبة الهف مكاناً عجائبياً آخر، يُشيِّدُ لنفسهِ في الخطاب الروائي صورةً إيحائية ذات دلالات مختلفة، وتستثير في ذلك ذاكرة القُراء من خلال بعض التلميحات التي تُثيرُها في الرواية، يذكر السارد:"**في أي أنحاء الوادي بالضبط توجد شعبة الهف، بدأت الأشجار تقل، وصارت حافتا الوادي صخوراً صلبة مُدببة تزدادُ صلابة وضخامة وقوة كلما أمعنت السير، وبدأ الوادي يضيقُ مُشكلاً حجرة صخرية، قلت في نفسي هذا مدخل شعبة الهف دون شك وتجمدت مكاني والرياحُ تعزفُ على الحنجرة لحناً جنائزياً مُرعباً**"[1] لقد اعتمد الروائي في تصويره عجائبية شعبة الهف ومدخلها تقنية الوصف اللغوية الحجاجية، فلقد كان الوصف الأداة الطيِّعة لإيصال هذه الغرابة وتصويرها" ويشمل الوصف عدداً من الأدوات اللغوية منها: الصفة واسم الفاعل واسم المفعول"[2]. وذلك باعتماد النعوت (صلبة، مُدببةً، صخرية، جنائزياً) واسم الفاعل (مُشكلاً، مُرعباً). واعتماده التقنية البلاغية التمثيلية(الرياحُ تعزفُ على الحنجرة لحناً جنائزياً) فالعلاقة التشابهية بين صوت الريح المُرعب واللحن الجنائزي والتي تطرح بهذا التشابه غموضاً تستدرجُ به المتلقي إلى خطابها. وغيرها من التقنيات الحجاجية التي اعتمدها الروائي لتشييد فضاء عجائبي قابلاً للتأويل مُستقطباً انتباه المتلقين ومُستثيراً دهشتهم وغرابتهم.

ويواصل السارد حديثه عن الوادي ولكنَّهُ هذه المرة ليُرينا غرابته:" **وظهرَلي عمق الوادي كأنَّهُ ديناغول كبير، وفركتُ عيني و أنا أرى المدينة قائمة فعلاً، ذات دور وقصور و أبراج و أقواس، تعزفُ على الحنجرة لحناً جنائزياً مُرعباً ، تأتيها مخلوقات لا يمكن أن أتبين ملامحها(...) ورأيتُ مخلوقاً في حجم عنزة ينطُ كالكنغر، ولهُ أذنان طويلتان يديرُهما حيث يشاء(...) ورأيت ذنبهُ يطول مُتجها إلي رغم اندفاعه بعيداً عني، ضرب الذنب الشجرة وعاد إلى أصله، ترنحتُ مكاني وسقطتُ على قفاي، ورأيتُ الشجرة تنبت رؤوساً لا عد لها تشبه رؤوس المخلوق الذي مر**

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:278.

[2]-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب،ص:486.

بي منذ لحظات..."[1]سلط الروائي الضوء على فضاء عجيب تجري فيه أمور لا يتقبلها عقل بشرٍ، ولقد كان في البداية السارد مُترددا وغير مؤمنٍ بما يشاعُ عنه، ولما دخلهُ واستكشفهُ وجدَ ما أغربَهُ، مُستأنساً في تصويره بحجة التمثيل البلاغية التي تأتي للتوضيح والإقناع، ومنها التشبيه (عمق الوادي كأنَّهُ ديناغول) (رأيتُ مخلوقاً في حجم عنزة ينطُ كالكنغر) (رأيت الشجرة تنبت رؤوساً تشبه رؤوس المخلوق) إذن الغرض الحجاجي من هذه العلاقات التشابهية إمتاع القارئ وتقريب الصورة إلى الأذهان، ولأنَّهُ وسيلة للاستدلال بواسطة علاقة الشبه التي تجمع بين صورتين مختلفتي المجال ليُحركَ خيال القارئ للوصول به إلى التأثر.

واستأنسَ كذلك بحجة الوصف اللغوية؛ النعوت: كبير، طويلتان، اسم الفاعل:قائمة، مُرعباً، مُتجهاً، اسم المفعول: مخلوقاً،ومُستعينا بالروابط والعوامل الحجاجية التي ترصفُ الحجج آخذةً بها إلى نتيجة موحدة ومنها (الواو) التي تكررت كثيراً وجمعها الحجج وترتيبها، و(أنَّ التأكيدية) التي تسعى لتوكيد الحجج، والعامل (منذ الزمني) التي تُشير إلى الزمن السابق (ورغم المصدر المنصوب) الذي يدل على غرابة الحجة، فاتحاً بذلك باب تأويلات عليه أي وادٍ يقصد؟ أوادي الصومام التاريخي المقصود؟ أو واد البارد الجغرافي؟ أو وادي بوشريط التاريخي الأثري؟ أم هو خروج عن المألوف بالانزياح اللغوي والذي يتجاوز به الواقعي إلى المتخيل، وذلك كلُهُ قام على اللغة الروائية المتخيلة والمُستندة على تقنيات حجاجية، وهذا لتحقيق مقاصد حجاجية تداولية في ذهن المتلقي وتعسر عليه عملية التفسير والتأويل، فبنى الروائي غرابة المكان بظهور الكائنات الغريبة وحركتها المريبة،التي تجذب وتبعثُ على الاندهاش في آن، وتُحدثُ خلخلة لدى المتلقي وتردد دائم، وهذا لما اعتمد تقنيات حجاجية لغوية تكسر المألوف والمُعتاد هي الأخرى، وتتماهى مع الغرابة، وتمثل حجةً للمرسل حتى يصلَ غايته في تشويق القارئ وتركهِ تحت صدمة الإثارة، فالصفات مفردةً وجملاً وأحوالاً توجه القارئ إلى الأمر الموصوف وتزيدُ إدراكهُ، وتستثيرُ حواسهُ، ويظهر أن الروائي بتوظيفه هذه الأدوات اللغوية يهدف

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص: 278،279.

لتعطيل حاسة القارئ النقدية، ليبقى مشدوهاً لغرابة ما قرأ وهذا بإيجاد تفسير لهُ في الواقع، وذلك بوضعِ احتمالات وتأويلات تمكنهُ من وعي ما قرأ، فقد وضع القارئ بين سندان الغرابة ومطرقة الواقع.

وأخيراً يمكن توصيف الخطاب الروائي **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** خطاباً حجاجياً، وهذا للجوئه لمختلف الطروحات الحجاجية التي تدعو المتلقين للتدبر الواعي، إذْ استطاع أن يُوظف مختلف الوسائل اللغوية وأدواتها من أجل إنجاح العملية الإقناعية. فهذه الأدوات اللغوية والبلاغية والمنطقية المنحوتة في الرواية ساعدتهُ على فهم التاريخ وقراءته وإعادة كتابته من منظوره، وتشييد الأفضية ونسج الحوارات وخلق الشخصيات، بتنويع الحجج ومبادئها في معاينة واستنطاق مختلف القضايا الفكرية والطبيعية، فهذه من شأنها تقوية الخطاب وتعضده لأداء مقاصده، وجعل المتلقي يُدرك ما هو بصددهِ، وتتقصدُ توريطه وهذا لما تحملهُ من مقاصد ومدلولات.

وقد أبان الخطاب الروائي **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** عن ثرائه اللغوي والبلاغي والتواصلي، واحتوائه على طاقات تخييلية إقناعية ساهمت في بلورة القصة التاريخية والتأريخ لها حكائياً، وهذا بتقديم جملة من الحجج المتنوعة والمحبوكة بتقنيات ربط حجاجية متناهية الدقة وذات فعالية تداولية من شأنها استمالة المتلقي والتأثير فيه، وأكسبت الخطاب درجة عالية من الإقناع والتأثير.

الفصل الثاني:

الخطاب السردي لرواية حوبة في ضوء نظرية أفعال الكلام

الفصل الثاني: الخطاب السردي لرواية حوبة في ضوء نظرية أفعال الكلام

أولا: الأفعال الكلامية وتشكيل الفضاء السردي:

1-1-الفعل الكلامي:

1-1-1-الأفعال الكلامية عند أوستين.

1-1-2-الأفعال الكلامية عند جون سيرل.

1-2-الفضاء السردي:

1-2-1-تداولية الفضاء النصي في ضوء نظرية الأفعال الكلامية:

1-2-1-1-العنوان فعلاً كلامياً.

1-2-1-2-العناوين الداخلية فعلاً كلامياً.

1-2-1-3-الإهداء فعلاً كلامياً.

1-2-1-4-الاستهلال فعلاً كلامياً.

1-2-2-الأفعال الكلامية في تشكيل الفضاء الجغرافي:

1-2-2-1-الفعل الكلامي وتشكيله للأماكن المفتوحة.

1-2-2-2-الفعل الكلامي وتشكيله للأماكن المغلقة.

1-2-3-الفضاء الدلالي والفعل الكلامي.

1-2-4-المنظور الروائي فعلاً كلامياً.

ثانيا: الأفعال الكلامية وتشكيل البناء السردي:

2-1-الفعل الكلامي والزمن السردي

2-1-1-زمن القصة.

2-1-2-زمن السرد:

2-1-2-1-تقنية الاسترجاع.

2-1-2-2-تقنية الاستباق.

2-2-الشخصية والأفعال الكلامية:

2-2-1-الإخباريات.

2-2-2-التعبيريات.

2-2-3-الالتزاميات

2-2-4-الإعلانيات.

2-2-5-التوجيهيات.

أولاً: الأفعال الكلامية وتشكيل الفضاء السردي:

يُعدُّ الخطاب السردي الجزائري من أكثر الأشكال التعبيرية تبليغاً وتشخيصاً لمظاهر التحول في الساحة المغاربية الفكرية والثقافية والاجتماعية، خاصةً منذ العقد الأخير من القرن العشرين، وهي مسألة مشروعة انسجاماً مع منطق الجنس الروائي المؤهل تركيبياً وتكوينياً وتداولياً إلى احتواء المتغيرات التي تعرفُها السياسة والاقتصاد والمجتمع والأخلاق، وهذا نظراً لتفاعل الرواية مع المستجدات، وبفضل قدرتها على تنويع أساليبها السردية وأشكالها الحكائية، فسجلنا انخراطاً ملحوظاً للمُبدع الجزائري في الممارسة الإنتاجية الروائية، وإنَّ الروائي عز الدين جلاوجي من الكتاب الذين يرومُون الكشف وتقديم رؤية وقراءة لتاريخ الجزائر، والتأكيد على دلالته الإنسانية والفكرية والتحولية لتحقيق انتفاضة، بتسليط الضوء على شخصياتها التاريخية وأفضيتها بمختلف أنواعها، والتركيز على الوعي الفكري آنذاك، والمستوى المعيشي والاجتماعي الطبقي، وإعادة كتابته فنياً، بخلق عوالم تخييلية وشخصيات متخيلة وأحداث، وهذا لأنَّ الروائي أعاد النظر في التاريخ الجزائري من زاوية نظره وانطلاقاً من ذاكرته، وبالتفاتة إلى الواقع الراهن، كتب **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** هذه الألفية التي اتخذت زمن حوادث 8 ماي وقبيلها زمنها الروائي. فسنسعى من خلال هذه المباحث معاينة رواية حوبة بإجلاء ظاهرة الأفعال الكلامية، وهذا بقراءة الأفضية السردية، والتي تعرفُ تنوعاً سردياً، ودلالة إيحائية، وتشكيلات للشخصية الحكائية التي اعتمد فيها أمشاجاً متنوعةً من سير الأعلام والثوار الحقيقيين، وشخصيات مُتخيلة، وهذا أيضاً لما تعرفُ من كثافة وزخم في دلالتها الرمزية في أبعادها التاريخية.

1-1- الفعل الكلامي: Acte de parole

تهتمُ التداولية باللغة في السياق الاستعمالي وأثناء عملية التخاطب، وتُعدُّ الأفعال الكلامية بُعداً أساسياً من مكوناتها، ونواة أساسية في تشكيل الخطاب التداولي، وآلية من آليات التحليل التداولي للنصوص، يتوقف على أداء المتكلمين، وهذا عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية التي لها مقاصد هادفة والتي تغير سلوك أو وضع المتلقي، من خلال صيغ لغوية وغير لغوية، فهي وحدات تواصلية تتلخص قوتها الإنجازية في العملية التواصلية." فالفعل الكلامي Speech Act فحواه أن كل ملفوظ ينهضُ على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلاً عن ذلك يُعدُّ نشاطاً

مادياً نحوياً يتوسلُ أفعالاً قوليةActes Locutoires تخصُّ ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعياً أو مؤسساتياً ومن ثم إنجاز شيء ما"[1]. فالفعل الكلامي ملفوظ يتوسل من أقواله التأثير في المتلقي، وإنَّهُ تتعددُ أغراضهُ وصيَّغُهُ حسب الحالة الاجتماعية الموضوع فيها، وله غايات تواصلية وتسعى للإفادة والتأثير." فالفعل اللغوي والذي يُدعى أحياناً بالفعل الكلامي Acte de Parole أو فعل الخطاب Acte de Discoure والمقصود به الوحدة الصُغرى التي بفضلها تُحققُ اللغة فعلاً بعينهِ ... غايتهُ تغيير حال المتخاطبين"[2]. يوصف الفعل الكلامي بأنَّهُ وحدة خطابية صغرى التي تتشكل في أثناء الخطاب بين مخاطبين وأكثر، قاصدةً تغيير سلوك المتكلمين ومواقفهم من خلال فعل يُنجز.

1-1-1- الأفعال الكلامية عند جون أوستين J. L.Austin

تعودُ الأفعال الكلامية في تأسيس نظريتها **لأوستين J.L.Austin** الذي جُمعت محاضراته والتي ألقاها في جامعة هارفرد سنة 1955 في كتاب سُميَ " **كيف تفعل الأشياء بالكلمات**" " والمؤسس الأول لهذه النظرية الفيلسوف الإنجليزي أوستين فهو يرى أنَّ وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصالُ المعلومات والتعبير عن الأفكار فحسب، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية"[3]. فالأساس الذي نادى به أوستين أنَّ مفاد اللغة ليس إيصال المعلومات والتعبير عنها فحسب، وإنما تكمن في قوتها وفعلها الإنجازي المُقام في مقام معيّن ومرتبط بصيغ اجتماعية، ويذكر هذا **جون ليونزJohn Lyons** " أنَّ هدف أوستين في البداية على الأقل أن يتحدى ما كان يُعتبر مغالطة وصفية، وهي فكرة أنَّ الوظيفة الوصفية الفلسفية المهمة للغة هي إنتاج عبارات خبرية صادقة أو كاذبة، وعلى نحوٍ أدق كان أوستين يتهجمُ على رأي عالم التحقق المرتبط بالفلسفة الوضعية المنطقية التي

[1]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب؛ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط:1، 2005، ص:40.

[2]- دومينيك مونغنو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:1، 2005، ص:07.

[3]- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات دار الأمل، تيزي وزو، د:ط،2013 ، ص:145.

تفيد أن الجمل تكون ذات معنى فقط إذا كانت تُعبر عن قضايا يمكن التحقق منها أو تفنيدها"[1]. فمن الواضح أنَّ معالم وفحوى ظاهرة أفعال الكلام تقوم على أسس فلسفية واضحة، وأنَّ اللغوي الفلسفي أوستين Austin يُحاول أن يُضيف على سابقيه ويتحداهم بأفعال كلامية وصفية خبرية و هذا باستحداث صنف من الجمل ذات الصيغة الخبرية. لقد تجاوز أوستين بطرحهِ قضايا فلسفة اللغة، والتي تنظر إلى الجمل الخبرية فقط وانحصارها في وصف الأشياء والإقرار بما حدث، ووسعَ ما قدمهُ ليشملَ جميعَ الجمل دون استثناء حتى تلك التي تقبل الصدق والكذب.

ولقد جاء جون أوستين **J.L.Austin** بتقسيمات جديدة معارضة، ففي كتابه " كيف ننجز الأشياء بالكلمات" " **How To Do Things With Words**" "يفرق **أوستين** بين موقفين اثنين من اللغة: موقف الفلاسفة وموقف النحويين، فموقف الفلاسفة يرى بأنَّ الجمل التي تستحق الوصف والدراسة هي الجمل الوصفية الخاضعة لمعيار الصدق والكذب، وموقف النحويين الذي يقسم الجمل إلى أنماط عدَّة: الجمل الإثباتيةStatements والجمل الاستفهاميةQuestions والجمل التعجبيةExclamations والجمل التي تفيد الطلب والتمني Command or Wishes"[2]. وعلى إثرِ هذه التقسيمات التي أبرزها أوستين عن أنواع الجمل، تفضل بطرح جديد يتجاوز طرح فلاسفة اللغة والنحويين" فوضعَ تمييز لثلاثة أفعال فرعية "فعل القول أو الفعل اللغوي (Acte locutoire) ويرادُ به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة"[3]. والمقصود بهذا الفعل هو المستوى التركيبي الذي يضبط الألفاظ في جمل مفيدة، مهتماً بجانبها النحوي والصوتي والدلالي، والفعل الثاني" الفعل المتضمن في القولActe illocutoire وهو الفعل الإنجازي الحقيقي، إذ إنَّهُ عمل يُنجز بقول ما"[4]. ويُعد هذا الفعل الإنجازي فرعاً أساسياً في تقسيمات أوستين، ولبُّها الذي صارت تعرف به، العمل الإنجازي المتوخى من الفعل، والفعل الثالث في تقسيمه " الفعل الناتج عن القول Acte perlocutoire فيرى أوستين أنَّهُ مع القيام بفعل القول وما يصحبهُ من فعل متضمن في القول (القوة) فقد يكون

[1]- جون ليونز، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد العراق، ط:1، 1987، ص:191.

[2] -Austin. How to do things with words. Harvard University press. Cambridge-Massachusetts. Second edition.1975.p:1.

[3]- عن مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص:p109.41,Austin,Quand dire c'est faire, Paris, Le Seuil,1970-

[4]- المرجع السابق، ص:42.

الفاعل (وهو هنا الشخص المتكلم) قائما بفعل ثالث هو التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع، التضليل، الإرشاد، التثبيط، وسماهُ بعضهم الفعل التأثيري"[1]. فالفعل الناتج عن القول، هو فعل تأثيري، يترك أثراً في متلقيه، انطلاقاً من مشاعره وفكره وسلوكه، فقد يضطرهُ لتغيير رأيه وتبني رأي آخر، أو تغيير موقفه إزاء الشيء المطروح، أو التلاعب بمشاعره. وهذا التقسيم يظهر ملمحه من خلال هذه الخطاطة التي تشير إلى تقسيمات أوستين للفعل الكلامي:

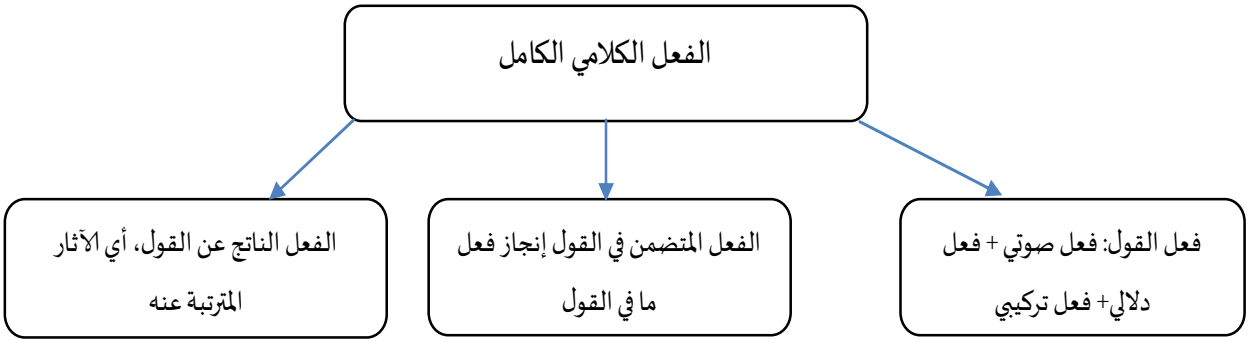

خطاطة توضيحية لأفعال الكلام عند أوستين (Austin)

تصنيفات ج.أوستين J.Austin للأفعال الكلامية:

وقد صنف جون أوستين الأعمال التي ننجزها بوساطة اللغة أو الفعل الإنجازي إلى خمس تصنيفات هي:

1. "الحكميات les verdictifs وتتمثل في حكم يصدر وقيميات تُطلق.
2. الوعديات les promisifs وتتمثل فيما يقطعه المتكلم من عهود ووعود والتزام بها.
3. التنفيذيات أو الإنفاذيات les excercitifsوتتمثل في اتخاذ قرارات كالتعيين والعزل والطرد ونحوهن وهي تقوم على استعمال الحق أو القوة وما إليهما .
4. السلوكيات les comportatifs وتتمثل فيما يكون ردَّ فعل لحدث ما كالاعتذار والتعاقد والقسم، فهي إفصاحات عن حالات نفسية تجاه ما يحدث للآخرين.

[1] عن مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص:42.109,p1970,Le Seuil, Paris, dire c'est Quand ,Austin -

5. التبينيات أو العرضياتles expositifs وتتمثل فيما يُستخدم لأجلِ الإيضاح أو بيان وجهات الرأي، فهي توضح علاقة أقوالنا بالمحادثة أو المحاجة"[1].

وبالتالي تنقسم الأفعال الكلامية عند اللغوي أوستين J.Austin وفق ما تضطلعُ به من أدوار، وما تقوم به من عمل داخل سياقات مختلفة، وما تنجزهُ بهذه الأقوال إثر تلقي المخاطب لها، ومع ذلك يظهر" أنَّ هذا التقسيم غير مستفيض ويحتاج إلى إعادة نظر بسبب تداخل هذه الأفعال فيما بينها تداخُلاً يجعل أفعال الحكم يمكن تصنيفها في زمرة أفعال الممارسة، والعكس صحيح، وقد وضع أحد طلبة أوستين وهو سيرل مجموعة من الأسس يعتبرها ملائمة لتصنيف الأفعال الكلامية الإنسانية، في الاختلاف في غاية الفعل الكلامي والاختلاف في مطابقة العالم للأشياء"[2]. إن تقسيمات جون أوستين تتحلق كلها حول القوة الإنجازية للفعل، فالفعل الإنجازي هو لبُّ اهتمامه وهذا لما يُحققهُ في الواقع من إنجاز، وإنَّ ما قدمه من تقسيمات وتصنيفات مُعارضاً فلاسفة اللغة والنحويين في طرحهم، يُعدُّ تمهيداً للباحثين بعدهُ وخاصة جون سيرل J. Searle الذي مضى على خطاه، وحاول سدَّ ثغرات نظريته باقتراحات وتعديلات جديدة.

1-1-2-الأفعال الكلامية عند جون سيرل J. Searle

بنى جون سيرل **J. Searle** نظريته الجديدة انطلاقاً من أبحاث وأعمال أستاذه أوستينJ.Austin إذ أعاد ضبط وصياغة أفكاره وتجديدها، وذلك بإعادة النظر في تصنيفاته للفعل الكلامي وإقامة تعديلات وإضافات ففي هذا التقسيم خاصة ركز فيما يتعلق بالفعل الإنجازي والفعل التأثيري، غير أن الاختلاف يكمن فيما يُسمى بالفعل القضوي Acte de proportionnel والذي أصبح يشكل فعلاً مُستقلاً، ومنعزلاً وذلك انطلاقاً من شقين هما: فعل الإحالة Acte

[1]- يُنظر طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب،مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، د:ط،1994، ص:10.

[2]- عمر بلخير، نظرية الأفعال الكلامية وإعادة قراءة التراث العربي، مجلة الأثر، عدد خاص: أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب.

de référence وفعل الإسناد Acte de prédication"[1]. يظهر أنَّ جون سيرل قسم الأفعال الكلامية إلى أربعة أقسام، و استناداً على تقسيمات أوستين أيضاً، ولكنَّهُ يختلف معه في الفعل القضوي الذي خصَهُ بقسم منفرد منعزلاً عن فعل القول الذي كان مشتملاً على الفعل التركيبي والصوتي والدلالي عند أوستين، فالفعل القضوي هو الفعل الدلالي جزَّأهُ عن فعل التلفظ، وجعلهُ مشتملاً على فعلي الإحالة والإسناد.

وإنَّ مُصطلحي الإحالة والإسناد المرتبطان بالفعل القضوي لهما مهام خاصة في الكلام، وهذا حسب ما يقومان به من دور في تحقيق عملية التواصل. " فالإحالة تربط بين المتكلم والمخاطب، فالعبارات الإحالية تُبين أو تكشف على أشياء خاصة ومحددة، وهي تُجيب عن أسئلة من قبيل من هو؟ وهي تعرف بهذه الوظيفة"[2]. فإنَّ مصطلح الإحالة مرتبط بالمنحى الدلالي أو القضوي، ويستعين أحيانا بتراكيبٍ نحوية وصوتية لتحقيق غايته الدلالية أو لتستقيم الدلالة في القول ويتماسك المعنى. ومصطلح الإسناد" يُعبر عن نسبة المحمول على الموضوع المُحال عليه"[3]. وهذا الفعل الإسنادي يقوم بنسبة تركيب إلى آخر فعلي حتى يتحقق الفعل الكلامي، ويكتمل معناه وإفادته في المعنى.

ولقد أكد ج. سيرل Searle على وجود أفعال مباشرة وأفعال غير مباشرة في الفعل الكلامي، يتواصل بها المُتخاطبون في الكلام، ولا تكون كلها ذات طبيعة واحدة بل تختلف حسب السياق والحاجة."ومما يذكر لسيرل أنَّهُ فرقَ بين الأفعال الكلامية المباشرةdirect speech actsوغير المباشرة indirect speech acts، فوضحَ أنَّ المتحدث قد ينقل إلى المستمع أكثر مما تحملهُ الكلمات، اعتماداً على الخلفية المعرفية المشتركة بينهما، سواءً كانت لغوية أو غير لغوية، إضافةً إلى قدرة المستمع على الاستنتاج والتعقل والتفكير، ويثير مفهوم الأفعال الكلامية غير المباشرة مسألة إمكانية قول شيء من جانب المتحدث يحمل ما يقول من معنى كما يحمل معنىً إضافياً آخر"[4]. وهي خطوة من سيرل للتمييز بين الكلام الصريح والضمني، وأنَّ المتكلم قد يحملُ كلامَهُ أكثر من معنى وفق الحالة ." فهناك حالات يتمكن فيها المتكلم من

[1]- ينظر هلال يحي، نظرية أفعال الكلام في التداولية المعاصرة "جون روجر سيرل" أنموذجاً، مجلة أبعاد، الجزائر، العدد:4، جانفي 2017، ص:134.

[2]- المرجع السابق، ص:134.

[3]- المرجع السابق، ص:134.

[4]- نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، كلية الآداب جامعة حلوان مصر، ط:1، 2013، ص:59.

قول جملة ويريدُ بها معناها الظاهر، ويدلُّ ذلك على مقولة ذات محتوى إسنادي مُغاير مثلاً: يُمكن للمتكلم أن يتلفظ بجملة: هل بإمكانك أن تناولني الملح؟ ولا يدلُّ على استفهام بل طلب بتقديم الملح"[1]. ولعلَّ هذا الشاهد يُعطي صورة واضحة لمفهوم الأفعال الكلامية غير المباشرة، مع إمكانية حمل الكلام لأكثر من معنيين في الآن ذاته. فكلامنا دوما يحملُ المباشرة، في حين الفعل الكلامي غير المباشر نلجأ لهُ حسب إلحاح السياق الذي يضع المتخاطبين فيه، ويضطرهم للصيغ غير المباشرة الضمنية لإبداء مواقفهم وأفكارهم.

تصنيفات جون سيرل Searle للأفعال الكلامية:

ولقد أعاد ج.سيرل Searle النظر في تصنيف أوستين للأفعال الإنجازية، وقدَّمَ تصنيفاً بديلاً قدمهُ على أسس ثلاثة وهي: " 1-الغرض الإنجازي Illocutionary point 2-اتجاه المطابقةDirection of fit 3-الموقف النفسي المعبر عنه Expressed psychological state"[2]. يظهر أنَّ أساس الغرض الإنجازي في الكلام هو جوهر الفعل الكلامي وغايته، فغاية ومقصد كل متكلم من أن يحقق ما يريده من وراء خطابهِ، إضافة إلى أساس المطابقة الذي يكون الفعل الكلامي مطابقاً العالم ومقتضياته وبالرجوع إلى الحالة النفسية السلوكية الأساسية في الفعل الكلامي، والتي يستندُ إليها المتخاطبون باعتبارها مورد أفعالهم. وإنَّ سيرل يوجِدُ شروطاً عديدة بغية معاينة الفعل الكلامي عدا الأسس الفارطة ومنها العرف، فيرى:" أنَّ الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مُراد المتكلم، بل هو أيضاً مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي"[3]. فيظهر أنَّ الفعل الكلامي لا يتنصل عند سيرل من دور العرف والتقاليد في تحقيق العملية التواصلية، إذ لا يمكن عزل المتكلم عن سياقه وعن أعرافه وتقاليده وحالته الاجتماعية، لأنَّها سببٌ في تكوينه الخطابي، ويلجأ لها في عملية التواصل ويحتكم عند شروطها. " إذا لا مناص من الاعتراف بأنَّ نظرية أفعال الكلام هي من بين أولى النظريات التي حاولت دراسة العلاقة بين اللغة والاستعمال، والوقوف عند الإطار الذي يشمل كل مالهُ علاقة بالمؤشرات

[1]- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، دار الأمل للنشر والتوزيع، تيزي وزو، ط:2، 2013، ص:158.

[2]- ينظر سهل ليلى، نظرية الحدث اللغوي بين التأسيس والضبط المنهجي، التواصل في اللغات والثقافة والآداب، العدد:31، سبتمبر 2012، ص:101.

[3]- علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية؛ الأفعال الإنجازية العربية المعاصرة؛ دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، الكويت، ط:1، 2010، ص:51.

السياقية التي تقيم العملية التواصلية والقضايا المادية التي تحيط بها"[1]. وعلى إثر الشروط التي أعلنها سيرل والأسس، والتي ينهضُ عليها الفعل الكلامي ويتحقق نظامهُ الشكلي والدلالي والإنجازي والتأثيري، فهو يعتمد على أفعال قولية يسعى إلى تحقيق أغراضٍ إنجازية وغايات تأثيرية تخصُّ ردود فعل التلقي، انطلاقاً من سياق الحال والأعراف اللغوية المتعارف عليها بين الجماعة اللغوية.

ولقد طرح جون سيرل Searle تصنيفات للفعل الإنجازي والتي تُسطِرُهُ في العملية التواصلية وتُؤطِرُهُ، وهذا بمراعاة تصنيفات أستاذه أوستين إلى خمس تصنيفات وهي:

1- التقريريات (الإخباريات) Assertives وغرضها الإنجازي أن يعمد المتكلم في وصف واقعة معينة من خلال قضية ما، ويدخل فيها أيضا ما تتداوله الصحف والنشرات الإخبارية وتنقلهُ إلينا حول ما يدور في العالم من أحداث وشؤون، وأفعال هذه الأصناف كلُّها تحتمل الصدق والكذب وهي أفعال تأكيدية أو تقريرية، واتجاه المطابقة في هذه الأفعال من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في نقل الواقع نقلاً أميناً إلا وأصبحت أخباراً معيبة.

2- التوجيهيات / الأمريات (الطلبيات) Directives وتكمن وظيفتها في جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرُفه مُتلائماً مع المحتوى الخبري للتوجيه، وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه إلى فعل شيء معين، وذلك بالإغراء والاقتراح أو النصحِ، ويدخل في هذا الصنف الأمر، النهي، النداء، الاستفهام. قصد التأثير في المخاطب.

3- الوعديات / الإلزاميات Commissivesوغرضها متعلق بالمتكلم والتزامهِ بفعل شيء ما في المستقبل، وتتعلق بأفعال: الوعد والوعيد، التخويف، التهديد، التحذير، الترغيب.

4- التعبيريات / البوحيات Expressives وترتبط بالمتكلم أو المخاطب، إذ يُعبر فيها المتكلم عن حالته النفسية تجاه الواقعة، المشاعر والمواقف، وإنَّها تشتملُ على أفعال الشكر، والاعتذار...

[1]- محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية مصر، ط:1، 2006، ص:41.

5- الإيقاعيات / التصريحيات Déclaratives والغرض منها إحداث تغيير في العالم بحيث يُطابق العالم المُحتوى القضوي بمجرد الإنشاء الناجح للفعل الكلامي، ويتمُّ ذلك بالأفعال الكلامية المنجزة في إطار العرف غير اللغوي أو الإطار المؤسساتي "[1]. لقد تميزت مرحلة سيرل في دراسته للأفعال الكلامية أنَّ جميع الجمل اللغوية تحوي في عمقها الدلالي أفعال من قبيل الإنجاز، ولقد كان تصنيفهُ للأفعال الكلامية مُركزاً بالأساس على الفعل الإنجازي مثل أستاذه أوستين، إلا أنَهُ أحدث تعديلات منها تجزئة فعل التلفظ واستحداث الفعل الدلالي القضوي محور اهتمامه، والتركيز على فعلي الإسناد والإحالة، واستحداثه الأفعال المباشرة وغير المباشرة وإضافة أسس وشروط الحوار لتحقيق الفعل الكلامي غايته التداولية.

لقد شكلت تداولية أفعال الكلام قطباً أساسياً في تحليل الخطاب، وآلية مهمة لتفكيك النصوص، وفهم أسرارها واستنطاق كوامنها، وهذا من خلال مجمل الأفعال اللغوية المختلفة المعتمدة في قراءة النصوص، وتفيدنا في إدراك مقاصد المتكلمين وسياقاتهم، وعلى الرغم من الاختلاف المشهود بين جون أوستين وتلميذه سيرل في التصنيفات للفعل الكلامي، إلا أنَّهُ اختلافٌ محمودٌ لما أفرزهُ من تصنيفات متمايزة، وشروط وأسس ترسي للفعل الكلامي، بل وأكثر من هذا تُبْلِغُهُ المقصدية الأعلى من وراء الفعل الكلامي، ونصبو من وراء هذا الطرح المختلف والمتمايز للفعل الكلامي وتصنيفاته، وهذا حتى يفضل معاينته في الخطاب السردي، وتكييف بعض آلياته ومفاهيمه، وذلك لاستكمال فهم المنطوقات السردية وإدراك المقصديات التداولية، ونسعى للإجابة عن فرضياتنا ، التي تتمحور حول مدى قدرة الروائي على استيعاب خطابه السردي لهذه الآليات وتحكمه فيها، انطلاقاً من بُنى سردية.

1-2- الفضاء السردي:

يدفعنا الخطاب السردي هنا لمعاينة الفضاء السردي، وقراءته مرات عدة لأنَّهُ يفتح لنا منذ بدايته أبواباً إغرائية تأويلية إيحائية، وأنَّ القارئ ما سيتورط فيه جمالي ومرن، يكتنز إيحاءات ودلالات تُشير إلى مقاصد معينة،

[1]- ينظر بوبكر عريبي، قضايا التداولية في التراث العربي؛ الآليات التداولية واستنطاق النصوص؛ ذاكرة الماء أنموذجاً، مجلة العمدة في اللسانيات والخطاب، العدد:5، 2018، ص:151،152.

والفضاء السردي اختلافاً في ترجمته كغيره من المصطلحات الوافدة إلينا، طبعاً هذا لتنوعهِ وتغيُرِهِ. "فالفضاء يتسع لشتى أشكال المكان وأنماطه انطلاقاً من كونهِ أعمَّ من المكان، حيث يُشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي، وإن كان أساسياً، إنَّ الفضاء يسمحُ بالبحث في أفضية تتعدى المحدود والمُجسَد لمعانقة التخييل والذهن ومختلف الصور التي تسع مقولة الفضاء"[1]. يبدو أنَّ مصطلح فضاء يحوي جملة من الأمكنة، وأنَّهُ أشمل ليتسِعَ إلى مختلف هندسات الرواية، وتكمنُ أهميته ليسَ فيما يرصد من محتويات، بل في طريقة تشكيله وتنويعه، وينقسم الفضاء السردي إلى أنواع مختلفة، قد أشار إليها حسن بحراوي في كتابة بنية الشكل الروائي: " الفضاء الدلالي، والفضاء الجغرافي أو المراد به المكان، والفضاء النصي، وفضاء الرؤية"[2]. وإنَّ مجموع هذه الأمكنة المشكلة لبناء الحكاية والمساهمة في بلورة الأحداث وتماشيها، وتعالق الشخصيات وتفاعلها يُطلق عليها اسم الفضاء، فهو يلفها جميعاً ويشمل جموع الأحداث والتغيرات السردية، ويُهم بواقعيتها. وبناءً على ما سبق ذكرهُ كيف تمظهرت الأفعال الكلامية في تشكيلها الفضاء السردي بمختلف أنواعه، وكيف جرى استخدامها على أصل استعمالها؟

1-2-1- تداولية الفضاء النصي في ضوء نظرية أفعال الكلام :

يُعدُّ الفضاء النصي من بين مكونات الفضاء السردي، يقوم بالدور المنوط به الحكائي، وهذا من خلال مجموعة من عناصر لغوية وغير لغوية تُساهم في هندسة الرواية وبنائها، وإنَّهُ يُعطي لكل قارئٍ معاني ودلالات تختلف بحسب ثقافة ومعارف كل قارئ، والفضاء النصي هو واحد من الأفضية" التي تعبر عنها العلامات غير اللغوية بوضع طائفة من الإشارات وعلامات الوقف في الجمل داخل النص المطبوع، إضافةً إلى ذلك برزت عدة دراسات حول فضاء النص من خلال تحليل العنوان أو الغلاف أو المقدمات، وبدايات واختتام الفصول والتنويعات الطوبوغرافية المختلفة"[3]. إنَّ هذا الفضاء يُفضي إلى طرائق الكتابة وكيفية توزيع السواد على البياض، أو المساحات الفارغة، ويبحث

[1]- عبد القادر بن سالم، بنية الحكاية في النص الروائي المغاربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:1، 213، ص:115.

[2]- ينظر حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي؛ الفضاء الزمن الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط:1، 1990، ص:26،25.

[3]- ينظر المرجع السابق، ص:28.

في حيثياتها، فشكل الكتاب وطريقة إخراجهِ قد تجعلهُ يرغب فيه ويتحمس لهُ، أو ينفر منه ويبتعد عنه حتى دون الاطلاع على مضمونه، وأكثر من ذلك قد تجعله يقدم تصورات سابقة، قد تتحقق أو تخيب بفعل القراءة لاحقاً.

1-2-1-1- العنوان فعلا كلاميا:

إنَّ من خلال واجهة الغلاف تبرزُ أولى تجليات الكتابة بالخط المتمثلة في عنوان الرواية" **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**" ويُعد العنوان من أهم العتبات والمتعاليات النصية التي تثير المتلقين في الكتب مهما كانت توجهاتها، هذا النص الموازي الذي يُحيط بالنص الأصلي في الرواية الجديدة غدا لهُ أفقاً جديداً يقترحُ نفسهُ على المتلقين ويجذبهم. فيشير لوي هويك Leoh Hoek في كتابه سمة العنوان "أنَّ العنوان مجموعة العلامات اللسانية من كلمات وجمل وحتى نصوص قد تظهر على رأس النص لتدلَّ عليه، وتُعينهُ، تُشير لمحتواه الكلي، ولتجذبَ جمهورهُ المُستهدف"[1]. إنَ العنوان في شتى أشكال الخطاب الأدبي لهُ أدوار، فيُعدُّ مدخلاً إلى العمل، وأول عتبة تواجهنا إلى عالم النص الروائي، فهو خطاب لغوي يبين النص ويسِمهُ ويوحي إليه، ويغري المتلقي بالقراءة. "فالعنوان يشكل مرتكزاً دلالياً يجبُ أن ينتبه عليه فعل التلقي بوصفهِ أعلى سلطة تلقٍ ممكنة، ولتميزه بأعلى اقتصاد لغوي ممكن، ولاكتنازه بعلاقات إحالة (مقصدية) حرّة إلى العالم وإلى النص وإلى المرسل، لذلك علينا أن نفكك الدلالة التي يختزنها العنوان"[2]. يظهر أنَّ العنوان مؤشر دلالي مهم، وهذا للمحمولات الإحالية التي يكتنزها والتي لها علاقات بنواحي عدة بالمكتبات ودور النشر والجمهور القارئ، وإلى نصه الذي يُعنونه ويحيل عليه وإلى أبرز دلالاته، وإلى القارئ المقصود للرواية.

وإنَّ ما يثير الانتباه في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**[3] هو البناء اللغوي للعنوان، هذا الفعل الكلامي الاستعاري غير المباشر، الذي يُشير إلى دلالات مختلفة، وإلى قصص سالفة، عنوانٌ يتعانق مع المجاز والتاريخ في آن، ودلالته التركيبية تتألفُ من أسماء وأحرف. **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**؛ جملة اسمية خالية من

[1]- Loe Hoek, la marque du titre, dispositifs sémiotiques d'une pratique textuelle,ed,La Haye mouton,Paris,1981,p17عن عبد الحق بلعابد، جيرار جينيت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:1، 2008، ص:67.

[2]- عز الدين جلاوجي، سلطان النص؛ دراسات، دار المعرفة، الجزائر، د:ط، 2009، ص:135.

[3]- عزالدين جلاوجي، رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، صفحة الغلاف

الأفعال للدلالة على الاستمرار في الأمر، اسم الأنثى حوبة. وهي القائمة على فعل الحكي في الرواية، وسرد البوحيات التي هي ذاكرتها الجريحة، بلونها الأحمر القاني الذي كُتبت به والذي يدلُّ على الحب والحرب، كما نجدهُ فعل إحالي ضمني على التاريخ، متعالق مع حكايا ألف ليلة وليلة التراثية وتاريخ الجزائر العظيمة. **ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** الجملة المعطوفة على المسند حوبة والتي كُتبت بالأصفر بالبند العريض، هذا الفعل الكلامي التعبيري الذي يُحيل هو الآخر إلى قصة في المخيال الجماعي." فكان العنوان إحالة أخرى على البحث عن حقيقة هذه الشخصية بين العقيدة والتاريخ، ولم يكن العنوان أكثر صفاءً من الضبابية التي تحيط بالمهدي المنتظر بين أهل السنة وأصحاب الشيعة، لكن الشاهد في القضية برمتها هو ذلك الاستلهام الفني الأنيق لهذه القيمة من أجل شدِّ انتباه القارئ إلى فترة هامة من التاريخ الإسلامي"[1]. فقد استعار الروائي عز الدين جلاوجي في روايته شخصية المهدي المنتظر الدينية التي تتموقع حولها آلاف الأسئلة والدلالات، لتحمل إلى النص الروائي تلك الأسئلة والدلالات، فهكذا مزج الروائي في عنوانه بين الاستعارة والتأثير، وبين الإحالة إلى أعماق الحكايات التراثية والتاريخية الدينية إلى الإحالة لأعماق الوعي الجمعي الذي ينزف من حقبة شدَّت وقعتها عليه، فاعتمدَ الروائي فعلاً بوحياً يُلخصهُ في عنوان استعاري يحمل شحنات، ويكتنز إحالات دلالية ، أدت لنا فعلاً دلالياً بجميع مستوياته فعل القول والفعل المتضمن في القول والفعل التأثيري.

1-2-1-2- العناوين الداخلية فعلاً كلامياً:

إنَّ العناوين الداخلية أو الفرعية هي سمات إحالية رسمها الكاتبُ لتُوجزَ حكاياهُ وتختزلها، وتثير ذهن القارئ للغوصِ في دهاليزها، وتُساعدهُ على فك شفرات العمل الأدبي، إنَّها تُشكلُ دلالات ينجذبُ لها المتلقي لقراءة متونها. " فكلُّ جزئية من جزئيات الرواية تُفضي إلى عنوانها الرئيس، وعنوانها الرئيس يُفضي إلى تلك الجزئيات، بمعنى أنَّ هذه الفرعيات هي الشارحة للعنوان الرئيس"[2]. فإنَّ العناوين الداخلية هي تلخيصات موجزة محمَّلة بدلالات لا تتجزأ عن

[1]- عبد الحميد ختالة، الرواية الجزائرية تكتب التاريخ؛ قراءة في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر للروائي عز الدين جلاوجي، التواصل في اللغات والآداب، العدد:43، سبتمبر215، ص:96.

[2]- باسمة درمش، عتبات النص، مجلة علامات في النقد، السعودية، المجلد:16، الجزء:61، ماي2008، ص85.

العنوان الرئيس، بل هي شديدة الارتباط به والإيحاء عليه، ودرجة من درجات الوصول والاكتمال الدلالي. وإنَّ عناوين رواية **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** لهي إعلانٌ صريح منها على متنفسات وإطلالات مجازية إلى عمق الذات، تراكيب لغوية مختزلة تُعبر عن صور روائية مختلفة، اشتغلت هي الأخرى على الفعل الكلامي غير المباشر، وقد أُطلِقَ عليها سمة البوح، وكلُّ بوحٍ يُفضي إلى غيرهِ، ويُفضي إلى العنوان الرئيس، فهذه البوحيات هي فعل إحالي إلى قصص في الزمن الماضي والتاريخي معاً، فقد أُطلِقَ على البوح الأول **"أنات الناي الحزين"**[1]. جملة اسمية مكونة من مبتدأ ظاهر وخبر غير مفرد، المُسند إليه مُضاف إليه متعلقٌ بمحذوفٍ تقديرهُ كائن، شخصية العربي التي تُعانق نايها، لتُطلِقَ زفرات هي نفثة مصدور المغدور في والده، يُحيلنا الفعل الكلامي هذا غير المباشر المجازي إلى علاقة الجزء بالكل، جزء من زفرات متألمة من ناي حزين والتي تُحيل إلى قصص الغدر والحب والحرب، تُحيل لصراعات قبَلية بين قبيلتي أولاد النش وأولاد سيدي علي، وحلم الثأر لسيِّد القبيلة وعظيمها بلخير، وتغني العربي بحمامة وبِحبِها وحرِّ الصبابة.

والبوح الثاني أطلِقَ عليه سمة **" عبق الدَّم والبارود"**[2] الرائي لهذا العنوان يُدرك أنَّهُ فعل كلامي تقريري، يحمل دلالة الرائحة الزكية المنتشرة من الدم والبارود، أدى قوة إنجازية غير مباشرة، استلزم فيها قصة حماس وجهاد ووعي ثوري لدى العربي وأقرانهِ من الشخصيات، وانتقال الصراع القبلي إلى الصراع من أجل الوجود والتحرر من المُستدمر، صراع الدَّم والبارود والافتداء من أجل تحرير الوطن. أحال الفعل الكلامي هنا على قضية الوطن والوعي باستلاب الآخر له، وتعالق فيها مع التاريخ ومع شخصياته مُستلهما مُغترفاً منهُ الروائي أحداثهُ وما يخدمُ الفن الروائي، مُعيداً قراءته من زاوية نظر فنية نقدية.

أما البوح الثالث" **النهر المقدس"**[3] فعلٌ كلامي يحمل دلالة مجرى الماء العذب، مبتدأ أُسندَ إليه خبر يصفُ قدسيته، قوته الإنجازية الأصلية خبرية وصفية، يحملُ دلالة غير مباشرة وهي النضال الثوري، وانتفاضة أثبتت وعي

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:9.
[2]- المرجع السابق، ص:135.
[3]- المرجع السابق ، ص:281.

الشعب بقضيته من أجل الحرية، أعقبتها أحداث 8 ماي 1945، " وما النهرُ المقدسُ إلا وادي خراطة ببجاية الذي فاضَ يوماً بدماءِ الأبرياء الذين أُلقوا فيه، وإنَّ قدسيته من قدسية هؤلاء الأبرياء الذين قيدوا لحتفهم وهم مُقيَّدون"[1]. فدلالة العنوان هي إحالة إلى الانتفاضة الشعبية المقدسة، التي سالت دماؤها وأُهرقت لمطالبتها بالحرية فتلونت وديانها وشوارعها بدماء الأبرياء، ويبقى واد خراطة مجرد قراءة وتأويل لهذا الكلم، لأنَّ العنوان يكتنفُ بالغموض والرمزية معاً وينفتح على التأويل. وهذه غاية المُرسل الذي يريدنا أن لا نجيب على الأسئلة والافتراضات بل نبحث نحن معها ونثيرها. والملاحظ على هذه العناوين أنَّ أغلبها خطابية غير مباشرة، وأنَّ قصديتها لا تظهر من تركيبتها النسقية، بل تحملُ قصدية أخرى (قصدية غير مباشرة) إلى جانب قصديتها الظاهرة، وإنَّ هذه البوحيات تلخيصات للحكايا تُحيل عليها وتُشير إلى العنوان الرئيس فتكون درجات في الفهم للخطاب الروائي ومن جهة أخرى تنظم الأحداث في النص.

1-2-1-3- الإهداء فعلاً كلامياً:

يُعدُّ الإهداء واحداً من أهم العتبات النصية التي تُمهدُ الطريق أمام القارئ قبل ولوجهِ النص، وهذا لاحتوائه على دلالات إيحائية وترميزية لها علاقة بالنص. "فالإهداءُ هو تقديرٌ من الكاتب وعرفان يحملهُ للآخرين سواء كانوا أشخاصاً، أو مجموعات (واقعية أو اعتبارية) وهذا الاحترام يكون إما في شكل مطبوع (موجود أصلاً في العمل /الكتاب) وإما في شكلٍ مكتوب يُوقِعُه الكاتب بخط يدهِ في النسخة المهداة"[2]. فظهر أنَّ الإهداء هو رسالة تقريرية يوجهها الكاتبُ إلى المتلقين أو إلى شخص معيَّن، فالإهداءُ هو فضاءٌ نصي تواصُلي يحققُ التداولَ، وينقسمُ إلى قسمين إهداء نسخة ويكون مكتوباً باليد أو إهداء منسوخ في العمل أصلاً، وإنَّ الإهداءَ في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** كان خطاباً موَجهاً إلى جملة من المتلقين، إلى الإنسان وبنيه.

"إلى بني الإنسان

[1]- عبد الحميد ختالة، الرواية الجزائرية تكتب التاريخ، ص:98.

[2]- عبد الحق بلعابد، عتبات، ص:93.

***

يا بني الإنسان

الأرضُ واحدة، والشمسُ واحدة

تحابُّوا

لا تفرَّقوا في دهاليز الظلام"[1]

وإنَّ الروائي عز الدين جلاوجي في هذا الفعل الكلامي هو شاعرٌ يروعهُ ما يروعُ الإنسانية، اعتمدَ مجموعة من الكلمات ذات البناء النحوي الصحيح، مُخاطباً فيها بني الإنسان، مُنجزاً بذلك فعلاً بواسطة هذا القول، تراوح بين الأمر والنداء والنهي. فقولهُ: (إلى بني الإنسان) فعل كلامي غرضهُ الإنجازي مباشر، توجيه الإهداء لأبناء الإنسان وما ينسلُ عنهم من البشرية، ولفت انتباه القراء وتحريك فضولهم بتوجيه رسالة غير مباشرة مُشفرة يُخاطبُ فيها وعيهم وحسهم الإنساني، لينتقلَ إلى الرسالة بنداء، وهذا من شأنهِ أن يجعل المتلقي يلتفت وينتبه للمحتوى الذي يُصدرهُ ويُوجههُ وهذا بفعل الكلامي التوجيهي النداء (يا بني الإنسانّ) فهنا اعتمدَ الكاتب الأفعال التوجيهية (الأمرية) الطلبيات. " أي توجيه يُصدرهُ المتكلم للمُخاطب بفعل شيء ما، وتتركز الطلبيات في الاستفهام والأوامر والرجاء والنواهي والطلبيات والتمني والنصح"[2]. وإنَّ هذا التوجيه بفعل الكلام الطلبي النداء الذي استعمل فيه صيغة النداء المتألفة من أداة النداء (يا) والمنادى المضاف (بني الإنسان) طلباً منهُ للإقبال إلى نصيحته ورسالتهِ، والظفرِ بفعلها، ذات الغرض غير المباشر والدال في ظاهره على الانتباه والاهتمام بمضمون الرسالة الخطابية، واسترعاء انتباه المتلقين، وأيضاً للتنويه على ما سيُلقى عليهم وهذا بشأن الفعل الكلامي جواب النداء الذي حفز للانتباه إليه (الأرضُ واحدة، والشمسُ واحدة)[3] الوارد

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، صفحة الإهداء.

[2]- ينظر محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:79.

[3]- ينظر عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، صفحة الإهداء.

بعدهُ، أنَّهم يتشاطرون أرضاً واحدة وشمساً واحدة، يعيشون عليها، وهذا الفعل الإنجازي التقريري يُشير إلى الأرض التي يعيشُ عليها بني الإنسان على اختلاف أجناسهم وعروقهم وانتماءاتهم، ولكنَهُ يُلمح مجازاً إلى التوحد والائتلاف بين الناس وعدم التشتت والتفرق، ليأتي الفعل الكلامي التوجيهي الأمر ويكون غرضهُ الإنجازي "طلب الفعل على وجه الاستعلاء"[1] وهو طلب حصول فعل (تحابوا) التحابب مقترناً بالجمع (الواو الضمير الدال على جماعة بني الإنسان) على وجه الاستعلاء من الذات الكاتبة، حاملاً غرضاً إنجازياً يتضمن إرشاد الجماعة للائتلاف والحب، ونصحهم بالتوحد وعدم التفرُّق. ثم يلي الأمر في الإهداء فعل النهي، ويُعدُّ النهي نوعاً من الأفعال الكلامية الطلبية التوجيهية ونوعاً من الإنشاء الطلبي. "وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، ولهُ صيغة واحدة وهي: المضارع مع لا الناهية"[2]. فنجدُ النهي في هذا الإهداء له غرض إنجازي غير مباشر الإرشاد والنصح فيقول:(لا تفرقوا في دهاليز الظلام)[3] فطلب المتكلم من المخاطبين الكف عن شيء على وجه الاستعلاء، باعتماد لا الناهية وفعل المضارع تفرقوا المجزوم، الكف عن التفرق لأنَّ عاقبته الظلام والضياع في دهاليزه، ويبقى الظلام ودهاليزه باباً تأويلياً مفتوحاً على الواقع بما يجتاحهُ من محن ومآسٍ ومؤامرات، والماضي الذي كان هو الآخر في غبنٍ وظلمٍ وتسلطٍ تحت أمارة الاحتلال.

إذن اعتمدَ الكاتبُ سلسلة من الأفعال الإنجازية منها الصريحة التي تحمل دلالتها معها ولا تروم دلالة أخرى في ثناياها، وأفعال ضمنية تحمل دلالتان وتستلزمهما، دلالة مباشرة ترافق الفعل ويفهمها الجميع، ودلالة خفية غير مباشرة تستلزم من قارئها القدرة الذهنية لفك لغزها وتأويله، والغرض من توفيرها في الخطاب إيصال نوايا الكاتب وقصدهِ لمتلقي الخطاب، وهذا بالالتفاف حول الأرض وعدم الضياع في دهاليز الظلام بالحروب والفتن والسجالات الخاسرة، وهكذا الإهداء يظهر أنَهُ سلسلة من الأفعال الكلامية الإنجازية لأنها تحملُ قوتها الإنجازية بالتأثير على المتلقي، وتلميحٌ غير مباشر وإحالة وإعلان عما سيقرأهُ القارئ في ثنايا أسطر الرواية وتمهيد للحكاية .

[1]- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها؛ علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع،، إربد الأردن، ط:2، 1989 ، ص:149.

[2]- المرجع السابق، ص:154.

[3]-- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، صفحة الإهداء.

1-2-1-4- الاستهلال فعلا كلامياً:

هي الكلام الذي يتقدمُ الأحداث في الرواية، والمدخل الذي يُستهلُ به الحديث، وهي فرشٌ كلامي تعبيري لا يقلُّ أهمية عما يردُ بعدهُ، و تحدث عنه جيرار جينيت J. Genet "فهو ذلك المصطلح الأكثر تداولاً واستعمالاً في اللغة الفرنسية واللغات عموماً، كل ذلك الفضاء من النص الافتتاحي / Liminaire بدئياً كان أو ختمياً Post Liminaire والذي يُعنى بإنتاج خطاب بخصوص النَّص لاحقاً به أو سابقاً له"[1]. يظهر أنَّ الاستهلال فضاء نصي مكتوب افتتاحي تمهيدي سابقٌ للنص أو يأتي في لاحقهِ، لهُ أهمية تداولية نظراً لموقعهِ ودورهِ الافتتاحي، يرتكزُ عليه المتلقي ويبحث عنهُ ليُطلِعهُ ويبوح لهُ عن بعض أسرار النص. وإنَّ الاستهلال الروائي يختلفُ عن الاستهلالات في مختلف الكتب ومختلف الفنون. " إذ تميلُ استهلالات الفن الروائي إلى السعة والتنوع وغالباً ما يستغرقُ الفصل الأول منها كلّهُ، لأنَّهُ يتعامل مع كلية العمل، وعليه أن يزرع الاستهلال النويات الصغيرة للأفعال الكبيرة اللاحقة، وفيه يجدُ القارئ مسْحاً أولياً لكلِّ عناصر البناء من شخصيات وأفكار وأحداث"[2]. إنَّ النص الأدبي أياً كان جنسهُ تختلفُ وتتمايز استهلالاته وفق طبيعته ووفق منظور الكاتب، والنص الروائي من النصوص الأدبية التخييلية التي تحتفي بالاستهلال وبالإيهام فيه، فهو من أصعب المحطات في الكتابة الروائية، لأنَّهُ حاضنة الأفكار ومُوجهُ الفصولِ والأبواب. كما يتميز الاستهلال الروائي بالعمق والتكثيف الدلالي، ومن خلاله يحدثُ الجذب أو النفور، لذلك ترى الروائي يهتم بهذا الفضاء النصي.

وتأسيساً على ما سلفَ ذكرهُ فإنَّ **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**، تستهلُ خطابها بفعل كلامي نجدُ لهُ معانٍ عدَّة، فاتحاً باب التأويل عليه، فيقول:" **أنا لا أؤمنُ بالمهدي المنتظر، هو مجرَّد خُرافة رسمها خيال العامة المنهزمين تعلُّقاً منهم بأملٍ ما، سيشرفُ يوماً ليهزمَ ظلماتهم. لكن حوبة تؤمن به وتنتظرهُ بشوقٍ كبير، وتظل تحكي عنهُ دون ملل أو كلل**"[3]. فإنَّ هذا القول المتضمن في الفعل الكلامي، يُضمنُ فعلاً كلامياً تقريرياً مُركبا من صيغة

---

[1] عن عبد الحق بلعابد، عتبات، ص:112,.-Gerard Gennet, Seuils, ed du seuil, paris,1987

[2] - ياسين النصير، الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق سورية، ط:3، 2009، ص:145.

[3] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص11.

ضمير المتكلم أنا، التي تُحيلنا إلى الذات الساردة التي تستمع لحكاية حوبة وتقوم بكتابتها. "فالواقع الذي يحيل عليه ضمير المتكلم هو واقع الخطاب لا غيره وأنَ ضمير المتكلم لا يمكن تعيينه إلا باعتماد على الخطاب المنجز الذي يتضمنه، وليس له من قيمة إلا بالاستعمال الذي يحدثُ فيه"[1]. فضمير المتكلم لا صيغة لهُ خارج الخطاب فهو فارغٌ، والخطاب يمنحهُ صيغتهُ اللغوية، فهو يحيلُ إلى الذات المتكلمة داخل الخطاب وهنا الذات المتكلمة هي السارد، الذي يُتبعُ قولهُ بفعل كلامي يدلُ على النفي (**أنا لا أؤمنُ بالمهدي المنتظر**). فالسارد ينفي عن نفسهِ الإيمان بحقيقة وجود (**المهدي المنتظر**) فهو يظن أنَّهُ خيال رسمهُ ذهن العامة، فهذا القول يُنافي ما جاء به العنوان ويصدع المتلقي الذي توهمَ أنَّهُ سيجدُ شخصية (المهدي المنتظر) فهناك مفارقة سردية يجدُ القارئ نفسهُ أمامها، وكسر لتوقُعاتهِ التي بناها انطلاقاً من العنوان المغري والموحي بشخصية تاريخية دينية. فالقول المتضمن في الفعل الكلامي لا يتضحُ ويُفهمُ في استهلالها، بل إنَّهُ يتأخرُ إلى أبواب الرواية اللاحقة، حيث نجد له قصة طويلة مُتشعبة يربطُها خيطٌ رفيع، وكان الاستهلال يزرع النوايا الصغيرة لما سيُصادفهُ القارئ في رحلة القراءة. فالكلام الإنجازي غير المباشر الذي تُوحي به دلالة ا(لمهدي المنتظر)هو الأحداث المستلهمة من تاريخ الجزائر، والوقائع البطولية في الذاكرة الجزائرية، والتي يظهر أنَّ هناك أكثر من (مهدي منتظر)حقق حلم التحرر، من خلال الشخصيات التاريخية والمتخيلة التي تضافرت للانتفاضة الأسطورية.

وإنَّ الميزة الجمالية الإبداعية لهذا الفعل الكلامي الاستهلالي أنَّهُ يتعالق مع أكثر من حكاية، وكأنَّهُ يدفع بالقارئ إلى اكتشاف واكتناه أسرار كثيرة تُشير إليها الإشارات اللغوية الصغيرة في الاستهلال. وهذا حين نجدُ لهُ قولاً متضمناً لفعل من حكايات ألف ليلة وليلة التُراثية مُصرِحاً بذلك في قولهِ:" **حوبة هي شهرزادي التي ظلت مدى السنوات الطوال تزرعُ نفسي القاحلة بحكاياتها الجميلة، فتُحيلُ صحرائي إلى جنتين من أحلام وآمال، وإنْ تكن هي**

[1]- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية؛ تأسيس نحو النص، المجلد الثاني، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، تونس، د:ط، 2001، ص:1076.

شهرزادي، فأنا لستُ شهريارها.."[1] فيظهر لمتأمل الفعل الكلامي أنَّ المستهل في الرواية هو السارد، الشخصية التخييلية المستمعة لحكايات حوبة والتي كانت تكتب عنها حكاياتها، **وحوبة** هي السارد العالم بكل حيثيات الزمان والمكان والأحداث والشخصيات، فهذا الفعل الكلامي التعبيري يُظهر استناده على ألفاظ تعبيرية بوحية يتغزل من خلالها السارد **بحوبة (تزرعُ نفسي القاحلة بحكاياتها) (تُحيل صحرائي إلى جنتين من أحلام وآمال)** فبوحياته شاعرية ارتكزت على الصور غير المباشرة الاستعارية للتعبير عن النفس فالحكايات لا تزرع النفس، والنفس ليست صحراء، وإنَّما هي علاقات مختلفة وُضِعت للمشابهة، فهنا العلاقة التشابهية ارتبطت بظواهر الطبيعة وأحالت على الأرض، قصدَ التأثير في المتلقي بهذا التشابه واسترعاء انتباهه للحكاية، مُضمناً القول في ذلك أسماء الشخصيات (شهرزاد، شهريار) التُراثية، وهذا ليزيدَ الفعل التعبيري عُمقاً ودلالة، ويُوحي للقارئ بهذه الإشارات للتساؤل (هي شهرزاد؟ ما علاقة شهرزاد بحوبة؟ هل الحكاية على منوال حكايات ألف ليلة؟) وغير ذلك..

ولقد ظهرت الأفعال الكلامية في الاستهلال بمظهرٍ إنجازي غير مباشر، لا يتوصلُ القارئُ إلى إدراك المقصود إلا بعد إعمال العقل، وهذا لأنَّ الروائي عمد إلى اعتماد أفعال تعبيرية ليؤثر بها على المتلقي، فيذكر جورج يول George Yuleفي شأنها " أنَّ التعبيريات هي تعبير عن حالات نفسية، ويُمكن لها أن تُعبر عن ألم أو سرور، أو حزن، أو فرح، أو عما هو محبوب أو ممقوت"[2]. لقد استثمرت الرواية كثيراً في الآليات التعبيرية وهذا للدلالة على القوة الإنجازية لهذا الخطاب. مثيل ذلك: "**حوبة حين تحكي تكونُ كالعين النضاحة...فهي تُشبهُ عيون مياهنا وحقولَ قمحنا... عيناها السوداوان تتوسدُ شواطئها النوارسُ الحالمة**..."[3]. فيصورُ ويصفُ السارد حوبة وهي تسرد حكاياها تصويراً فنياً استعارياً يجعل القارئ يعيش الحكايات ويتأملها وكأنها حكايات تتجسد صورها أمامه، وإنَّ هذا النوع من الأفعال

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:11.

[2]- جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي ،الدار العربية للعلوم، لبنان، ط:1، 2010، ص:90.

[3]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:11.

الكلامية غير المباشرة التلميحية، والتي عبرت عن مقاصد الخطاب المضمرة تعدُّ مفتاحاً من مفاتيح القراءة، فالمؤلف كثيراً ما يعمدُ إلى هذه الأفعال غير المباشرة لتمرير مقاصده التداولية والتأثير في المتلقي.

والسارد في حوبة يُنجز أفعالاً كلامية لُغتها شاعرية، برزَ الانتقالُ مباشرةً فيها من الفعل المباشر الحرفي إلى الفعل غير المباشر الذهني واضحاً، فالفعل المباشر يدلنا على المعنى السطحي على (**أنَّ حوبة عين جارية وحقل قمحٍ، وعيونها شواطئ**) أما الفعل غير المباشر الذهني يحمل القوة المنجزة وهي سعة الكتابة الشعرية الأدبية عند عز الدين جلاوجي، والمخزون والثراء الذهني التعبيري الإبداعي الشاعري، والغرضُ لا يُفهمُ تداولياً إلا بعد التأويل، وهو الجزائر التي تزيَنُ بحقول قمحها وشواطئها، التي تروي حكاياها للأجيال دون أن تنبجس هذه العينُ، وتظل تروي بطولات أصحابها وأمجادهم على هذه الأرض الطيبة، هي العاشقة والمعشوقة لكلِّ أبنائها، إلا أنَّ حوبة حكاياها لا تُشبهُ حكايا شهرزاد التي تختفي بطلوع الفجر، هي حكايات تمتد إلى كل الأوقات وفي كل الأمكنة مجترحةً مآسي تنزَّت دماً ثائراً، وحتى يصلَ الروائي إلى قمة التأثير بهذا الفعل الكلامي انزاح بلغتهِ إلى الشاعرية وإلى اعتماد أفعال كلامية تمثيلية تقوم على علاقات تشابهية، فالتشبيه حاضرٌ بقوة وهذا في قولة (**حوبة كالعين النضاحة حينما تحكي تُشبهُ عيون الماء وحقول القمح**) والقول الاستعاري في قوله (**عيناها السوداوان تتوسد شواطئها النوارسُ**) فهنا العلاقة التشابهية ارتبطت بظواهر الطبيعة وأحالت على الأرض وجمال حقولها وصفاء عيونها وشواطئها المزدانة بالنوارس الحالمة، وهذا الانزياح اللغوي من شأنه تعليق ذهن القارئ وعواطفهِ لهذا التصوير الجمالي، وإقامة هذه العلاقة التشابهية التي أقيمت لا تُدرك إلا بالعقل فتزيدهُ انغماساً في الحديث وتأثيراً عليه.

ما يُلاحظُ في الاستهلال أنَّهُ حققَ تمرير النوايا الصغرى لما سيقعُ في رواية حوبة، واستطاعَ جذبَ القارئ إليه وهذا انطلاقًا من الأفعال الكلامية المختلفة التي حققت أبعاداً تداولية، وهذا بالرغم أنَّهُ لم يتناول جلها في التحليل إلا ما تحققت فيه بعض القرائن، إلا أنَّهُ ظهر خلال هذه المقاطع الاستهلالية الاستشهادية استناد الروائي على الأفعال التقريرية الإخبارية الوصفية المباشرة وغير المباشرة التمثيلية، والأفعال التوجيهية بمختلف صيغها من تمنٍ ونداء ورجاء، واعتماده الأفعال الإعلانية بتناصهِ مع نص خارجي وشخصيات تُراثية وتاريخية، وهذا ليس سبيله ملأ ثغرات

النص بقدر من التلميح والترميز الإيحائي، ولقد أعلن عنها في استهلاله: المهدي المنتظر، شهرزاد، شهريار، وهذا ليبرزَ براعتهُ في استلهام القصص، وحتى يمنح نصَّهُ ثقلاً لأنَّ بالحديث عن هذه الشخصيات التي لها وزنُها في التراث والتاريخ أن تمنح النص الروائي إيحاءات وجماليات، وإنَّ هذا كان مقصدُ الروائي من استلهامها، فالأفعال الكلامية في الاستهلال أبانت عن تنوعها ولأغراضها الإنجازية، وخروج أغلب أغراض الأفعال الإنجازية في أسلوبهِ من المعنى الحقيقي إلى معنى آخر مجازي يُفهمُ من سياق الكلام أو الإيحاء.

1-2-2- الأفعال الكلامية في تشكيل الفضاء الجغرافي:

إنَّ الفضاء الجغرافي من الأفضية المُهمة في تشكيل الخطاب الروائي، لأنَّهُ شديد الارتباط بالأحداث والشخصيات ولا يتواجدُ إلا بواسطة الحكي، ويُفهمُ من خلال التصوير اللغوي لأرجائه ومعماريتهِ، وإنَّهُ يمثلُ مسرحاً للشخصيات وأحداثها التي تقع عليه، وتفاعلها وتواصلها. " فيُفهم الفضاء عادةً على أنَّهُ الحيز المكاني في الرواية أو الحكي عامةً، ويُطلقُ عليه عادةً الفضاء الجغرافي **L'éspace Geographique** فالروائي مثلاً في نظر البعض يُقدمُ دائماً حداً أدنى من الإشارات الجغرافية التي تُشكل فقط نقطة انطلاق من أجل تحريك خيال القارئ، أو من أجل تحقيق استكشافات منهجية للأماكن"[1]. فالمكان أو الفضاء الجغرافي هو مكون من مكونات الفضاء السردي، يعمدُ لهُ الروائي حتى تبدو الحكاية المُتخيَّلة أكثر واقعية، ولإنتاجٍ لا محدود للدلالات من خلالِ خلقهِ وتصويرهِ. وأنَّ المكان يُساهمُ في خلق المعنى داخل الرواية، ويعدُّ أداة للتعبير ويؤدي دوراً حيوياً في مستويات الفهم والتأويل، إذْ كل فعل تخييلي لا يمكن تصورهُ وتخيُّلهُ إلا في إطار مكاني.

وإنَّ رواية حوبة احتفت كثيراً بالفضاء الجغرافي، وتوزعت وفق هندسة منظمة متتبعةً حيواة الشخصيات ومسارها، فظهرت أمكنة جغرافية متنوعة شكلت مسرحاً للشخصيات الواقعية والمتخيلة، علاوةً إلى الإشارات والأفعال والجمل التي تُحيل إلى أمكنة لا حدود لها. وهذا لأنَّ الروائي دأب في روايتهِ إلى التنويع في الأمكنة بكثافة وتركيز كبيرين،

[1]- حميد لحمداني، بنية النص السردي؛ من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط:1، 1991، ص:54.

وسيتتبعُ البحث فيها واحدة من القراءات المُنصبة على مفهوم التقاطُبات المكانية التي تأتي في شكل ثنائيات مُتعاكسة. " وتأتي تلك التقاطُبات عادةً في شكل ثنائيات ضدية تجمعُ بين قوى أو عناصر مُتعارضة بحيث تُعبر عن العلاقات والتوترات التي تحدث عند اتصال الراوي أو الشخصيات بأماكن الأحداث"[1]. إذن المبدأ الأساسي الذي تقومُ عليه التقاطبات المكانية هو الضدية والتعارض الكامن في وظائفها وصفاتها، والإيحاءات التي تُشير إليها، والعلاقة الأولى والأخيرة في تشكيل هذه التقاطبات هي الشخصيات وقضية الانتماء إلى هذه الأمكنة، فقضية التضاد والتعارض تنبعُ من الأفعال الكلامية المنسوبة للشخصيات في ترددها على الأمكنة، ولقد اعتنى الروائي عز الدين جلاوجي بالمكان مازجاً بين الأمكنة الواقعية والمتخيلة الأمكنة المفتوحة والمغلقة وبناءً عليها سنتناول كيفية تشكيل الأفعال الكلامية لهذه الأمكنة؟

1-2-2-1- الفعل الكلامي وتشكيله للأماكن المفتوحة:

لقد أوردَ الروائي عز الدين جلاوجي فضاءً جغرافياً مُتعدداً في روايته، فظهرت أمكنة مُنفتحة رغم قدمها واهتراء مبانيها، ورغم ضيق زواياها ومحدوديتها الهندسية، لكن الاتصال الإنساني بها جعلها تنفتح انفتاح نفسه لها وشعوره فيها بالحرية والانعتاق، وتجسدَ هذا في الأمكنة الآتية:

قرية أولاد سيدي علي: فضاء يُمثل بالنسبة لشخصيات الرواية، علاقة حب وانتماء، وموطن الرِّجال والثوار، وجدت فيه الشخصيات الحب والعطاء والأمن والاستقرار، **فقبيلة أولاد سيدي علي** بناءٌ لغوي شيَّدهُ خيال الروائي بطابعٍ لفظي وجعلهُ كثير المشاعر والتصورات، لاجئاً في ذلك إلى الأفعال التقريرية ليصِفَه ويصفَ حركة الشخصيات فيه. فالأفعال التقريرية " تتمثل في تلك الأقوال التي تصفُ حالاً مُعيَّناً لشيء أو لشخص، وقد سماها العرب بالأساليب الخبرية، وهي أنَّ الكلام إن احتمل الصدق والكذب لذاته، بحيث يصحُ أن يُقال لقائلهِ إنَّهُ صادقٌ أو كاذب يُسمى كلاماً

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء - الزمن- الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط:1، 1990، ص:33.

خبرياً، والمرادُ بالصادق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع، والكاذب ما لم يُطابق نسبة الكلام فيه الواقع"[1].إذن الأفعال التقريرية أو الخبرية تعتمدُ تقنية الوصف للإقرار عن أمر ما فما يُماثلُ الواقع ويُطابقهُ صادق وما لا يُطابقهُ فهو كلام كاذب، ومن سُبُلِ المُبدع في الكتابة الروائية وآلياته التي تُعرّف بالشخصيات والأمكنة هي الوصف، فيذكر السارد واصفاً **قرية أولاد سيدي علي:" ظهرت أمامهُ قبيلة أولاد سيدي علي مُنبسطةً، لقد بدأت الأرضُ تكتسي بالخضرة، كانت البيوت المتناثرة أمامهُ أشبه بجمالٍ باركةٍ، جميعُها مُحيط من الحجارة ولبن التراب مُغطًّى بقصبٍ وطين"**[2]. إنَّ هذا الفعل الكلامي التقريري ركزَ وبكثافة على تقنية الوصف لرسمِ معالم **قرية أولاد سيدي علي**، وليس هذا فحسب ظهرت الصفات ومعها التمثيل بإقامة علاقة مشابهة بين بيوتها المتناثرة والجمال الباركة، فإنَّ هذا الوصف والتصوير الذي ينقل صورة القبيلة وتشكيلاتها الهندسية بدقة، يجعل القارئ يشعرُ أنَّهُ يعيش في عالم واقعي وتوهمهُ بواقعيتها وليس في عالم مُتخيل، وإنَّ هذا الوصف تخييلي لا يطابق الواقع وإنَّهُ فعل كلامي إبداعي لا يتكلَّفُ بنقل الوقائع بصدق أو وصف الأمكنة بأمانه لأنَّ هذه ماهية التخييل الروائي، والصدق والأمانة يتحراها المؤرخون في وضع التاريخ والإقرار بأخبار الأولين، أما الالتزام بهذا الشرط الصدق والكذب يكون معياراً حين يصف الروائي ويُقرُّ بأحداث فلا يتناقض مع نفسهِ في محطات الحكي الأخرى ويُوردُ وصفاً لمكان واحد يتنافى ويتقاطع في الوصف.

قُرابة الولي الصالح سيدي علي: إنَّهُ فضاء مدعاة للترميز والإيحاء، ومكان لإفراغ الهموم والتنفيس عن الذوات، وانطلاق للحكايات العجائبية وأحداث الكرامات والأولياء، والتي ألفينا تعدد ظهورها في الرواية، وترددها على لسان الشخصيات عديداً. يذكر السارد:" **عاد إلى القرابة، دخلَها أشعلَ شموعاً، وبخوراً، استنار المكان، عبق بالكرامات، تعالت حوله أصوات الابتهالات، راح يُهدهدُ القبر بيديه فتنقل إلى أعماقهِ سكينة وطمأنينة طالما نعم بها"**[3]. أظهرَ هذا الفعل الكلامي التقريري الوصفي الحالة النفسية للشخصية عند ركونها إلى فضاء القُرابة، واعتمد

[1]- عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:3، 2000، ص:13.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:16.

[3]-المرجع السابق ، ص:107،108.

فعل الوصف ليُصورَ القرابة وجوَّها المهيب الممتلئ بالرهبانية والممتزج بالكرامات، والفعل التعبيري الذي يضمن (السكينة، الاطمئنان) وهذا حتى يغدو أكثر قربا وتأثيراً في مشاعر المتلقي لاستمالتها . وإنَّ هذا التوظيف للفضاء الصوفي الغريب العجيب واللجوء إليه هو فعل مباشر يُعبر عن سذاجة الشخصيات، وانتشار فكر الأضرحة والأولياء والإيمان بخوارقها وهذا ما كان في زمن مضى، أما الفعل الإنجازي الضمني الخفي هي الفضاء الصوفي ووظيفته البنائية الذي لا يكادُ يفارق الشخصيات، ولا يكتفي باحتضانهم بل يعمل على توجيه حركتهم ضمن خصوصيته العجائبية، وينفتح حين تغدو هذه الديار العتيقة المليئة برائحة الشموع ومختلف أنواع الروائح التي يجتهد في تجديدها الزوار على تحقيق الأحلام والتشافي من الأمراض، وإغاثة الناس، فهاهنا الروائي يُريد إيصال أفكار إلى الغير لإفهامهم مقاصده، فالأضرحة المكان المفتوح مقابل زاوية الشيخ عمار المكان المغلق على رغم رحابته واتساع غرفه وكثرة مريديه، إلا أنَّ هذا المكان المُضاد المُعارض يمثل السلطة والاستبداد، والظلم وضياع الحقوق، فالروائي **عز الدين جلاوجي** بتوظيفه للأفعال الكلامية التقريرية الوصفية لا يقصدُ التوصيف الجامد للأضرحة وحالة الناس، ولا الفوتوغرافي بألوانه الطبيعية، بل هي محاولة منهُ للحث على عدم الرضوخ لحالة الاستكانة لهذا الواقع، الذي يرضى برضوخ الناس والجري وراء الأموات الذين قضوا حيواتهم كيفما كان والتبرُّك بقبورهم، بل يدعو بأقوالهِ المضمرة الخفية العقول الواعية واستنهاضها بالخروج من هذه الأوهام والتصدي للسلطة المزيفة بقناع الدين والمراد بذلك فضاء الزاوية.

فضاء سطيف: عرضَ الروائي في هذا الفضاء أبعاداً مختلفة لهُ، نظراً لانفتاحهِ الجغرافي والفكري، وجراء تعدد نشاطات الشخصيات عليه وحركتها، فتشظى هذا الفضاء إلى أمكنة مختلفة، فإنَّهُ يُشكل النواة الأولى حسب توصيف السارد للثورة، ومختلف الأفكار الإيديولوجية والتعارضات الفكرية، يذكر السارد في هذا الفعل الكلامي:" **إنَّهُ الدكتور فرحات عباس، لقد اختار سطيف وقرر أن يستقرَ بها نهائياً، هو معجبٌ بها وبالحركة التي نشأت فيها**"[1]. فإن الفعل الكلامي التقريري التخييلي يبرز كيف استقطبت سطيف الشخصيات التاريخية والمتخيلة لها، فإنَّها لم تكن مجرد

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:395.

مدينة عادية، فهذا النقل الذي يبدو أميناً هو لإفادة المتلقي وجعله يُصدق واقعية هذه الحكاية وواقعية الأمكنة وإيهامه بحقيقتها، وهذا جزء من النوايا المقصدية للكاتب، فتذكر في هذا الشأن **جوليا كريستيفا Julia Kristeva** "أنَّ المكان يتشكل من خلال العمل القصصي يحملُ معهُ جميع الدلالات اللازمة له، والتي تكون عادة مرتبطة بعصرٍ من العصور حيث تسودُ ثقافة مُعينة أو رؤية خاصة للعالم، وهو ما نسميه إيديوليجم العصر Idiologéme وهو الطابع الثقافي العام الغالب في عصر من العصور، ولذلك ينبغي لفضاء الروائي أن يدرس في علاقته مع النصوص المتعددة بعصر ما أو حقبة تاريخية محددة"[1]. وإنَّ الروائي بهذا الفعل الكلامي التقريري يحمل إلينا الدلالات المرتبطة بهذا المكان، التي سادت فيها الحركات التحررية وانتعاشها، ويُؤكدهُ القول باعتماد أدوات التوكيد والتقرير والإثبات (إنَّ، لقد، والجمل الاسمية) وعبر بالمستوى المباشر وغير المباشر الضمني، عن الارتباك السياسي والأيديولوجي في مدينة سطيف، وهذا ليستميل المتلقي إليه بهذه الحقائق ويدفعه للاقتناع.

ولقد ظهرت مدينة سطيف خلال جملة الأفعال الكلامية التي وصفتها، مدينة ذات طراز قديم أثرية وتاريخية، تُحيلُ إلى حضارات توافدت على هذه المدينة العتيقة وتدل على الانفتاح. يذكر السارد خلال هذا الشاهد:" **لقد أثارت مدينة سطيف في قلبهِ رغم كل شيء الدهشة والانبهار، لقد كانت وهي تجثمُ على هضبة عالية تُحيط بها سهول التربة السوداء المتدفقة ماءً وغلالاً كالجازية الهلالية وهي تجلسُ عروسة في هودجها المُزدان، وكانت تُطوقها حقول القمح المتماوج بسنابلِها الطويلة كشعر الجازية المتدلي على كتفيها...**"[2]. إنَّ فضاء سطيف في الرواية يكتسب دلالة خاصة، تتعدى ما كانت عليه في الواقع، فالروائي وهو يُشيِّدُ مكانه لجأ للوصف المباشر، وتصوير لمظاهرها الفيزيائية، كما لجأ لأفعال كلامية تأثيرية ممتزجة بالأفعال التمثيلية التحفيزية، وهذا بإثارة قصص وشخصيات تُراثية بتناصهِ مع الجازية الهلالية، فهنا هذا التصوير اللغوي أصبح إيحاءً لا نهائي يتجاوز التصوير المرئي والدلالة المباشرة للأفعال الكلامية إلى الدلالة الضمنية التي توحي بمعانٍ كثيرة، فقد تبدو التراكيب واللوحة التمثيلية التي رسمها بسيطة

[1] عن حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص182.54,Julia Kristeva ,Le texte du roman, mouton,1976,p -

[2] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:154،159.

بقوله(سطيف المشبه في علاقة مُشابهة مع امرأة عربية هي الجازية الهلالية المشبه به) والعلاقة التشابهية الثانية (حقول القمح المتماوج بسنابلِها الطويلة المشبه، وشعر الجازية المتدلي على كتفيها المشبه به علاقة مُشابهة بين الأرض والمرأة) بيد أنَ تواجُدها في السياق الروائي يُحولها إلى رموز غايتها التأثير في المتلقي، وتحريك فضولهِ باستحضار شخصية الجازية، فهذا الفعل الكلامي الوصفي التمثيلي والتناص مع التراث وشخصياته ليس لتزيين الكلم، بل لهُ غايات ومقاصد بإثارة فضول القارئ وذاكرته، وتمرير للقارئ عروبة هذه المدينة وتمركز الهلاليين فيها قاصداً إثارة تفاعله معها.

فضاء الشارع وهو من الأفضية الجغرافية التي تدلُّ على الحركة والانتقال، وعلى جدَّة الأحداث والقضايا، ولكن لما يكون الشارع بمدينة سطيف، وفي حقبة زمنية شهدت تقلبات فكرية وسياسية قبيل أحداث 8ماي 1945 وآنائها، فيتغير معها الإيقاع السردي وتتغير الأحداث، فيصبح المكان " نقطة تحول حاسمة في الحبكة وبالتالي في تركيب السرد، والمنحى الرّامي الذي يتخذهُ"[1]. نجد الشارع بسطيف نموذجاً عن شوارع المدن الجزائرية، فهو من الأفضية الحساسة التي تعيشُ حصاراً ورقابة فرنسية واحتلالًا لهُ، ورغم هذا الانغلاق الذي يمثلهُ الآخر وكبت الحريات، إلا أنَّ الشخصيات أرادتهُ شارعاً يُعبر عن حرياتهم، وانطلاقتهم الثورية. يذكر السارد:" **كل هذا الشارع هو ملك للفرنسيين فيه منازلهم وحاناتهم، ومن الصَّعب عبوره"**[2]. لقد نقل لنا السارد أجواء الشارع المركزي بسطيف، وهذا باعتماد الفعل الكلامي الإخباري وغايتهُ الإنجازية المباشرة الإخبار والوصف، إخبار عن الواقع الحاصل في سطيف واحتلال أجزاء رئيسة منها، وتصوير مرفقاتها. "فهي تقدم الخبر بوصفهِ تمثيلاً لحالة موجودة في العالم"[3]. فوصف حالة الشارع والاحتلال الكلي لأرجائهِ هي الحالة الواقعية التي أقرَّ بها السارد، وأراد بهذه الأفعال الكلامية التقريرية الوصفية تمثل

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص:32.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:149.

[3]- ينظر جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:1، 2006، ص:117.

وتخيل القارئ لها وتجسيدها صورةً يتعايش خلالها ويتفاعل معها، ويتأولها انطلاقاً من السياق والإطار العام للرواية، فهذه الأفعال التقريرية تنجز وظيفتها داخل الرواية من تنامي السرد وخارج السرد بتواصلها مع القارئ.

ولكن الشارع بسطيف يأبى الانغلاق والقيود وهذا ما أبانتهُ الأفعال الكلامية التقريرية عن التحول الذي شهده الشارع المركزي في سطيف، وعن انفتاحه على القضية بعد انغلاقه بقيد الاحتلال. فيخبرنا السارد بهذا:" **وانطلقت المسيرة الحاشدة شرقاً، ثمَّ انحدرت يميناً باتجاهِ الشارع الرئيسي... انطلقت حناجرُ الكشافة تردد:**

شعبُ الجزائر مسلمٌ** وإلى العروبة ينتسبْ.**

من قال حادَ عن أصلهِ** أو قال مات فقد كذب**

وتعالت الزغاريدُ من البيوت والشُرفات، وراحت الشوارع الفرعية تصبُّ في المسيرة فتزدادُ قوةً واندفاعاً"[1]. لقد تجلت الإخباريات في **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** واصفةً أجواء المسيرة التي احتضنتها شوارع سطيف، محاولةً إيصال المعلومات للمتلقي باللجوءِ إلى أفعال تاريخية واقعية ومُتخيَّلة في الوقت آنهِ، إذْ ارتكز على جملة من الأفعال الماضية والمضارعة التي تدل على الحركة والنشاط، وأفعال هذه الأصناف كلُّها تحتمل الصدق والكذب وهي أفعال تأكيدية أو تقريرية، واتجاه المطابقة في هذه الأفعال من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في نقل الواقع نقلاً أميناً إلا وأصبحت أخباراً معيبة. مُنجِزةً أقوالاً وظيفتها تتجلى في التأويل الذي يكون بصددهِ المتلقي خالقاً في ذهنهِ تأمُلات وصوراً امتزج فيها التاريخي بالخيالي، مُحرِكاً جزءاً من إيمانهِ التاريخي مُوهماً إياهُ بواقعية المحكي وبأفعال الشخصيات وأقوالها وحركيتها. كما يُسهم الفعل التبييني الاستشهادي المُستحضر في الرواية، وهو الأبيات الشعرية للشيخ عبد الحميد بن باديس من تحريك حماسة المتلقي، والتأثير في حواسهِ بجعلهِ ينغمس في الحكاية ويتأثر بالمسيرة وكأنَهُ مُتظاهرٌ من المتظاهرين يروعهُ ما يروعهم. وهنا يكون الروائي وصلَ إلى هدفه وغايتهِ بذوبان المتلقين مع حكيه.

[1]- ينظر عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:546.

إذن جاءت الأماكن المفتوحة في **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** متفاعلةً بدرجة كبيرة مع الشخصيات، ومتأثرةً بنفسياتها ولواعجها، ومؤثرةً فيها حين غدت متنفساً ومدداً شعورياً لها، تأنسنت بوجود الشخصيات عليها وبحركتها وبأفعالها، وانفتحت على حرياتها، وقد جاءت الأفضية مُعَبرٌ عنها بأفعالٍ كلامية مباشرة وغير مباشرة ضمنية، مُرتبطة في غالب الأحيان بمقاصدَ خفية ومُضمرة تنتقل بفكر المتلقي إلى ما هو خارج النص، وهذا بإيحاءات وتلميحات تُجبرُهُ على التدبر والإدراك وعلى قراءة تصانيف التاريخ الجزائري والمذكرات التاريخية حتى يتسنى له الفهم والتفسير، ولم تكن هذه الأفعال الكلامية والأقوال إعادةً لكتابة التاريخ بقدر ما كانت إعادة قراءة الواقع بمرآته وربط الماضي بالحاضر لفهم الواقع.

1-2-2-2- الفعل الكلامي وتشكيله للأماكن المغلقة:

لجأ الروائي إلى اعتماد أماكن مُغلقة مُقابلاً للأماكن المفتوحة، أماكن مثَّلت أسْراً لشخصيات روائية، وانغلاقاً في وجهِ أحلامهم وطموحاتهم، رغمَ رحابتها واتساعها، مُجبرةً إياهم على الخنوعِ والامتثال لصرامةِ أصحابها، فارضةً عليهم حضراً إجبارياً لحركاتهم وتنقلاتهم، مُكبلةً حرياتهم، واخترنا منها قبيلة أولاد النش، الزاوية.

عرش أولاد النش: هو فضاء مُعادي ومُعارض لعرش أولاد سيدي علي، والذي أظهرَ هذا التعارض الأفعال الكلامية التي صورتهُ. يذكر السارد:" **جمعت فرنسا إلى أولاد الحسين... الذين استوطنوا سفح جبل قرب تل الغربان شراذم من قبائل متفرقة عرباً وأمازيغ هاربين من بطشها، وشكلت بهم تجمُعاً بشرياً كبيراً وأطلقت عليهم أولاد النش**"[1]. تُطلعنا هذه الأفعال التقريرية الوصفية في الشاهد عن قبيلة أولاد النش وتركيبتهم العرقية، مُصورةً وجودهم أنَّهُ من تدبير فرنسا، حتى الاسم الذي أطلقته عليهم لم يكن اعتباطاً، بل لاختلاطهم العرقي وامتزاج شراذم من قبائل مختلفة، فإنَّ هذا الفعل الكلامي الذي يقرُّ بأفعال فرنسا قد لا يكون تاريخياً مذكوراً، ولا يُطابق الواقع ولكن الروائي

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:55.

أنشأهُ انطلاقاً من خلفية، وسلط رؤيته عليه، إذ يكون قد حدث أكثر من هذا وما تخيلاته لهذه الأمكنة إلا ويكون لها خلفية حقيقية، وهذا سعي الروائي من إدراجها، تمرير شيئا من ذاكرته إلى المتلقي.

وإنَّ هذا المكان يُظهرُ تعقيداً دلالياً نظراً لما يجري فيه من دسائس، ويكشف عن أبعاد نفسية واجتماعية للشخصيات المختلفة المتحركة في وسطهِ. فيذكر السارد:" **إنَّ أولاد النش وعلى رأسهم القايد عباس يُمثلون السلطة العسكرية التي لا تُقاوم تستطيع أن تلوي ذراعَ كل عاصٍ، وكل متمرّدٍ مهما اشتدَّ عودهُ، وقد استعمل القايد عباس لذلك عصابة قوية أسندَ قيادتها إلى حميدة (...) وإذا عجز القايد عباس بعصابتهِ وعرشهِ استنجدَ فرنسا فداهمتهم بقواتها تحت أي ذريعة...**"[1] تُظهر أفعال الكلام فضاء **أولاد النش** مُنحازاً متضافراً مع شخصياته، أداة تعبير طيّعة تمثل طباعهم واستبدادهم، وتستبدُّ هي الأخرى على القُرى، فهنا الأفعال الكلامية تصفُ الأحداث النفسية التعبيرية والسلوكية لأولاد النش. " فالأفعال الدالة على السلوكيات Behabitives وهي ردود الفعل تجاه سلوك الآخرين"[2]. وتتمثل فيما يكون ردَّ فعل لحدثٍ ما، فهي إفصاحات عن حالات نفسية تجاه ما يحدث للآخرين. وعلى إثر هذا فقد كان الفعل النفسي السلوكي لهذا العرش عدوانياً ومتسلطاً، وإذا رأى التمرُّد في أفرادٍ فكانت ردود فعلهِ أقوى **(تستطيع أن تلوي ذراعَ كل عاصٍ) (وإذا عجز القايد عباس بعصابتهِ وعرشهِ استنجدَ فرنسا فداهمتهم بقواتها تحت أي ذريعة)** لقد كانت النتائج المنجرة عن هذه القبيلة وردودها عن أفعال الآخرين عدوانية. وبالتالي إنَّ هذا الفعل الكلامي التخييلي المباشر ذو غرض إنجازي ضمني إيحائي، يُحرك فضول المتلقي ووعيه ومُدركاته لهذه القضايا المطروحة، ويعودُ بالمتلقي للتفتيش في ذاكرته وذاكرة جماعته عن استبداد بعض القبائل والعروش بإيعاز من فرنسا على إخوتهم حتى تضمن بقاءها، وما هذا التصوير إلا إيحاءٌ من الكاتب لإعادة قراءة الواقع بأحداث الماضي، وبهذه القصص التي يُمرر بها رؤيته للواقع، ويدفع بالقارئ إلى وعيها من زاوية نظرهِ.

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:32.

[2]- محمود عكاشة، النظرية البرجماتية اللسانية التداولية؛ دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط:1، 2013، ص:101.

فضاء الزاوية: تختلفُ رؤية فضاء الزاوية عند عز الدين جلاوجي عما سبقهُ من الروائيين أو عاصرهُ، وهذا نظراً للتحول الذي أصاب الزاوية، فكانت رؤيتهُ تُشابههم في أنَّها مرحلة التنشئة الأولى والملقن الأول للهوية الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي، لكن سرعان ما أصابها التحول والتغيُّر، وغدت مكانا مُغلقاً بعد اتساع، وأسراً للأحرارِ بعد ملاذٍ ومتنفسٍ، وهذا ما ستبينهُ الشواهد الآتية. فيذكر السارد: "**تراءت لهُ الزاوية في حضن الجبل كأنَّما يُطوِقها بذراعيه في حنو شديد، غُرفٌ عديدة تقاربت تُتخذ أقساماً لتعليم القرآن وبعض علومه، وأخرى تُتخذ مأوى للطلبة ومُعلميهم، عن يسارها قام مسكن الشيخ حيث أولاده وزوجاته، وقد التفَ بالأشجار، وبينهما مقر الشيخ فيه يلقى مريديه وزواره، ويقدم فيه بركاته...**"[1] استغل الروائي الأفعال التقريرية الوصفية لرسم جغرافية الزاوية وتحديد موقعها غرفها وأرجائها وروادها، ولقد كانت هذه الأفعال الوصفية كثيرة في الرواية، مما يُبعد الرواية عن مسارها السردي ويثقل كاهلها، ويوقف السرد بوقفات إخبارية وصفية مُوقفةً بدورها الزمن السردي ووتيرته التصاعدية، وإن هذا التوظيف للغة الوصفية الدقيق والاطناب فيها له موقعٌ جميلٌ ولطيف في النفوس، والوصف لهُ قوة إقناعية لا نستطيع إنكارها، وقُدرته على إيهام المتلقي بحقيقة وجودها، واستمالته للتصديق، وإن هذه الأفعال الكلامية تنبني على وصف الحياة السائدة في الماضي داخل الزاوية، والشخصيات التي تتحرك فيها الشيخ وأهله والمريدين والزوار، وإنَّ هذا الزخم الوصفي المركز يُحاكي نظام الزوايا، يوحي بحيوتها لدى القارئ ويُوهمهُ بصدق ما يرويه ويصفهُ.

ويُضيف الروائي مقطعاً آخر وصفياً للزاوية "**أما أولاد سيدي بوقبة بزاويتهم وشيخهم عمار فيُمثلون السلطة الدينية التي يجبُ أن يخضعَ لها الجميع ولها وحدها أن تفُضَ النزاعات، وأن تُعلِنَ دخول رمضان و انتهاءَهُ، وتُحدد أيام الأعياد، ولها كلمتها المسموعة حتى عند الحاكم الفرنسي الذي زار الزاوية مراراً وجلسَ مع شيخها، وأكلَ معهُ من قصعة واحدة طلباً للبركة**"[2]. إنَ أفعال الشخصيات وأفكارها وحركاتها داخل هذا الفضاء الجُغرافي الزاوية جعلتهُ يكون الوعاء المكروه الذي لا يروقُ الشخصيات لأنهُ يتنافى مع مبادئهم بعدما كان ملاذاً لهم واللبنة الأولى في تنشئتهم إلى

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:296.

[2]- المرجع السابق، ص:33.

موقعٍ مُعادٍ، فإنَّ هذه الأفعال التقريرية الإخبارية في الشاهد والإيحائية ترمز للماضي وتصف هذا المجتمع الروحي الضيق الذي يؤمن بكرامات شيوخ الزاوية وأقوالهم، ويتعايش معها رغم الأحقاد والأطماع ويتناساها، ولكن هذا التوظيف لهذا الفضاء الصوفي المتخيل ومن منظور الروائي يبعث للتساؤل ويثير الاستفهام، مُستقطباً بذلك عقل القارئ للراهن، وقراءته من منظور الماضي وتفسيره، وقراءة هذا الفضاء الجغرافي ودلالته الضمنية الخفية، بأنَّ الدين وُضِعَ دريعة ولباساً لتمرير قضاياهم وبسط نفوذهم عبر الأجيال، وأنَّ هذه الأفعال السردية التقريرية ما هي إلا رسائلٌ مُشفرة تُفضي وتنتهي بالقارئ إلى فكِها ووعيها، بإدراك أنَّ الحاضر ما هو إلا امتدادٌ لأفعال الماضي ونتيجة حتمية لهُ، فهذا التوظيف الرمزي لهذه الأفضية مدعاة للقارئ لمواجهة واقعه بكل ما فيه من تناقضات وإحباطات. ويبدو واضحاً أنَّ الأفعال الكلامية الإخبارية الوصفية لا تُستخدم فقط لإظهار الواقع وتعريته وتصويره، أو تخبرنا عن التاريخ وتستلهمهُ وشخصياته وأحداثه وأفضيته، فدلالتها تتعدى إعلام القارئ والإقرار له، إلى الإيحاء له، وحملهِ على إدراك مقاصد الأفعال ومراميها.

1-2-3- الفضاء الدلالي والفعل الكلامي:

إنَّ من بين الاستراتيجيات التي استخدمها عز الدين جلاوجي لنقلِ تجارب الذات والأماكن المحيطة به استراتيجية الفضاء الدلالي، فهو برَعَ في التصوير المجازي والانزياح الكلامي في محطات كثيرة، إذ كان يخرج خرجات شاعر في وصفِهِ وتصويرهِ. فالفضاء الدلالي Espace Sémantique يتأسس بين المدلول المجازي والمدلول الحقيقي، وهذا الفضاء من شأنهِ أن يلغي الوجود الوحيد للامتداد الخطي للخطاب"[1]. إذن الفضاء الدلالي في تشييده يقوم على التمثيل المجازي والحقيقي، واهتمامهِ بالكتابة البلاغية والأدوات التعبيرية. " وإنَّ هذا الفضاء هناك من يراهُ بعيدا عن ميدان الرواية ولهُ علاقة وطيدة بالشعر، لأنَّه ليس لهُ من الواقع مجال مكاني ملموس، ورأى غيرهم إمكانية توظيف هذا

[1]- حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص:60،61.

المستوى لدراسة الرواية وربطوهُ بالمجاز البلاغي"[1]. ولقد اشتغلَ **عز الدين جلاوجي** كثيراً على المجاز والخيال وجعلهما وساطة يصل بها إلى غايته، فيصور مدينة سطيف:" **لقد كانت وهي تجثمُ على هضبة عالية تحيطُ بها سهول التربة السوداء المتدفقة ماءً وغلالاً كالجازية الهلالية وهي تجلسُ عروسة في هودجها المزدان، وكانت تُطوقها حقول القمح المتماوج بسنابله الطويلة كشعر الجازية المتدلي على كتفيها**"[2]. إنَّ هذا الفعل الكلامي التقريري لهُ دلالات كثيرة، تحفر عميقاً في التاريخ الجزائري وهويته العربية، وهذا بإحالته إلى شخصيات رمزية تاريخية التي مرَّت حقاً واستقرت بهذا الوطن، وهذا باستدراجه لشخصية الجازية الهلالية والتي احتفت بها الروايات الجزائرية كثيراً وبتوظيفها رمزياً وفكرياً، واعتمد لذلك الأفعال الإنجازية غير المباشرة لإيصال قصده. إذْ " تُعدُّ الصور البيانية من الأنواع التي تتأتى من خلالها الأفعال غير المباشرة من خلال الاستعارة أو التشبيه أو الكناية كفرع لعلم البيان في اللغة"[3]. وهذا باعتماد علاقة المشابهة بين الجماد والإنس (**مدينة سطيف تجثمُ على هضبة عالية المشبه؛ والجازية تجلسُ في هودجها المشبه به**) وعلاقة المشابهة الثانية (**وكانت تُطوقها حقول القمح المتماوج بسنابله الطويلة المشبه؛ كشعر الجازية المتدلي على كتفيها المشبه به**) وإنَّ هذا الانتظام البياني البلاغي الذي ألفيناه في الشاهد وفي محطات سردية كثيرة، واحتفاء الروائي به مُوغلاً في عمق البيان وآلياته، جاعلهُ واسطة بيانية إبداعية رمزية موحية، مُوهما المخاطب بما ليس كائنا، وبشيء غير واقعي، والغرض والقصد من هذه العلاقات البيانية التشابهية، وبالأخص ربط العلاقة باستحضار **شخصية رمز (الجازية الهلالية)** وتلوين الكلم بدلالتها، هو استجابة المتلقي لهذه الشخصيات وضمان تفاعُلهِ معها، واستجابته أيضاً للقاموس الدلالي الشاعري، فيكسب بذلك عواطفه وهذا لأنهُ بها المجاز يُشبعُ ذائقة القراء وعواطفهم ويُرضي فكرهم.

لم يكن فضاء سطيف هو المكان الوحيد المُحمَّل بالدلالة التاريخية الرمزية، بل هناك أماكن أخرى في الرواية احتضنت تلك الدلالة، طالعتنا مُحمَّلةً بالدلالة التاريخية ولكن من منظور مأساوي يقول السارد:" **وصلنا الوادي**

---

[1]- ينظر حميد لحمداني، بنية النص السردي ، ص:61.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص159.

[3]- علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية؛ الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة؛ دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، ط:1، 2010، ص:144.

السحيق، أو شعبة الآخرة كما يُسميها الناس، ورُحنا نمدُّ أبصارنا إلى هُوَّتها السحيقة، يكفي أن نتأمَلها لحظات حتى تُصاب بالدوار، كلُّها كانت صُخوراً حادَّة مُدبَّبة صماء، تخيلتها أسنان وحش أسطوري، وامتلأ رأسي صُراخاً وعويلاً وتكبيراً وتخيلتُ فرنسا ترمي من شاحناتها العسكرية الآلاف من الجزائريين الأبرياء العُزَّل مُقيدين إلى الهوَّة السحيقة، فتتمزق أجسادهم وتنفجر رؤوسهم قبل وُصولها إلى عمق الوادي"[1].إنَّ هذا المكان على الرغم أنَّهُ لم يكن فضاء انتقال وحركة ولا حتى إقامة، إلا أنَّ المؤلف رغِبَ بتسليط الضوء عليه ولو بالوقوف على ذاكرته، مُنفتحاً على الذاكرة الجماعية، وفاتحاً بدورهِ ذهنية المتلقي على تأويلات، فيبدو أن اختيار الروائي لهذا المكان كان اختياراً مقصوداً، وحرصه على تصويره وتجسيده فنياً حتى يُوهم القارئ بواقعيته، مُستغلاً في ذلك الأفعال الإنجازية الوصفية التي تزيدُ من تثبيته في ذهن المتلقي، وهذا باستعمال الأوصاف والأحوال وأسماء الفاعلين والمفعولات(السحيقة. تصاب بدوار، حادة، مُدببة، صماء، الأبرياء، العُزل، مُقيدين، تتمزق أجسادهم...) كما استعان بأسلوب التشبيه لإنجاز فعل غير مباشر، ولقد أُعتبر التشبيه" بيان أنَّ شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة (...) ويجبُ أن يكون أقوى وأظهر في المشبه به منه في المشبه"[2]. فاعتمادُ الروائي علاقة المُشابهة في الشاهد ليُدللَ على المشبه الصخور الحادة المدببة ومدى قساوة المشهد والتي شبهها بأسنان وحشٍ أسطوري لرُعبها، ولالتهامها لآلاف الناس الأبرياء العُزَّل، وقد كان التشبيه وسيلة للتعبير عن فظاعة المكان وفظاظته، ووسيلة لجعلِ المتلقي يتمثلهُ، مُوهماً بواقعيته وموحياً إليه. "فالنهر المقدس إن هو إلا ذلك الوادي السحيق بمنطقة خراطة ببجاية، والذي كان ذات يوم الشاهد الحقيقي على أبشع الجرائم الفرنسية في حق الشعب الجزائري، ويأبى المكان إلا أن ينقش تاريخ هذه الجريمة على صخورهِ وعُمقهِ وتلك الأحاسيس الغريبة التي تنتابُ كل من يعرف كيف يُحاور المكان ويُمسرح المسرود غالباً"[3]. إنَّ هذه القراءة الروائية لهذا المقطع السردي تُزيحُ غموضاً عن المكان، وتُجلي وجوده الواقعي التاريخي، وأنَّ هذه الأفعال الإنجازية غير المباشرة التي صورت المشهد من الروائي هي أفعال موحية مقصودة، ليُدرك القارئ من خلالها

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:

[2]- علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية؛ الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص:149.

[3]- عبد الحميد ختالة، الرواية الجزائرية تكتبُ التاريخ، ص98.

ويتذكر أنَّ جرائم فرنسا في حق هذا الشعب الأعزل كثيرة، ويدعونا لإعادة البحث في تفاصيل الحادثة التي لم تعترف بها فرنسا وزيَّفت الوقائع والأحداث، ويدعو القارئ العربي وغيره لمشاهدتها عن كثب والتعرف على جرائمها التي لم تحسن الاعتراف بها، ومن هنا نستطيع القول أنَّ اختيار الكاتب لهذا المكان ليس اختياراً عينياً وإنَّما هي رؤية تعكسُ موقفه من الوضع اتجاه التاريخ المُغيَّب والمسكوت عنه عمداً من الآخر، والتي قد تكون هي الحكمة الكامنة والسبب الباعث على إنتاج هذا النص.

1-2-4- المنظور الروائي فعلاً كلامياً:

لعلَّ من أهم المحطات التي تستوقفُ القارئ هي المنظور الروائي بوصفه بعداً من الأبعاد السردية، ونظراً لاتخاذه مركزاً هاماً في البناء السردي للرواية، فمن خلاله تعرفنا على بعض الأفضية الجغرافية الواقعية والمتخيَّلة، وتعرفنا على العلاقة بين الأمكنة والشخصيات. "فالفضاء في الرواية نشأ من خلال وجهات نظر مُتعددة لأنَّهُ يُعاشُ على عدَّة مستويات : من طرف الراوي بوصفهِ كائنا مُشخصاً وتخيلياً أساساً، ومن خلال اللغة التي يستعملها، فكل لغة لها صفات خاصة لتحديد المكان (غرفة، حي منزل) ثم من طرف الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان، وفي المقام الأخير من طرف القارئ الذي يدرج بدوره وجهة نظر غاية في الدقَّة"[1] فيمكن القول أنَّ استعمال وجهة النظر لا تقتصر على الراوي في تصويره للأمكنة ومختلف الأفضية ، بل تتعدد وجهات النظر وتتمايز في السرد ووصف الأمكنة وبث أفكارها وأيديولوجياتها وتمريرها، ولكن إن انتقلنا إلى **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** فإننا سنجدُ وجهة نظر واحدة غالبة تأخذ بزمام الأمور في الحكي ولو حتى ظهرت شخصيات وأظهرت آراءها فإننا سنجد صوت الراوي يغلب عليها ويأخذ الحكي عنها ليُظهر الأفضية المختلفة ومختلف الأمشاج السردية، ولو أنَّها تتفاوت في إظهار قدرة المؤلف الإبداعية في إظهار أفضيته الروائية، فتعتبر جوليا كريستيفا Julia Kristeva" هذا الفضاء مُحوَّل إلى كل، إنَّهُ واحد وواحد فقط، مُراقبٌ بواسطة وجهة الوحيدة للكاتب التي تهيمن على مجموع الخطاب بحيث يكون المؤلف بكامله

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص:32.

مُتجمعاً في نقطة واحدة ، وكل الخطوط تتجمع في العمق حيث يقبعُ الكاتب، وهذه الخطوط هي الأبطال الفاعلون (les actants) الذين تنسج الملفوظات بواسطتهم المشهد الروائي"[1]. إنَّ وصف الأمكنة ينبع من وجهات نظر مختلفة إلا أنَّ الموجه الحقيقي هو الكاتب الذي يبث رؤيته انطلاقاً من الشخصيات أو الراوي المتخيل، وتمكنهُ من إيصال رسالته، ويُضغط من خلالها على السرد حتى يبدو واقعياً.

ولقد كان صوت السارد في حوبة هو المهيمن على الحكي، العليم بأحوال الأحداث والشخصيات، وكان حكيهُ ممتزجاً بالتاريخ مُستلهماً لقصصهِ وحكاياته وذاكرة مُدنه، مُختلقاً شخصيات وأمكنة لينتقلَ بها إلى مستوى التخييل التاريخي، فكان الروائي مؤمناً " بأنَّ الرواية كواحدة من التمثلات التي يُنتجها الإنسان تُعطي معنى لتجربة تاريخية معينة، فضلاً عن دمجها الجماعة التاريخية في الهوية الجماعية الواحدة التي يجري باستمرار سردها وتأويلها"[2]. فإن رواية حوبة من الروايات التاريخية الذي حاول فيها الروائي ترجمة تجربة تاريخية وإعادة إحيائها من خلال السرد، باستحضار شخصيات تاريخية ومحاورتها، واستنطاق أفضيتها، وهذا بالاستعانة بالسارد المتخيل حوبة، العالمة بخبايا شخصياتها، وتحركاتها، تتقاسمها وكاتب الحكاية عنها السارد الثاني في الرواية، ولم تترك فرصة إلا ومررت عبرها قصصاً وأمكنة كانت رموزاً وذاكرة. فتقول: "**وصلنا الوادي السحيق، أو شعبة الآخرة كما يسميها الناس ورُحنا نمدُّ أبصارنا إلى هوتها السحيقة(...) وتخيلتُ فرنسا ترمي من شاحناتها العسكرية الآلاف من الجزائريين الأبرياء العُزَّل مُقيدين إلى الهوة السَّحيقة، فتتمزق أجسادهم وتنفجر رؤوسهم قبل وصولها إلى عمق الوادي**"[3]. لقد رجع السارد بالأفعال القولية إلى الماضي مُتجاوزاً الواقع الحالي، ماضي الجزائر ولعنة الاحتلال، مُعبراً عنهُ بصيغة الماضي. "وهو الفعل المفعول، فعل القدرة المُنجز، أو الحدث المفعول والمقضي"[4]. فلعلَّ الذي يقرؤُهُ القارئ في هذا المقطع المقتبس، هو رحلة

---

[1] عن حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص:Julia Kristeva ,Le texte du roman, mouton,1976,p182.61-

[2] - صلاح فضل، أساليب السرد في الرواية العربية، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق سوريا، ط:1، 2003، ص:174.

[3] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:556.

[4] - محمود عكاشة، تحليل الأفعال الإنجازية في الخطاب السياسي، دلالة الفعل في خطاب السلطة في ضوء نظرية المواقعة المقامية، دار النشر للجامعات، القاهرة مصر، ط:1، 2016، ص:47.

حوبة والكاتب في الرواية إلى الوادي وإلى الذاكرة معاً، وإنَّ اختيارها للمكان لم يكن من العبث بل بتواطؤٍ من الكاتب، لأنَّ هذا المكان الذي شهد جرائم فرنسا اللعينة والتي لم تعترف بها، وإنَّ الروائي يمرر موقفه من الحوادث المقضية والمكان معاً، رمي الآلاف من الأبرياء من شاحنات المحتل في الوادي. كما اعتمد الفعل الحالي لوصف الواقعة. "والفعل القائم في الحال أو القول في سياق العمل والممارسة، ويُعين للحال بحروف المضارعة والظروف الآن واليوم والحين"[1]. إنَّ اختيار الكاتب للفعل الحالي خلال الأفعال القولية الإنجازية المعتمدة (ترمي، تتمزق تنفجر، قبل...) تدلُّ على الاستمرار، استمراره في الواقع، وتجَدُدهُ كأنَّهُ يحدث الحين، وهي إحالة أخرى من الروائي عبر هذه الرؤية السردية للبحث عن الحقائق والإذعان للمروي، بإعادة النبش في الذاكرة من خلال هذه الومضة الاستذكارية التاريخية ومحاولة معرفة ذلك باعتبار الواقعة حقيقية وما صوغهُ لها خلال الحكي إلا رغبةً منهُ لتواصل الأجيال مع ماضيها وإعادة اكتشاف ما مضى والدفاع عن هؤلاء الأبرياء العزل باستدراجها للاعتراف وفضح وحشيتها في كل الأزمان.

كما يأتينا مقطع آخر سردي كشاف يذكر السارد فيه منطقة تاريخية بسطيف فيقول عنها: "**تبعدُ كويكول عن سطيف بأربعين ميلاً، وهي مدينة رومانية بنيت زمن الأمبراطور الروماني نيرفا بها عدد من المعابد...وقد شهدت المنطقة بأسرها صراعاً كبيراً بين الرومان والأمازيغ، من أشهر ذلك المعركة الفاصلة بين يوغرطة وماريوس كما شهدت نشوب ثورات، أشهرها ثورة تاكفاريناس الذي كان عضواً في الجيش الروماني ثم انقلب عليهم**"[2]. يظهر أنَّ الروائي استغلَ أفعالاً كلامية تفيد الإخبار والتقرير، وهذا باستئناسه بالأفعال الماضية المقضية التي تحققت في زمن غابر في هذه المنطقة، مُستوحياً تاريخ المنطقة ليجعل هذا المكان أداة طيعة تعبيرية تعبر عن أصالتها وتاريخية وجودها، وقد استوعبَ أحداثاً ووقائع مُخبراً عنها مُحتملة في ذلك الصدق والكذب، متعاملاً مع شخصياتها الرمزية، فإنَّ هذا النص يمتح كثيراً من معين التاريخ ورموزه، ويتوغل في مختلف القضايا والأزمنة ويستدرجها في الرواية ويخضعها للغة الفنية الحكائية. " فيُشعرنا هذا النمط السردي بحضور صارخ للتاريخ، إذ يقصد الروائي إلى تأثيث الزمن بالمكان ما

[1]- محمود عكاشة، تحليل الأفعال الإنجازية في الخطاب السياسي ، ص:48.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:200.

يوحي بتماهٍ أنيق بين الفن والتاريخ، إلا أنَّ الذي يُربك هذا الأخير أمام السرد هو خضوعه الحتمي للبناء العام للرواية، فمثل هذه الوقفات التاريخية لا تأتي مُستقلة عن حركية السرد، بل هي خدم طيّع له، أو إنَّهُ التاريخ يتكلم لغة الحكي"[1].

لقد حظيت رواية حوبة بالبحث والمُدارسة نظراً لاشتغالها على التاريخ والتُراث معاً، واهتمامها بالرموز التاريخية وأصالة البلد، مُعتمداً فيها الروائي التحقيق والتسجيل للوصول بالقارئ إلى الحقيقة، فاستخدمَ الأفعال الكلامية المختلفة لإظهار الأمكنة وتلوينها والأفعال المباشرة وغير المباشرة لتحقيق مقاصده الفنية الإيحائية، ولقد أظهرت مختلف الأفعال الكلامية اشتغال الروائي وإلحاحهِ على التاريخ مُمَرِراً رؤيته السردية نحوهُ، واشتغالهُ على أمكنة تاريخية لم يكن اعتباطاً أو حشواً للرواية وتأثيثاً لها فقط، بقدر ما كان مقصوداً لإقناع المتلقي واستمالته إلى الحكي التاريخي، وإيهامه بحقيقة ما يقرأ، ودعوى مبطنة منه لإعادة قراءة التاريخ ومراعاة الشفاهي منه، والالتفات إلى المسكوت عنهُ، وعلى إثر هذا تراوحت الأفعال الكلامية التخييلية في هذه المدونة بين التقرير والوصف والتمني والوعد والتصوير، والاستفهام والنداء ...وما إلى ذلك، فالروائي في حقيقة الأمر ركزَ كثيراً على تواريخ خاصة وعلى تفاصيلها ودقائق أمورها، ولقد ظهرت انطلاقاً من الرؤية السردية الممتزجة بين الساردة حوبة التي كانت هي الجزائر من خلال الحكاية والكاتب في الآن ذاته، وإنَّ في استحضاره لمختلف الأمكنة المتخيلة كان لابد أن تنهض على أفعال كلامية تخييلية مُباشرة وغير مباشرة، لتحقيق هدف أساسي يتمثل في قدرة الإنسان على الاحتجاج على الظلم والطغيان ضد هيمنة كل متسلط، ورفض كل مظاهر الاستبداد، وتُشير دائماً إلى أفق واضح للتغيير لصالح الإنسان.

ثانيا: الأفعال الكلامية وتشكيل البناء السردي:

تعتبر الرواية -كنوع أدبي فني- نشاطاً اجتماعياً تواصُليا مميزاً، يحفل بالتعدد الصوتي والتنوع، ويضطلع بوظائف تداولية مختلفة تأخذ من العناصر السردية المتاحة لها وسيلة للتعبير عن الأفكار ومختلف الرؤى، والتواصل مع القراء، فلم تعد مجرَّد نسيج فني جمالي للاستمتاع والتسلية فحسب، بل أصبحت أداة تواصلية تطرح قضايا فكرية

[1]- عبد الحميد ختالة، الرواية الجزائرية تكتب التاريخ، ص:99.

وتتداولها، وتمرر عبرها رسائل مختلفة تحملُ أهدافاً مُعينة مُرتبطة بالواقع الاجتماعي، وفي هذا الصدد نشير إلى بنائها السردي وتركيبته، الذي يُتيحُ في الواقع التفاعل والتواصل بين الكاتب والقارئ بواسطة هذه المكونات، من أجل الوصول إلى مقاصد العمل الروائي بفعل القراءة، وهكذا نجد أنها نسجٌ تخييلي يتكون من مجموعة العناصر التي سُبِكت سبكاً فنياً دلالياً والتي تُساهم في بناء النص، فتتحقق العملية الحكائية من خلال: " فعل أو حدث قابل للحكي، فاعل أو عامل يضطلع بدور ما في الفعل، زمان الفعل، ومكانه أو فضاؤهُ"[1]. يتجلى من القول أنَّ الحكي الروائي يقوم على عناصر مختلفة تتوفر في العملية السردية الحكائية، الشخصيات الفاعلة والمُفتعلة للأحداث، الأحداث المحكية، الزمن والمكان اللذان يؤطران الحكي والأحداث، بالإضافة إلى الصيغة التي ينهض عليها والمفعلة للحكي. وانطلاقاً من هذا التحديد تُقدم لنا البُنى السردية لرواية حوبة لوحةً شديدة التعقيد وهذا بتماهيها مع التاريخ واستلهامها له، فهمنا في هذا المبحث منصبٌ على معاينة الأفعال الكلامية انطلاقاً من عناصر أساس في البناء السردي: الشخصية، الرؤية السردية ، الزمن، وما تُحدثهُ من تأثير في المتلقي واستجابة، وتبحث عن مرامي الخطاب الروائي ورسائله المُمَرَّرة عبر الشخصيات المفعلة للحكي والرؤية السردية وهذا بالنظر إلى الزمن الذي قيلت فيه وخصائصه؟

2-1- الفعل الكلامي والزمن السردي :

تتجلى جماليات الإبداع السردي في مدى حرص الأديب على إبداء تلك الفنيات في أعماله الروائية، بيد أنَّ جمالية هذه الفنيات تكمن في صقل وبناء منهجية مسطرة تندرجُ في سياقها كل العناصر الأساسية لبناء العمل الروائي، ومن آثار هذه الجماليات ما نجدهُ من تقنيات تتوافق مع مُعطيات ما يُردِدُهُ الأديب من خلال ضبطهِ وتنسيقه لعملهِ الروائي، وإنَّ الزمن واحدٌ من العناصر الأساسية في بناء الرواية، وجمالية الزمن الروائي تبدأ من خلال توظيف تقنياته التي تُساق ضمن تفاعلها الانسيابي داخل البنية السردية. إذ " لا يتطابق تتابع الأحداث في رواية ما مع الترتيب الطبيعي أو الواقعي لأحداثها –كما يفترض أنها جرت بالفعل-حتى بالنسبة التي تحترم هذا الترتيب لأنَّ الوقائع التي تحدثُ في زمن واحد لابُدَّ أن تُرتب في البناء الروائي تتابُعياً لأنَّ طبيعة الكتابة تفرضُ ذلك ما دام أنَّ الروائي لا يستطيع أن يروي عدداً

[1]- عبد القادر بن سالم، بنية الحكاية؛ في النص الروائي المغاربي الجديد، معالم نقدية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط:1، 2013، ص:67،68.

من الوقائع في آنٍ واحدٍ ولكنَّهُ يستطيع التصرف فيها تقديماً وتأخيراً"[1]. ونتبين من خلال ذلك ونميز بين نوعين من الزمن في الخطاب الروائي:

2-1-1-زمن القصة:

يُثير زمن القصة في **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** اهتمامنا وانتباهنا، ويوافق زمن القصة ترتيب الأحداث فيها، وعوَّل الكاتبُ خلالها على قصة في الزمن الماضي يكادُ ترتيب الأحداث فيها يكون تعاقبياً." وإنَّ زمن القصة يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث"[2]. فانطلقت الأفعال متتابعةً من حادثة مقتل بلخير والد العربي وامتعاض أبنائه وحسرتهم عليه، ورغبتهم في الانتقام والثأر لمقتله، إلى هرب العربي بحمامة التي أرادها القايد زوجة له وكسر شوكته وإسقاط كلمته، وتلتها حادثة الانتقال إلى مدينة سطيف والانفتاح عليها وعلى التفكير الثوري والتنظيم لهُ، إلى التخطيط لقتل القايد عباس والثأر من كل من استباح عرض وأملاك الوطن، وجرت كلُّها قبيل أحداث 8ماي 1945 وإبانها، لتختتم الأحداث بانتفاضة شعبية تحولت إلى مجزرة[3]. وإنَّ السياق الزمني ضروري لفهم الأحداث وإدراك مقاصدها، ويُؤخذ بالدراسة من خلال " ظواهره المتعددة مثل دلالة التعبير عن زمن باستخدام آخر، ودلالة الانتقال من زمن لآخر، ودلالة اختلاف ترتيب الأحداث"[4].فلقد جرى هذا الفعل الحدثي في زمن يوحي بدلالة مباشرة لا تحتاج إلى وقفة تأملية أو تأويل، فالقارئ بمجرَّد قراءته للنص يُدرك أنَّهُ بمواجهة الزمن التاريخي، المحمَّل بقضايا وأحداث تاريخية، وأنَّهُ ركزَ على الزمن الحساس في تاريخ الجزائر المُغفل عنه، والذي يعتبر النواة الأولى لانفجار الثورة التحريرية، ويبدو اختيار الكاتب لهذا الزمن والأحداث الفعلية التي جرت فيه لم يكن إلا اختياراً مقصوداً للنبشِ فيه وقراءته وإعادة بعث قصصه والاعتراف بها.

[1]- حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص:79.

[2]- المرجع السابق، ص:73.

[3]- ينظر عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر.

[4]- علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية؛ الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص:132.

2-1-2- زمن السرد:

إنَّ الزمن في رواية حوبة على الرغم من ارتباطه بالتاريخ والماضي واستثماره لأحداثه وقضاياه واستلهامه لشخصياته،إلا أنهُ تعدد وكان غير محدد، وهذا لأنَّهُ كُتبَ في الحاضر وهذا ليُفسِر العصر الحالي، واستغل الحاضر للسرد في مواقف الساردة حوبة والسارد الكاتب وإطلالاتهما، إذ هناك على الأقل تداخل زمنيين فمن زمن الاحتلال، وبداية الانتفاضات والتنظيمات، زمن الجوع والجهل والظلم والخرافات، إلى زمن حوبة الساردة والكاتب وكتابتهما للحكاية والوقوف على أحداثها وأفضيتها والتذكر. وإنَّ ما سمح للروائي الانتقال بين هذه الأزمنة كما شاء ومكَّنَهُ من تحطيم النظام الزمني وتراتبية الأحداث وتعاقبها التقنيات السردية. " وإنَّ هذه المفارقة إما أن تكون استرجاعاً لأحداث ماضية Rétrospection أو تكون استباقاً لأحداث لاحقة Anticipation"[1]. ولقد استغلَ الروائي عز الدين جلاوجي هاتين المفارقتين في روايته، واللتين أسهمتا في إبراز قدرتهِ الفنية في استحضار وقائعٍ ماضية والولوج إلى الزمن التاريخي لاستلهام قصصه وأحداثه وشخصياته، ناقلاً قُراءهُ إلى الماضي التاريخي، صارفاً أذهانهم إليه، وهنا يضطر الاسترجاع إلى تبني أفعال كلامية تليقُ بالمقام التاريخي.

2-1-2-1- تقنية الاسترجاع:

ما يلفت تفكير القارئ ويجذبهُ هو التلاعب الزمني والانتقال بالأحداث ارتداداً واستباقاً، وهذا لأنَّ الروائي طوعَ المادة التاريخية باسترجاعهِ وسعى لترهينها وإخضاعها لمطالب الفن الروائي. "فالاسترجاع أو الارتداد هو تقنية يتوقف فيها حاضر الزمن السردي ويرجعُ إلى الوراء، يحصل انعكاس في اتجاه خطيته الطبيعية، وكأنَّ الزمن قد ارتطم بجدار النقطة التي توقف عندها ليرتدَّ صداها إلى الذاكرة فتبدأ باستعادة أحداث الماضي المخزونة في حافظتها"[2]. لقد عمدَ الروائي إلى هذه المفارقة الزمنية الاستذكارية، ولقد ظهرت في بداية أمرها مع الساردة حوبة والكاتب حين اعتبرا ما

[1]- حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص:74.

[2]- نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني؛ قراءة نقدية في قصص الكاتب العراقي –أنور عبد العزيز-، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط:1، 2011، ص:49.

سيسردانه اشتغال الذاكرة، وعادت بنا إلى أحداث وقعت في الأربعينيات من القرن الماضي، استرجاع القصة الأساسية التي لها بداية وأفعال ولوحات ومشاهد مختلفة ولها نهاية، مُنفتحة على بداية واقعية في تاريخ الجزائر، فيتذكر السارد في هذا القول الكلامي، ويسترد قصتها: "**لقد قررت أخيرا أن تحكي قصتها لي، لم تشأ أن تبدأ منذ ولدت، هي تقول دائما أنا أعمق من ذلك بكثير، أنا تاريخ ممتد الجذور في الماضي، الماضي السحيق**"[1]. فلقد انطلقت حوبة والسّارد من حاضرهما إلى الماضي تسعين سنة، لاسترداد حكاية من خضم الثورة والانتفاضة وقُبيلها معتمدةً في الفعل الكلامي الضمير أنا، ولكأنّ حوبة هي الحكاية، أو هي الأرض التي بدأت تروي روايتها، وهذا بقولها (**أنا تاريخ ممتد الجذور في الماضي السحيق**) فهذا الفعل القولي التقريري مفاده ربط ذهن القارئ بما سبق أن حدث، ويفتح ذهنه لتأويلات مختلفة، هل حوبة هي التاريخ؟ . هل حوبة هي الجزائر ؟ وترغب في تسليط الأضواء على هذه الحقبة الزمنية بالتحديد

وهناك استرجاع داخلي تاريخي للأحداث. "وقعت ضمن زمن الحكاية أي بعد بدايتها وهو الصيغة المضادة للاسترجاع الخارجي، ومن أبرز التداعي(التذكر) من قبيل تذكرت، أتذكر ...فهذا النمط تارة يكون محدداً بمدّة زمنية معينة وفكرة معلومة واضحة، وتارة أخرى يكون غفلا عن أية إشارة دقيقة، ويحتاج إلى إعمال الذهن وممارسة التأويل"[2]. فلقد ظهر هذا النوع الاسترجاعي في الرواية موقفا حركية السرد وزمنه معيدا الأذهان إلى أحداث فعلية قد وقعت في زمن الحكاية وبالضبط بعد بدايتها. ولقد كانت كثيرة هذه الاستردادات متماهية مع التاريخ، والسياق الزمني التاريخي حاضر بقوة فيها ولا يتأتى لنا فهم هذه الأفعال القولية إلا في إطارها السياقي الزمني والمكاني،فيرى جون سيرل" أنه لا نستطيع فهم دلالة جملة ما إلا في علاقتها بالسياق الذي يمكن أن يتلفظ بها فيه "[3]. فالسياق الزمني التاريخي لعب دوراً فريداً في تفسير بنى الأفعال الكلامية وإعطائها مقاصداً تأويلية، فهو عنصر بنائي مهم يؤثر في عناصر أخرى وفي هيكلة النص، فهو حقيقة لربما لا يمكن القبض عليها، إلا بتذوق إيقاعها في باقي أجزاء النص الروائي وفي تراتبيته.

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:12.

[2]- ينظر شفيقة عاشور، مفارقة البنية السردية في خفايا وأسرارالماضي لرواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلاوجي، جامعة محمد خيضر بسكرة، مجلة كلية الآداب واللغات ،العدد: الواحد والعشرون جوان .2017، ص:411.

[3]- ألفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، تر: محمد تنفو، ليلى أحمياني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1،2018، ص:57.

وهاهي مقاطع سردية استرجاعية ثبتت ذلك، فتستذكر شخصية **يوسف الرّوج** احتفال الفرنسيين باحتلالهم الجزائر يقول"**لقد صرخ الكاردينال لافيجري (Cardinal Lavigerie) في هذا الاحتفال قائلا : إنّ عهد الهلال في الجزائر قد ولّى وإلى الأبد**"[1] . فيحوي هذا الاقتباس خبراً تاريخيا، وفعلاً إنجازياً تداوليا له تأثير على الشخصيات وقصدْ، وحتى على المتلقين، فهذا الفعل الإنجازي غير المباشر المركب من جملة اسمية منسوخة مكونة من الناسخ إنَّ واسم الناسخ المضاف (عهد الهلال) الرامز للإسلام والموحي عليه، ولفظ العهد المصرح بالزمن: (زمن الإسلام) ليأتي خبر الناسخ جملة فعلية(**قد ولّى**) مرتبطة بقد الدالة على التحقيق لاقترانها بفعل ماضٍ، فالفعل غير المباشر يومئ برغبة الاحتلال بتحقيق مآربه بالقضاء على الهلال و عهد الإسلام، ورغبة مؤكدة منه في اضمحلاله بأرض الجزائر. وبالتالي يغدو الفعل الكلامي غير المباشر هنا مؤكدا على خطة فرنسية في حصر الإسلام في الجزائر ومحاصرته والتضييق عليه وعلى اللغة العربية.

وهناك مقطع آخر للاسترجاع الداخلي في المتن الروائي، تضطلع به شخصية فرحات عباس وقاله قبل في مؤتمر أقيم مع الفرنسيين ذُكر سابقا في الرواية ويعيد استذكاره بعد التجنيد، يقول:"**ورغم ذلك مازلتُ أهتفُ بحياة فرنسا، فرنسا الحرية والعدالة والمساواة، مازلت أيها الإخوان واثقا جداً أن صوت العقل الحر سيصحو في ضمير الفرنسيين، إنّي أحلم باليوم الذي نشكل فيها معا جميعا عربًا وفرنسيين دولة فرنسا العظمى، دولتنا الكبرى التي تحتضن كل الديانات والأجناس واللغات**"[2]، لقد انتهجت شخصية فرحات عبّاس في هذا الفعل الكلامي انتهاجاً إدماجياً مباشر القول، وقد عبّر عن رغبته في الإدماج بأفعال دالة على الزمن، وأسماء دالة أيضا عليه، والفعل يحملُ دلالة مباشرة على الزمن، فاعتمد الأفعال الماضية الناسخة الناقصة الدالة على الاستمرارية مُكرراً إياها (مازلتُ) وهي دالة أيضا على استمرارية رؤيته واستمراره على عهده ووعده لفرنسا، وبتشبثه بفكره الإدماجي. واعتمد الأفعال المضارعة التي عبرت عن الحركة القائمة داخل النص، وتفاعلها مع العالم الخارجي، مع الذاكرة التاريخية، مثيل ذلك:

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص: 364.

[2]-المرجع السابق، ص:510.

(أهتف، أحلم، نشكل، تحتضن، ستصحو) والدالة في الآن ذاته على الرغبة المستقبلية في تحقيق حلم الإدماج. كما اعتمد جملاً اسمية ومثلها : (فرنسا الحرية والعدالة والثبات) (دولتنا الكبرى التي تحتضن كل الديانات...) والجملة الاسمية لها دلالة على الحقيقة دون زمانها، وذلك أن الاسم -وهو المسند إليه فيها- يفيد الثبوت، والخبر إخبار عنه، ووصف للمسند إليه، واصفا فرنسا بالعدالة والحرية والثبات، رابطا إياها بقرائن لغوية، حرف العطف الواو لتفيد الاستقرار والدوام، استمرارية فرنسا بالحرية والعدالة والثبات، ليُضيفَ: "مازلت أيّها الإخوان واثقا جدا أنّ صوت العقل سيصحو في الفرنسيين"[1] فهنا الجملة الاسمية المنسوخة (أنَّ صوت العقل) خبرها ورد جملة فعلية مستقبلية وتدل على ما سيستقبل من الزمن(سيصحو في الفرنسيين) تفيد التجدد، تجدد وقوع الحدث في ضمائر الفرنسيين وانتباههم للإدماج، وتصويب رؤيتهم للشعب الجزائري. وما هذه إلا رؤية حالم أرادنا الروائي أن نعيشها في الرواية ونتأملها حقيقة، فهذا الحالم أرادها حقيقة يوما ونفذها في شعاراته، وهذه الإشارات القولية كلّها مقاصد لإعادة قراءة ما لم يكتبه التاريخ.

يُعدُّ الاسترجاع الخارجي واحداً من العناصر السردية التي اشتغل عليها الروائي عز الدين جلاوجي كثيرا في روايته، وهذا بالوقوف بمحطات كثيرة استرجاعية وفي أزمنة مختلفة ماضية تاريخية أو انفرادية ذاتية خاصة بالشخصيات، فهذه الاستذكارات التي تأتي على العموم "لتلبية بواعث جمالية وفنية خالصة في النص الروائي، وتحقق هذه الاستذكارات عددا من المقاصد الحكائية مثل ملأ الفجوات التي يخلّفها السرد وراءه، سواء بإعطائنا معلومات حول سوابق شخصية جديدة دخلت عالم القصة أو بإطلاعنا على حاضر شخصية اختفت عن مسرح الأحداث ثمّ عادت للظهور من جديد"[2] وإنّ هذه التقنية ظهرت بصفة كبيرة في الرواية محاولا الروائي من ورائها الإلمام والإحاطة بأهمِّ المحطات التاريخية وإبرازها لغاية جمالية وغاية في نفس الكاتب بإعادة تسليط الضوء على التاريخ الجزائري وخاصة منه غير المكتوب، وشد المتلقي إلى عالم هذه النصوص، فلقد كانت رواية حوبة جوّالا في أزمنة مختلفة محتفية بالتاريخ

[1] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص:510.

[2] - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص:122،121.

الجزائري محاولة الخروج بشكل أو بآخر من معطف السّرد النّمطي وإيقاف وتيرته بالتعويل على قضايا تاريخية حساسة خارجة عن القصة الإطار، لاجئةً في ذلك للاسترجاع الخارجي. والاسترجاع الخارجي :"**وهو ما كانت فسحته الزمنية و اقعة خارجة نطاق زمن الحكي، أي بمعنى أنّه لا يدخل ضمن حدود نقطة البداية التي ينطلق منها حاضر القصّة** "[1]. إنَّ هذه الفسحة الزمنية السردية استغلها الروائي للتنويع وإثارة قضايا كما ذكرنا، ونمثل على ذلك من خلال الرواية فيذكر السارد: "**قالها الباي أحمد مُشرقَ الوجه ودعا إلى التعبئة العامة، وكانت معركة قسنطينة الأولى، تصدَّى فيها المجاهدون ببسالة كبيرة لقوّات النصارى لكن خسائرهم كانت أكبر من أن تحصر، وحين فشلت فرنسا في إغراء الباي، أعادت الكرّة في هجوم مفاجئ، ولم تملك المدينة إلاّ أن تستسلم... انتقل الباي أحمد مع المقاومين إلى الصحراء داعيا إلى الجهاد في كل قرية يحلُّ بها...**"[2] لقد كان هذا الفعل الكلامي السردي المستذكر يطغى عليه النَّقل والإخبار، ينقل **قصة أحمد باي** ومقاومته التاريخية. "**فالأفعال الإخبارية هي أن نقدم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة موجودة في العالم**"[3]. ويدخل تحت نمط هذا الفعل الكلامي جملا فعلية(قالها.... دعا... تصدى... فشلت... أعادت... انتقل...) وجملا اسمية(كانت معركة قسنطينة) (لكن خسائرهم كانت أكبر) وفيها المثبتة والمنفية والغاية منها إفادة المتلقي بهذه الأحداث التاريخية وفتح ذهنه على التأويل، فالعبارة تخبر وتصف مقاومة **أحمد باي** وبسالته في التصدي لفرنسا، فهذا الشيء المخبر عنه والموصوف هو في الواقع الخارجي للنّص، فكتب الروائي ما حوته ذاكرته حول التاريخ وحول مقاومة أحمد باي وهذا بالاحتكاك بالتاريخ الجزائري وإعطائه نفساً في الخطاب الروائي وهذا بدعوة المتلقي لإعادة قراءة التاريخ، وإدراكه مدى صدق الرواية في ذكر هذه الحقائق من عدمه، ومن جهة أخرى محاولاً التأصيل لعائلة **القايد عباس** والتنبيه لجذورهِ المقاومة، وهي إشارة غير مُباشرة أنَّ أسلاف **القايد عباس** رجال قاوموا

[1] - نفلة حسن أحمد العزى، تقنيات السّرد وآليات تشكيله الفني، قراءة نقدية في قصص الكاتب العراقي-أنور عبد العزيز- دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط:1، 2011، ص:52.

[2] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:53.

[3] - جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع(الفلسفة في العالم الواقعي)، تر:سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2006،1 ، ص:217.

وابتسلوا في إخراج فرنسا، وأنَّ أحفادهم تحالفوا مع العدو لبقائه وتوسُّعه، وأراد أن يظهر من وراء هذا الفعل الكلامي أنَّ كيد فرنسا غيَّر العقول وغيَّر الصُّدور، وكان لها يدٌ حتى في تغيير تشكيلة القبائل وأهاليها.

ويذكر الروائي مقطعا استذكاريا آخر خارج إطار الرواية عن **الملكة تينهنان**:"**وتقول أن تينهنان قدمت من منطقة "تافيلالت" الو اقعة بالجنوب الشرقي للمغرب الأقصى ممتطية ناقتها البيضاء وبرفقة خادمتها "تاكامات" وعدد من العبيد، لتستقر بقافلتها الصغيرة في منطقة "الأهقار" الجبلية بعد رحلة متعبة وشاقة مليئة بالمخاطر..."**[1] عرج بنا الروائي من زمن القصة الإطار إلى زمن آخر خارجي هو وحده يخبر عن تاريخية هذه الأحداث، ليُطلعنا عن هذه الشخصية، والأصل في كل فعل كلامي إخباري الإفادة، إفادة المخاطب بما يقرّه من حقائق ووقائع جرت في زمن ما، يقول **القزويني** في هذا السياق :"**من المعلوم لكل عاقل أنَّ قصدَ المُخبر بخبره إفادة المخاطب إمّا نفس الحكم كقولك "زيدٌ قائمٌ" لمن لا يعلم أنّه قائم ويسمى فائدة الخبر، وإمّا كون المُخبر عالما بالحكم، كقولك لمن زيدٌ عنده، ولا يعلم أنّك تعلم ذلك" زيدٌ عندك" ويسمى لازم فائدة الخبر"**[2] ففائدة اعتماد هذه الأفعال الكلامية الإخبارية الاسترجاعية الخارجية هو إفادة المتلقي بأخبار الأوائل في الجزائر وليس هذا فحسب، بل يتجاوز هذا الفعل الكلامي الإخباري الواصف لرحلة -**الملكة تينهنان**- إلزامية الإفادة، والإشارة إلى عراقة هذا البلد وأصوله التاريخية إذ لم يترك تفصيلا إلا وأورده عن رحلتها ، وهذا من باب التعريف والتأصيل لمقومات الشعب الجزائري، وكأن الرواية تأشيرة سفر إلى معالم تاريخية وقصص تعبر إلى أذهان المتلقين على اختلاف ثقافاتهم وجنسياتهم، فهو يعرف تمام المعرفة أنَّ هذه الرواية وبقصصها الاستذكارية المتنوعة المثيرة، لن يقرأها الجزائريون فقط بل كل من اختار الكتاب جليسا له، ومن مختلف البلدان، وهكذا ترتحل القصص، وتُعرف بهويات الشعوب، وهنا تكمن فائدة هذا الفعل الكلامي الاسترجاعي الإخباري.

[1] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:198.

[2] - الخطيب القزويني، الإيضاح في علم البلاغة (ت739)، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص:27.

ولقد كانت الاسترجاعات الخارجية الذاتية للشخصيات جنباً إلى جنبٍ والاسترجاعات التاريخية تؤثث للسرد وتملأ فجواته، فهذا الاسترجاع الذاتي "هو ارتداد يقع خارج الإطار الزمني للقصة ويكون متعلقا بماضي الشخصية المركزية فيها"[1]. إنَّ هذا التنوع من الاستذكار يحاول أن يلملم بحياة الشخصيات وذكرياتها، ويعطينا صورة مكتملة عن أهم التغيرات فيها والعقد، لتكتمل الصورة عند القارئ ويتقرب من الفهم، ولمحنا اهتمام هذا الروائي بهذا النوع، إذْ كان يُطالعنا بقصص جرت قبل بداية زمن القصة الفعلي، وسنحاول خلال هذا المقطع استبيان هذا النوع، الذي ظهر في الرواية واتخذ له مُتسعاً في القصة وكأنّها لم تكن استذكاراً بل حدثاً من أحداث القصة الإطار، يتّخذ له جزءاً ورقماً من القصة، وكأننا نعيش قصصا في قصة واحدة ونشهد عوالماً مختلفةً وأزمنة متنوعة متشظية متفرقة، وقصده من ورائها الإلمام بأكبر الأحداث وألوان الحكي. يروي قصة **حليمة المتسولة زوجة سي رابح** التي أحبَّها وفقدها رغما عنه ولم يعرف بعد ذلك الطريق لها.**"سكت سي رابح، لن ينسى هذه المأساة وما ينبغي له أن ينساها، كانت حليمة أول حبه، وكانت حليمة آخر حبِّه أيضا، وليس من السَّهل أن يروي كل حكاياتها، كل جزء منها هو حكاية، وكل جزء منها هو فاجعة تمزق القلب، وليس من السهل أن ينساها"** [2]. لا يبرحُ السَّارد في هذا الفعل الكلامي يقرُّ ويصف حال **سي رابح** المفجوع في زوجته التي هجرته وهجرت مدينته وتركت قصتها مُعلَّقة، ولقد نحا هذا الفعل الخبري التقريري الوصفي منحى خبري آخر توجيهي، وهذا لأنّ دلالته اتجهت إلى دلالة أخرى في ثناياها الأمر والتمني بقوله: (**وما ينبغي له أن ينساها، كانت حليمة أول حبه، وكانت حليمة آخر حبه أيضا**)."والغرض الإنجازي لهذه الأفعال التوجيهية يتمثل في محاولة المتكلم التأثير على المتلقي ليفعل شيئا ما ويقوم بأداء عمل من الأعمال، والمسؤول عن إحداث المطابقة بين العالم والقول هو المتلقي(المخاطب) والشرط لنجاح التوجيه هو قدرة المتلقي على أداء الفعل المطلوب"[3]. فالسّارد يظهر بمظهر الآمر القاطع في كلامه وهذا بقوله(**ما ينبغي له أن ينساها**) موجها شخصيته لعدم نسيان قصة **حليمة**

[1]- نفلة حسين أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص:55.

[2] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:233.

[3]- Searle, A classification of language in society, vol:5, n:1, april,1976, illocutionary acts.p11.

المتسولة، وهذا فعلا ما جرت عليه العادة، **فسي رابح المُخاطب** ظلَّ وفياً لها مُسانداً لكلِّ المحبين، وما فعله إنجازاً بالبحثِ عنها وعن ابنته وبأداء الفعل المطلوب بعدم نسيانها، وهذا لدلالة على نجاح هذا الفعل التوجيهي لدى المتلقين.

ينطلق الزمن في الرواية من الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى الماضي وهذا باستعمال تقنية الاسترجاع السردية، التي تترك الزمن مرنا يحمل لنا جملا من القصص الماضية، والماضية التاريخية لتسُدَّ ثغرات سردية وتملأ فجوات الحكي، ولقد كانت الأفعال الكلامية الاسترجاعية الاستذكارية في حوبة متسعة وكثيرة، وخاصة هي التاريخية المستجلبة لقصص قديمة تاريخية و تراثية، جعلت الرواية تبدو كتابا للتاريخ يرصف أحداثا تاريخية مختلفة، ويدخل هذه القصص إدخالاً رغبة منه للملمة قصص التاريخ مما ضيع جمالية الرواية في بعض الأحيان وأرهقها.

2-1-2-2- الاستباقات في رو اية حوبة:

إذا كانت تقنية الاسترجاع أو الاستذكار تقنية سردية يستطيع خلالها العودة إلى الماضي وسرد أحداثه، فإنَّ الاستباق تقنية سردية فريدة في مسار السَّرد هي الأخرى، التي تخلق تشظي للزمن وتتوزع في مختلف الرواية محدثةً جذباً للقارئ، وتكسر رتابة التفكير التَّصاعُدي للقصة المعتاد التقليدي لديه، فتؤزُّ خيالَه أزًا وتشدُّه شدًّا لها مُحدثةً قلقاً وشغفًا لإتمام الرواية وتركيب حلقاتها، فالسَّرد الاستباقي أو الاستشرافي. "للدلالة على كل مقطع حكائي يروي أو يثير أحداثا سابقة عن أوانها أو يمكن توقع حدوثها، ويقضي هذا النّمط من السَّرد بقلب نظام الأحداث في الرواية عن طريق تقديم متواليات حكائية محل أخرى سابقة عليها في الحدوث"[1]، إنَّ تقنية الاستباق من التقنيات السردية التي تؤدي إلى خلخلة النظام الزمني للقصة، وتختلف في مجراها عن تقنية الاسترجاع التي تتكلف بالرجوع إلى زمن سابق واستدراكه في الرواية، فالاستباق هو حدث استشرافي لما سيقع والتنبؤ به. "ويسمى باللامعة أو الضوء الخاطف تنطفئ ما أن تلمع، وهو ملفوظ وجيزٌ جدا في الغالب من الأحوال، يطابق التعيين التلميحي وظيفتها السردية التي تنطوي على

[1] -حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص:132.

معلومة جزئية لن تنضج إلا مؤخرا على مسار القص"[1] إذن الاستباق هو إشارة خاطفة تلميحية تلمع في الحكي لمعاناً لإعطاء الأحداث مستوى آخر من الفهم، وتكهن تلميحي وومیض يفتح ذهن القارئ على تساؤلات لا متناهية.

وألفينا هذا الفعل الكلامي الاستباقي المنجز على لسان شخصية عجائبية بتصرفاتها، وكلامها الذي لم يكن إلا ملفوظا وجيزاً مختصراً ولغزاً يردِدُه؛ يشكلُ إبهاماً على الشخصيات الأخرى، وأحجية مقفلة ظلت الشخصيات تحاول فكَّها، **يقول البهلي الأخضر:"يا ناس يا ناس، هو سيِّد النَّاس يرفع الباس، ويعلي الراس، اِسمه بالعين يبدا، والنفوس له تهدا، يرفع راس بلادنا ويعز نفوس ولادنا"**[2] لقد اعتمد الروائي في هذا الفعل الكلامي التوجيهي النداء، **"والنداء هو تنبيه المنادى، وطلب الإقبال منه بحرف من حروف النداء أو أنه التصويت بالمنادى ليميل ويعطف على المنادى، وتتكون جملة النداء من عناصر هي: أداة النِّداء والمنادى، ومحتوى النداء(مضمون النداء)"**[3]. فالنداء هو تنبيه للمخاطب باعتماد أداة من أدوات النداء، الياء أو الهمزة أو هيا أو أيا... قصد لفت انتباهه إلى المضمون أو إلى محتوى النداء الذي يريد المنادي أن يوصله للمنادى، فهو فعل كلامي قصده تنبيه المتلقي لما يريد عرضه أو الإقبال عليه لأمر في نفسه، وتركيبة الفعل الكلامي في هذا المقطع الاستباقي:

أداة النداء+منادى له، أداة النداء+منادى(تكرار)+مضمون النداء(المحتوى الذي تلاه) فيأتي النداء في الفعل الكلامي الفارط للناس كافة، للعشيرتين أو لكل الجزائريين على حدٍّ سواء، نداء لهم ليلتفتوا للغز الإيحائي المعقود، وهنا يخرج النداء عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر يحتمل حدوثه، إذ يظهر المُنادي مُغرياً باستثماره الفعل الكلامي النداء والغاية من ذلك شدُّ انتباههم وإثارة المتلقين لقوله. **ولقد صحبَ النداء في الفعل الكلامي أفعال أخرى"فيصحب (النداء) في**

[1] - ينظر نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص:72.

[2] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:38.

[3] - بلقاسم دفة، بنية الجملة الطلبية ودلالتها في السور المدنية، الجزء الأول، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2008، د: ط، ص:169.

الأكثر الأمر والنّهى ...وقد يصحب الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر وقد لا تعقبها، وقد يصحب الاستفهامية"[1]. وقد صحب النداء في المقطع الاستباقي جملة خبرية وصفية إيحائية(**هو سيِّد النَّاس يرفع الباس، ويعلي الراس، اِسمه بالعين يبدا، والنفوس له تهدا، يرفع راس بلادنا ويعز نفوس ولادنا**) وتحددت قوة الفعل الانجازي النداء هنا في إخبار ووصف الرجل اللغز الذي ستحيا الأرض معه حياة كريمة وتتغير النفوس والأحوال، فإن هذا الاستباق تلميح وإيحاء لما سيأتي في قادم الأيام وقادم الرواية وأحداثها، تلميح لاحق لما سيحدث في الرواية يفتح من جنبيه تأويلات وتكهنات، وبهذا الاستباق ينهي إلى أذهاننا الروائي أنّه قد حقق غايته من هذا الفعل الكلامي الاستباقي التمهيدي، والتي وضعتنا وجها لوجه مع الشخصية التي تغيّر مصير البلاد وأنفس العباد.

ولمسنا الاستباق في الرواية انطلاقا من مجموعة معطيات متوفرة لدى الشخصيات التي كانت تُحاول أن تراوغ العقول وتبعث نوعا من القلق، ورصدنا ذلك في المقطع الحواري الآتي الذي دارت رحاه بين جماعة الشخصيات المحضرة للمسيرة الوطنية، يقول **العربي الموستاش:"أرجو من الإخوة أن يناقشوا أيضا احتمال وقوع مجزرة"**[2] ويُردفُ **فرحات عباس** قائلا: **"لا لا أريد هذا التشاؤم القاتل لقد اتصلنا بالسلطة الفرنسية، وحصلنا على تصريح بالمسيرة، وحددنا مسارها وأهدافها، وأخذنا تعهُدًا بعدم التعرُّض لها"**[3]. يُظهر المقطع الاستباقي الاستشرافي لشخصية **العربي الموستاش** فعلاً كلامياً يتضمن الرَّجاء؛ (رجاؤه في الجماعة أن تعدل عن ثقتها في فرنسا الكبيرة، وأخذ الحيطة والحذر) والرجاء من الأفعال الكلامية التوجيهية"التي غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المتلقي إلى فعل شيء ما أو التأثير عليه ليفعل شيئًا مُعينًا"[4]، فالغرض الإنجازي المتوخى من الفعل الكلامي توجيه الجماعة إلى العدول عن هذا الفعل، وإعادة التفكير في الإمكانية تحولها إلى مجزرة، فهنا في هذا الفعل يستبق العربي الموستاش الأحداث، ويثير بقلقه

[1] ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية اللغوية العربية،"تأسيس نحو النص"، القسم الثالث:النحو العربي والأبنية الخطابية المتجاوزة للبنية العاملية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001، المجلد الثاني، د:ط، ص172.

[2] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:541.

[3] - المرجع السابق، ص:541.

[4] - علي حجي محمود الصرّاف، في البراجماتية، ص:62.

وحدسهِ السقوط في فخ، مُحذراً صحبَهُ وراجياً بهذا الفعل التأثير فيهم لتغيير شيء مُعين في هذه المسيرة وعدم الوثوق التام في العدو.

وأما المقطع الاستباقي الثاني الذي اكتنفته صفة المراوغة والجواب المضلِّل، اعتمدت فيه شخصية فرحات عباس الفعل الكلامي الالتزامي "وغرضه الإنجازي هو إلزام المتكلم نفسه بفعل شيء في المستقبل، واتجاه المطابقة في هذه الأفعال هو من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد"[1]. وهنا يلتزم فرحات عبّاس في هذا الفعل الكلامي، بسلامة المسِّيرة وسلامة الخارجين إليها، وهذا بأخذه تعهدات من القادة الفرنسيين بعدم التعرض لها، فأخلص في تنظيمه وتحضيره وتأطيره ولكن لا يمكن الوثوق بالعدُّو في غالب الأحيان. ففرحات عباس كان في هذا الالتزام صادقاً في تنظيمه ونحو صحبه، فهو يلتزم نحوهم بسلامة المسيرة وهذا لأنه سعى لاستحضار مواثيق من الاحتلال وتعهدات، ولكن العدو كان أمكر منهم وخائناً للالتزام الذي أطلقهُ. وبالتالي كانَ استباق العربي الموستاش في محله لأنَّ الرواية تنتهي بقيام مجزرة التي حذرَ منها العربي الموستاش. وتتحقق نبوءتهُ.

ولقد كانت الأفعال الكلامية الاستباقية أقل وروداً في الرواية مقارنة بالأفعال الكلامية الاسترجاعية التي كانت أكثر تواتراً، أما فيما يخصُ اتساعها فقد كانت الأفعال الكلامية الاستذكارية الاسترجاعية تتميزُ بالكثرة والاتساع، لتكادُ تشمل صفحات في الاستذكار الواحد مقارنة بالفعل الكلامي الاستباقي الذي كان وميضا يظهر من حين لآخر، مُعلنا عن التغيير الذي سيحدث للجزائر ومُذكرًا بالشخصية التي ستملأ الوجود هُدوءاً. ونستطيع أن نعتبر هذا الفعل الكلامي اللّغز أو الأحجية نبوءة لما سيتم في لاحق الأحداث من الرواية، ونلاحظ أنّ هذا الفعل الكلامي الاستباقي لأحداث ايجابية محبب إلى نفس الراوي والقارئ في آن، لهذا كان يعمد إلى تكراره في الرِّواية ولأنَّه سيأتي بالأفضل في قادم الأحداث.

[1]- علي حجي محمود الصرّاف، في البراجماتية ، ص:62.

2-2- الشخصية والأفعال الكلامية:

تعدُّ الشخصية العمود الفقري للرواية، التي تتحلق حولها الأحداث، وتتحددُ الأفكار والآراء والمعاني، فهي مُرَّكب من أفعال كلامية تُدرك وتركب إلا بعد إتمام القراءة. فيرى **بول ريكور**P.Ricoeur **: "أنَّ الخطوة الحاسمة نحو إدراك سردي للهوية الشخصية تتحقق عندما ننتقل من الفعل إلى الشخصية، فالشخصية هي التي تنجزُ فعلاً في الحكي"**[1]. يمكن القول أن الشخصيات لا حياة لها خارج الكلمات، ولكنها وُضِعت في فضاء تخييلي افتراضي، لتُعبِر عن الحياة والعالم برؤية تبعث على الإعجاب، فالشخصية هي الفاعل الذي يضطلع بالقيام بهذه الأفعال وينجزُها في الحكي. ورواية حوبة اعتنت بالشخصيات الفاعلة واهتمت بطبائعها وأفكارها وألقت الضوء على عالمها الداخلي، ولقد اكتسبت الشخصية في حوبة أبعاداً مختلفة نظراً للأدوار التي أدتها والأفعال المنجزة من طرفها، واستناداً إلى تصنيفات ج.سيرل (J.SEARL) للأفعال الكلامية، نحاول القبض على الأفعال المنجزة التي أُسنِدت إليها والأدوار التي جعلتها تتميز وينصب عليها اهتمام الراوي وتكثر الإشارة إليها ولأفعالها:

2-2-1- الإخباريات أو التقريريات: Assertives

إنَّ الأفعال أو الأحداث الإخبارية تقدم الخبر للمستمع، وتصفُ وقائع العالم الخارجي، فتكون صادقة أو كاذبة وتسمى الأفعال التأكيدية Assertives وفحواها "أن تطابق الأفعال الواقع، وأن يكون المتكلم مقتنعا بها، وأن يكون العرض الإنجازي فيها وصف واقعة معينة من خلال قضية proposition لا تحتمل أفعالها الكذب، وأن يكون اتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم (words to words) وأن يكون وصف الواقع أمينا"[2]. إنَّ هذه الأفعال تمكن من الحكم عليها بالصدق غير محتملة الكذب، وهذا من خلال مطابقتها للواقع من عدمه، وشرطها الأساس أن يطابق الوصف الواقع وينقله نقلاً أمينًا، وهذا من خلال قُوى يعمد إليها المتكلم لتحقيق غايته. "إذْ من الضروري في الإخباريات حيازةُ المتكلم على شواهد وأسس أو مبررات ترجحُ أو تؤيد المحتوى القضوي والحالة النفسية التي تعبر عنها الإخباريات

[1]- P.Ricoeur ,Soi-méme comme un autre ,op.cit ,p170عن إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، ص:105.

[2]- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية، ص:106.

هي الاعتقاد"[1]. يتبين أنَّ الإخباريات ترتكز على جملة من التأكيدات المتمثلة في الشواهد والمبررات وهذا لتحقيق النقل الأمين والمطابقة للواقع، ومما يبدو أنَّ الطريقة التي رسمها الروائي في تقديم شخصياته السردية وتحليلها ورسم ملامحها وطباعها النفسية تأتت لنا من خلال اللغة التي تبنت أفعالا مختلفة ومتباينة تَبعا للمقامات المختلفة في الرواية ولتنوع الشخصيات ومرجعيتها المختلفة ومنها:

الشخصية المتخيلة الثورية في رواية حوبة هي شخصيات ساهمت في العمل الثوري، تحملت أعباء الواقع المزري، وناشدت نفسها تحقيق واقع أفضل، بعيداً عن الاحتلال والسيطرة الاستعمارية، وهذه الشخصيات أبت إلا أنْ تحلمَ بواقع أفضل وتخطط له، وتجلى هذا من خلال أفعال وأحداث كلامية صادرة عنها حمَّلها الروائي بمدلولات ومقاصد، وأهم النماذج المتخيلة التي تفنن الروائي في نحتها لغوياً شخصية العربي الموستاش الذي انتقل من البادية لسطيف هربا من جور القايد وظلمه وقهر الاستعمار. ولعل هذا الشاهد الكلامي يُظهر الإقرار في شخصيته وموقفه من النخبة والنواب الجزائريين فيذكر السَّارد: "**ضرب العربي الموستاش المحسب بقبضته وقال:" عجيب، المعمرون ضد فرنسا، وكلاب النواب والنخبة أسرعوا في التطوع للحرب**"[2]. يظهر الفعل الكلامي حركة وسلوك شخصية العربي الإنجازيين وردة فعله التي تبرز اعتقاده الراسخ بالقضية الوطنية ورفضه للمداهنة والمحاباة لفرنسا. وهذا باعتماده الفعل التقريري الوصفي (ضرب المحسب بقبضته) وهو يقصد من توظيفه هذا الفعل السلوكي إبراز مواقفه الغاضبة التي تدل على مبادئه والتزامه نحو الوطن وكأنها جرت بالفعل، لينتقلَ الروائي إلى الفعل القولي للشخصية الإخباري والذي يحكمهُ قصدٌ مُعين بإخبار المتلقي بمواقفه، فهناك رسالة غير مُباشرة للمتلقين عن مواقف النخبة التي لم تكن أقلَّ من مواقف المعمرين في هرولتهم للتطوع في صفوف التجنيد.

ويُظهر مشهداً آخر تحمس **شخصية العربي** وحالتها النفسية المنفعلة، يذكر السارد:"**لم يهدأ العربي الموستاش منذ سمع بمقتل محمد بوراس، لقد أثر فيه ذلك عميقا، صرخ في رفاقه وهم يلتقون مساء في بيت سي**

[1]- علي حجي محمود الصرّاف، في البراجماتية، ص:205.

[2] -عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:498.

رابح: أرجو أن تسمحوا لي كي أنتقم لروح محمد بوراس، لقد طفح الكيل طفح الكيل"[1]. يمكننا القول أنَّ الشاهد السَّردي الحواري يحمل فعلاً كلامياً تقريرياً، مبدوء بالفعل (أرجو) في صيغة المضارع المنسوب إلى ضمير المتكلم (أنا) يحمل قوة إنجازية فيها طلب ودعوة لصحبه بتركه ينتقم لروح الشهيد **محمد بوراس**، ليردف مُتابعا فعله الكلامي التقريري بتعليل (كي أنتقمَ) "كي الناصبة للفعل المضارع من ألفاظ التعليل، وهي من الأدوات اللغوية التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي وبناء حججه فيه، يستعملها إلا تبريراً أو تعليلاً لفعله "[2]. والذي يوحي بالرَّجاء أيضا مختتما قوله بتوكيد لفظي (**لقد طفح الكيل طفح الكيل**)مُؤكداً على نفاد الصبر تجاه الاحتلال، ومستلزما معنى ضمني يدل على حزن وقهر العربي الذي يعتريه من ظلم الاحتلال، وكل فعل من هذه الأفعال الإنجازية فيه دعوة ضمنية وصريحة للثورة، ومما لا شك فيه أنَّ جلّ الأفعال الكلامية التي أُسنِدت **لشخصية العربي** ولوصفه ووصف أفعاله، كانت لا تخرج عن إظهار شخصية العربي بمظهر الرافض لاحتلال وكلَّ صوره والخضوع له والاضمحلال فيه، الرافض للمسايسة والمداهنة والتحزب بكل أشكاله، الرّاغب بتأسيس حزب ثوّار لا يعرف إلا لغة القوة مع المحتل، وإنَّها لرؤية عن كثب عن هؤلاء الذين فجّروا الثورة ولم ينتظروا الاجتماعات واللقاءات والمعاهدات، أراد تمريرها الروائي عبر هذه الشخصية الثورية.

إنَّ في العملية السردية التي اختارها الروائي عز الدين جلاوجي، تمَّ إقحام شخصيات تاريخية واقعية في الخطاب السردي معتمداً على ما حققته في الواقع التاريخي، جالباً إيَّاها متخيلاً تفاعلها مع الشخصيات المتخيلة، راسما لوحات فنية تاريخية ومشاهد تخيلية أعطت الحياة لتلك الشخصيات لتعبِّر عن آرائها وتدافع عن مواقفها، يذكر الروائي مشهداً حوارياً:**"ضحك ابن باديس وقال: سعد بن قطوش السطيفي أهم أساتذتي بالزيتونة، لولا أنّي حملتُ الجزائر في قلبي، ونذرت لها عمري لتزوجت سطيفية"**[3] . تظهر شخصية **ابن باديس** في الرواية من النماذج الروائية

[1] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص:507.

[2] - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط:1، 2004 ص:478.

[3] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:484.

التاريخية، التي حملت برمزيتها وحمولتها الدلالية التاريخية إلى النص الروائي، إذْ حاول الروائي عز الدين جلاوجي أن يحييها حياة جديدة وتجعلها بها تتفاعل مع الشخصيات المتخيّلة، محاولاً التقرُّبَ منها ومن وجهات النظر السائدة آنذاك وهذا لإقامة جسر تخييلي بين الماضي والحاضر، وأبانَ الفعل الكلامي التقريري جزءًا من شخصية **ابن باديس** الفكرية والشخصية إذ جعله بنفسه يطلعنا عن مشايخه، ويطلعنا عن اعتقاده الصادق وإيمانه الشديد بوطنه، وبتعلقه النفسي الوجداني بتراب الوطن معتمدا الروائي ضمير المتكلم مُسنِداً الأفعال إليه(حملتُ، نذرتُ، لتزوجتُ) وهذا ليستطيع المتلقي النفاذ للشخصية وإدراك عمقها أحلامها وهواجسها، كما كان للدعابة والطرافة نصيب في الفعل الكلامي التقريري وذلك في قوله(لولا أني حملت الجزائر في قلبي... لتزوجت سطيفية).وهنا الفعل الكلامي التقريري سُبق بأداة شرط غير جازمة (لولا) حرف امتناع لوجود، أي امتناع الجواب لوجود غيره، امتناع الجواب المقترن باللام (لتزوجت سطيفية) لوجود السَّبب، فالسبب حال لوقوع الجواب. وهنا أيضا أسلوب تأكيدي إقناعي باعتماد الشرط" فيرد التعليل السببي في التراكيب الشرطية الظاهرة وذلك أدعى لتوليد حجج جديدة ذات صلة بالحجة الأولى"[1]. فالعلاقة المنطقية في الفعل الكلامي التقريري تربط بين السبب والنتيجة وذلك عن طريق الربط بين الحجة الأولى (لولا حملت الجزائر في قلبي، ونذرتُ) بالحجة الثانية (لتزوجتُ سطيفية) والتأكيد على السبب الذي حال عن ملذات الدنيا، وكل هذا من أجل إعادة فهم وتقييم الشخصية التاريخية وإعادة قراءتها، التي خدمت القضية بإتقان متناهٍ ودعت للإصلاح، وبذلت قصارى جهدها لتحقيقه، فالفعل الكلامي هنا صريح يتماشى والشخصية الأصلية الرمزية التي عزفت عن ملذات الحياة فداء للوطن.

ويواصل المشهد الحواري بالإقرار عن حقائق وبنقلها. يقول **عبد الحميد ابن باديس** :"هذه المنطقة أنجبت رجالا كباراً، من الحسين الورتيلاني صاحب الرحلة، إلى سعد بن قطوش، والفضيل الورتيلاني، والشاعر مبارك جلواح

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص:48.

إلى شيخنا وعالمنا الجليل **محمد السَّيد**"[1]. تتجه الأفعال الكلامية إلى اتجاه المطابقة أي أن يكون القول مطابقا للواقع، ويظهر أن الفعل التقريري الذي أُسنِد إلى شخصية **عبد الحميد ابن باديس** الأول والثاني طابقت أقواله ما كان جاريا آنذاك في ضوء حالته النفسية، فأنتج فعلا كلاميا يؤكد فيه ويقر فضل رجالات سطيف والجزائر عموما، مفتخرا بهم،فالمعنى الأولى الصريح أنَّ مدينة سطيف ولادة للرجال الأحرار والسَّباقين للإصلاح وللثورات، واستلزم أنَّ سطيف فجرت الثورة التحريرية من جنباتها.

2-2-2- التعبيريات: Expressive

تُسمى هذه الأفعال الإفصاحيات والسلوكيات و"غرضها الإنجازي التعبير عن الموقف النفسي تعبيرًا يتوافر فيه الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، لأن المتكلم لا يُحاول أن يطابق الكلمات بالعالم، ولا أن يطابق العالم بالكلمات، ويدخل فيها الشكر والتهنئة والاعتذار والمواساة"[2]. إذن ورود هذه الأفعال لتعبر عن الحالة النفسية والانفعالية للشخصيات اتجاه وقائع خاصة جرت لهم، فهذا الفعل يُركز على الجانب العاطفي الانفعالي للشخصيات. ومن الشخصيات الروائية التي أبانت عن عمق نفسيتها وتجاوبها مع الواقع رغم قساوته عليها:

أبرزت الأفعال الكلامية شخصية **سي رابح** التي حاول الروائي فيها أن يمزج بين الشخصية الثورية والدعوة للتمسك بالنضال والقضية، وبين شخصية تهتم لأهل عشيرتها ولمُصابهم، وبين شخصية عاشقة تروعها أحلام الشباب وتقدم لهم ما تيسر لمساعدتهم. يقول بحسرة" **لقد بحثت عنها في كل مكان دون جدوى، ومازلت أبحث ولن أنساها حتى ألقى الله، ولقد ناصبت مذ ذاك أهلي العداء فلم أعد إليهم من يومها، وما سمعت بقصة عاشقين إلا هرعتُ للجمع بينهما وحماية حبها**"[3]. لقد ساهمت هذه الأفعال الكلامية التي أسندت لشخصية سي رابح(بحثتُ، ومازلتُ أبحثُ عنها، لن أنساها حتى ألقاها) لبلورة شعور الشخصية العاشق لحليمة المتسولة وحسرتها وخذلانها مما أصابهُ

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:484.
[2]- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية، ص:107.
[3]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:233.

بفقدها، ونجدُ أنَّها شخصية مُرهفة لِينة الإحساس وديعة .فالشاهد الحواري يغوص في عمق ذاته ويتوحد مع مأساتها، ويبوح الفعل الكلامي بحسرته وفقده لها، كما أن شعوره بالسلب وسلوكه وردة فعله اتجاه أهله تعكس مرارة ما جعلوه يتجرع بقوله:**(ولقد ناصبت مذ ذاك أصلي العداء فلم أعد لهم من يومها)**،فالقارئ يلمس من هذا الفعل الكلامي المنجز التعبيري ردة فعل وسلوك إنساني متوقع، وصدق الشخصية العاطفي الذي ظهر في تضامنها مع مختلف الشخصيات المطاردة والحاملة لهموم الأهل والعروش، والغرض الإنجازي لهذا الفعل الكلامي هو الإفصاح والبوح، والتعبير عن الحالة النفسية بصيغة مباشرة والتي لها قوة تأثيرية تحمل المتلقي على التجاوب معها والتضامن مع قضيتها وتفهم طباعها.

كما نجد في الخطاب الروائي الشخصية التاريخية **فرحات عباس** والتي ظهرت في البوح الثالث من الرواية، وكانت الأفعال الكلامية الواصفة لشخصية فرحات عباس تُظهر رؤية الروائي عز الدين جلاوجي الذي لم يستطع التنصل من التاريخ وكان في رسمها مرتكزاً على ذاكرته التاريخية، الفردية والذاكرة الجماعية وقصده من توصيفها تعليمي يبغي إيصال معلومات للمتلقي، إذ كانت شخصية فرحات تمتزج في بنائها الأيديولوجي والوطني،فكانت الأفعال تُبين انفتاحها المطلق على الثقافة الفرنسية. يذكر السارد:**"سحب عباس فرحات حسان بلخيرد بعيداً وقال: -أولا أهنئك على هذا النجاح فعلا نحن بحاجة إلى المسرح الجزائري، وأطلب منك أن ترافقني في سفري إلى قسنطينة لي لقاء هناك مع نخبة مثقفة"**[1] إنّ هذه العبارة تحوي أفعالا كلامية يتحقق فيها فعل الكلام(**أُهنئك**) الذي له معنى تعبيري، ومعناه أن الشخصية تحقق معنى التهنئة لأنهم في سياق إطلاق مسرح جزائري، وهو سلوك ورد فعلي طبيعي يُعبر عن موقفه من العمل المنجز -المسرح الجزائري- من طرف الشخصيات الروائية لإثبات الذات الجزائرية وترسيخها، كما لم يُفوت الروائي في هذا الشاهد أن يدرجَ فعلا كلاميا يحمل قوة إنجازية معناها الطلب والدعوة لفعل شيء.(**أطلب منك أن ترافقني في سفري إلى قسنطينة لي لقاء هناك مع نخبة مثقفة**) فشخصية فرحات عباس يُخبر

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:514.

شخصية حسان بلخيرد (السامع) بخبر ويلقيه إليه، في حين يتحقق فعل الدعوة والطلب، وهو بذلك يؤثّر على المخاطب منتظراً ردَّ فعل منه. وفي مشهد تعبيري آخر يقول:"**تعبتُ من كثرة السفروقلة النوم، لقد التقيتُ مصالي والإبراهيمي، و أنا مفوضٌ الآن للحديث باسم الشعب الجزائري**"[1]. لقد أبرز الفعل الإنجازي الحالة النفسية والفكرية التي مرت بها شخصية فرحات عباس، فالفعل (تعبتُ من كثرة السفر وقلة النوم) الذي يستلزم معنى آخر غير مباشر، كثرة التنظيمات والحلقات السياسية التي شهدها وعقدها، والتي جعلتهُ مفوضاً عن جماعته. فإذن نجد شخصية فرحات عباس من خلال الأفعال الكلامية التي ساهمت في بنائها، تعبر عن أفكار وتوجهات أيديولوجية وهذا بفضل ما أعطاه الروائي من أبعاد ورؤى مستوحاة من صميم التاريخ، وهذا لغاية تعليمية وإيحائية بإيضاح جوانب في شخصية فرحات عباس وإنصافها تاريخيا.

2-2-3-الالتزاميات: Directives

وتُسمى هذه الأفعال بالوعديات. "وغرضها الإنجازي التزام المتكلم بفعل شيء في المتلقي، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات(Word To Worlds) ويشترط لها الإخلاص في القصد (Intention)ويدخل فيها الوعد والوصية"[2]. إذن الالتزاميات تتضافر في تحقيقها أفعال يستطيع المتكلم فيها التعبير عن قصده ومثل هذه الأفعال الوعد والوعيد والوصية على أن الشرط الأساسي في تحققها الإخلاص، ونلمس هذا في شخصية العربي ومن جانبها الاجتماعي في شاهد سردي حواري أين ألزم نفسه بأخذ ثأر أبيه واعدا بذلك، يذكر السارد"**عباس الذي كان وراء كل مصائب الناس، آخرها سعيه الحثيث لزجّ بأبناء المنطقة في الحرب ضد الألمان إرضاءً لفرنسا، وحدي أنا من سينتقم منه، يشرب من دمه، يطهر الأرض من ظُلمه ورجسه (...)أحس العربي وهو يتحسس رقبته أنَّ الدماء التي يتحملها كثيرة(...)يجب أن يموت ألف مرة ومرة**"[3]. إنَّ الشاهد السردي يحوي أفعالا كلامية تبرز العزلة والوحدة التي غشيت

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص:532.

[2]- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، ص:107.

[3]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:42،43.

شخصية العربي، بعد مقتل والده بلخير وامتزاجها بالعالم الروحي الذي حزّ في نفسه الانتقام، فالعربي عبر الأفعال الإقرارية يخبرنا عن سلوكات القايد الآثمة، في حق أهله وعشيرته. والتي حملته على الالتزام بفعل إنجازي يحمل معنى الانتقام والتوعد لتحقيقه (وحدي أنا من سينتقم منه، سيشرب من دمه...) فلقد أسند الروائي الأفعال المضارعة إلى ضمير المتكلم أنا والمتمثل في **شخصية العربي** الذي التزم باسترداد ثأر والده، ولقد سبقت الأفعال المضارعة حروف التسويف أو التنفيس(السين) وإنَّه بهذا الحرف يخصص أمر الانتقام لنفسه دون غيره، فتمثل الفعلان(سينتقم، سيشرب من دمه) فعلان إلزاميان يؤديان قوة إنجازية حرفية ظاهرة من لفظهما اللغوي، منفتحة على المستقبل الرحب، واستلزمتا معنى مجاور تمثل في إلزام المتكلم نفسه دون غيره للانتقام والثأر حاملا الوعيد لشخصية **القايد عباس**.

تمثل شخصية القايد عباس الشخصية الاجتماعية المتسلّطة المستلبة المُمثلة لروح العصر آنذاك، يمثل السلطة القيادية والعمالة الفرنسية، إذْ تلوَّنت الأفعال الكلامية الواصفة له ولأفعاله داخل الحكاية بالظلم والاستبداد والسَّيطرة، ولعلَّ الشاهد الحواري يثبت هذا. يقول السَّارد:**"ويذكر العربي الموستاش، آه أيُّها الفأر الحقير، أما أنت فلا مفرَّ لك مني، سأجرعك الموت الزؤام، ليس في الوجود من يتحدى عباس، القايد عباس"**[1]. يحوي الشاهد الحواري أفعالا كلامية تحمل دلالات مختلفة، ومن بينها الصراع الاجتماعي الذي يريد الروائي أن يعبر عنه، ويمرر رؤيته من الواقع الذي انتفض من ظلمهم واتحادهم مع فرنسا. ويتشكل الفعل الكلامي(أما أنت فلا مفر لك مني) من جملة شرط (أما أنت) مسبوقة بأداة شرط غير جازمة"حرف بسيط، فيه معنى الشرط، مُؤول (بمهما يكن من شيء) لأنَّهُ قائم مقام أداة الشرط وفعل الشرط، ولذلك يُجاب بالفاء، وتفيد أما التوكيد والتفصيل"[2]. وجاءت أما لتؤكِّد على الجواب الذي اقترن بالفاء(فلا مفرَ لك مني) الذي يحمل دلالة حرفية تتجلَّى في المعنى الظاهر في الكلام، بينما تتجلى قوتها

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:267.

[2]- ينظر الحسن بن قاسم المُرادي، الجَنى الدَّاني في حروف المعاني،تح: فخر الدين قباوه، محمد نديم فضيل، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط:1، 1992، ص:522،523.

المستلزمة في التهديد والوعيد **للعربي الموستاش**، والتي تزداد حدّتها بقوله (سأجرعك الموت الزؤام) هذا الفعل الكلامي المسبوق بسين التسويف الذي يحمل القوة الإنجازية نفسها لينقلها إلى المستقبل الرَّحب. وهنا المخاطب القايد عباس يلزمُ نفسهُ ويتعهد بإنجاز وتحقيق أمر الوعيد تجاه العربي الموستاش، والذي ربطهُ بالمستقبل. وإنَّ جل الأفعال الكلامية الواصفة لهذه الشخصية تُظهرها بمظهر الاستلاب والقسوة والوعيد، والغرض الإنجازي الذي يظهر خلالها هو رغبة الكاتب في التفاعل مع هذه الشخصية المُعادية بالسِّلب وتحريك مشاعر الكره لها.

2-2-4- الإعلانيات: Declaratives

وتسمى أيضا بالإيقاعيات، وهي "أفعال تعتمد على الآداء الناجح، الذي يتميز بمطابقة محتواها القضوي الواقعي، أو التقريب بين مضمون القضية المعبر بها، وبين الواقع المعبر عنه، لضمان إنجاز أفضل، لأحداث تقم في الوضع القائم، وهذا النوع يقتضي عرفا غير لغوي واتجاه المطابقة فيه تبادلي من العالم إلى الكلمات، ومن الكلمات إلى العالم، ولا تحتاج إلى شرط الإخلاص، وتُمثلها الأفعال التي تحدث تعبيرات فورية في نمط الأحداث العرفية التي تعتمد غالبا على طقوس اجتماعية غير لغوية"[1]. إذن هذه الأفعال اللغوية ترتبط أساسا بالمحتوى غير اللغوي، ويدخل فيها: أفعال غير لغوية مثل الوصية المحكمة، البيان، ألفاظ العقود، الزواج، وغير ذلك واتجاه المطابقة يكون فيها من العالم إلى الكلمات ومن الكلمات إلى العالم، ولقد كانت الشخصيات الروائية تعتمد هذه الأفعال والتي أوجدها الروائي لغايات دلالية، ولكي يقوي الجانب اللغوي الإيحائي للرواية ويزيد من واقعيتها، ولأنَّ الرواية تاريخية كثيراً ما استوقفتنا شواهد تاريخية وبيانات وكذلك أقوال المؤسسات العليا، وها هو **يوسف الرُّوج** يقدم لنا قول أحد القساوسة المحتلين، لقد صرّح الكاردينال لافيجري(Cardinal Lavigerie) في هذا الاحتفال قائلا:**"إنَّ عهد الهلال في الجزائر قد ولّى وإلى الأبد"**[2]. يقدم هذا الفعل الكلامي الإعلاني الصادر من أحد أعيان الحكومة الفرنسية في احتفالاتها قوة إنجازية مستلزمة غنية بالدلالات والإيحاءات التاريخية، والتي تحمل في حرفيتها رموزا، فالهلال يرتبط بالإسلام وشعار لمسلمين (بعلاقة مجازية

[1]- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، ص:107.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:364.

علاقة الجزء بالكل) استطاع الروائي أن يومئ فيها ويشير إلى قضية التنصير ونشر المسيحية عبر دعم الاستيطان والترويج له، وتوجيه المعمرين ومساعدتهم لتحقيق هذه الغاية الخسيسة لدحض الإسلام والمساجد والمدارس العربية وخنق العروبة فيها. وإنَّ هذا الفعل الإعلاني في الرواية هو شاهد من مؤسسة عليا غرضها الإنجازي التغيير عن طريق الإعلان أو التصريح بأنَّهُ تغيَّر فعلاً.

ولقد استأنسَ الروائي باجتماع الشخصيات التاريخية في مؤتمر وإعلانها التاريخي والذي دعا **"في وثيقة رفعوها إلى باريس أعطى لها اسم"الميثاق المطلبي للشعب الجزائري" إلى إعطاء الحقوق السياسية للمسلم الجزائري تامة غير منقوصة، ومنح الجنسية الفرنسية لبعض المثقفين الجزائريين دون التخلي عن أحوالهم الدينية، وحرية القول، والكتابة والتعليم العربي"**[1]. ويؤدي هذا الفعل الكلامي الإعلاني الصادر عن أعضاء مختلفين للمقاومة الجزائرية التاريخيين قوة إنجازية تحمل التماسات تاريخية وانشغالات رفعها وفدٌ جزائري للحكومة الفرنسية،لإعادة النظر وتغيير نمطية الحياة للمسلم الجزائري، ولا يوجد في هذه الأفعال شرط الإخلاص قد تصدق وقد تكذب بحسب الواقع، ولكنَّها تسعى للتغير للواقع القائم، حاملةً قوتها الإنجازية عن طريق فعلها المباشر الصريح. محاولاً الروائي فيها استقطاب نظرنا ووعينا لأهم المحطات التاريخية بطريقة سردية تخييلية ليشركنا في الأحداث وكأنها تُعاد، وإدراكها بنهجٍ تخييلي تعليمي أكثر، ومراقبة عن كثب مواقف الشخصيات التاريخية وتعاملاتها وإعادة إعطاء الحياة لها لتعبرَ عن قضيتها بلسانها دون اللجوء إلى الحكي غير المباشر المنقول.

2-2-5- التوجيهيات: Directives

هي أفعال قولية تنهض على بناء قولي إنجازي تأثيري غرضه الأساس محاولة المتكلم جعل المخاطب ينقاد للفعل الموجه له ويقوم به، فالأفعال التوجيهية غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل معين، ويبدأ الأمر بالتلميح به، وينتهي بالتصريح على وجه الإلزام والاستعلاء، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات(World to

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:455.

Words) ويشترط الإخلاص في الرغبة الخالصة(النية) في التأثير في المتلقي وإقناعه ويدخل فيها النّصح والإرشاد والإصلاح والاستعطاف والتشجيع"[1]. إنَّ هذه الأفعال غايتها الإنجازية هي جعل المخاطب يتصرف وفق المحتوى التوجيهي الصادر عن المتكلم ويقوم بالفعل المنجر عنه، وتتوفر هذه الأفعال على الطلبيات التوجيهات والأمريات وبهذا تتنوع وظائفها فنجد الأمر،الاستفهام، النُّصح، النهي، التحذير، التعجب، التمني وغيرها، وإنَّ هذا التنوع الدلالي للتوجيهيات زخرت به رواية حوبة وتميّزت، وهناك شواهد كثيرة بمختلف الدلالات التوجيهية المباشرة وغير المباشرة ومنها:

2-2-5-1- الأمــر:

يعدُّ الأمر من الأفعال الكلامية التوجيهية التي فيها طلب القيام بالفعل. "الأمر هو طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى حقيقةً أو ادعاءً، أي سواء أكان الطالب أعلى في واقع الأمر، أم مُدعياً لذلك"[2]. والفعل الكلامي الأمر من الأفعال الطلبية التي تحصل عند النطق بها، ولا تكون قد جرت بعد."وإنَّ صيغة الأمر ذات الصور المتعددة مثل: اِفعل ولتفعل، يستخدم حقيقة في الدلالة على الوجوب(...) وبالإضافة إلى الألفاظ التي تدلُّ على الأمر فإنَّ هناك ألفاظاً أخرى يعبرُ بها المتكلم عن الأمر قبل ألفاظ الوجوب وما في حكمها مثل أوجبت، يجب، فرضت، ينبغي..."[3]. إن الأمر صيَّغهُ متعددة الصُّور في الكلام، وتداولية لأنَّها تحقق بدلالتها علاقة تخاطبية إنجازية بين المتكلم (الآمر) والسامع (المأمور)، وعلى إثر هذا فإنَّ رواية حوبة استجمعت في تفاعل شخصياتها وتداوليتها مختلف الصيغ الأمرية والصيغ التوجيهية، ومن ذلك قول **شخصية سي الهادي** في حوار مع جماعته:**"رفع سي الهادي يديه وراح يدعو: اللَّهم اُنصر هتلر، واهزم فرنسا شرّ هزيمة"**[4]. إنَّ الفعل الكلامي الأمر في هذا الشاهد خرج عن معناه الحرفي المباشر إلى معنى بلاغي آخر يستفاد من سياق الكلام؛ وهو الدعاء، ويتضح الأمر من خلال صيغة الأمر (افعل) (انصر، اهزم)، وفي قوته الإنجازية اتجه للدعاء، الدُّعاء لهزيمة فرنسا في حربها مع الألمان، وهذا لما اقترن الفعلان الأمريان بلفظ (اللَّهم) الذي التمس فيه الدعاء

[1]- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية، ص:106.

[2]- علي حجي محمود الصرّاف، في البراجماتية، ص:111.

[3]- المرجع السابق، ص:112،111.

[4]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:499.

والاستغاثة من الله، فتظهر **شخصية سي عبد الهادي** وجماعته خلال الفعل التوجيهي الأمري من الشخصيات الرافضة للوجود الفرنسي، مُستعملاً أسلوب الحوار لما فيه من أهمية في عملية التواصل والتبليغ، شاداً انتباه متلقيه لمتابعته، والتجاوب معه فيما يخصُّ قضية الوطن.

ومن صيغ الأمر المذكورة في الرواية ما ورد على لسان **شخصية سي رابح:"يجبُ أن نستمر في لقاءاتنا الدورية لنتابع الأوضاع بدقة ونتخذ القرارات الصائبة في الوقت المناسب، دون التعجل والدخول في مغامرات غير محسوبة"**[1]. إنّ الشاهد الحواري لا يحوي فعلَ أمرٍ صريحٍ بصيغة افعل، وإنَّما يحوي لفظا من ألفاظ الوجوب التي تُعبر عن الأمر (يجبُ)، فاستخدم فعل مضارع الذي يدل على الوجوب، ولكن كان قصدُ **شخصية سي رابح** منه الأمر بصيغة الوجوب مُخاطبة ذهن المتلقي وتوجيهه، فاعتمد لفظ الوجوب ليؤكدَ للمتلقي الأمر وضرورة الالتزام به، موجهاً صحبَه ومُنبِهم بضرورة تكثيف اللقاءات والحرص من الدخول في مغامرات غير محمودة.

2-2-5-2-الاستـــــفهام:

إنَّ الاستفهام يعدُّ من الأفعال التوجيهية الطلبية، ويعد آلية لغوية تداولية يسعى من خلالها السائل إلى الإجابة من المخاطَب ."وهو طلب ما ليس عندك أو طلب الفهم، أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً بواسطة أداة من أدوات الاستفهام. مثل: الهمزة ومن وأين وكيف وغيرها من الأدوات وتنقسم هذه الأدوات من حيث ما يطلب بها إلى ما يُطلب به تصور أو تصديق أمر ما، وما يطلب به تصديق أمر ما فقط، وما يُطلب به تصور أمر ما فقط"[2]. فالاستفهام أساسا هو علاقة تخاطبية قائمة بين اثنين، بين المتكلم يبني استفهامه بإحدى الصيغ السابقة وبين مخاطب ينتظر منه الجواب أو التعليق، ورواية حوبة اشتغلت كثيرا على الأفعال التوجيهية بمختلف دلالاتها ومنها الاستفهام، فهذا استفهام صادرٌ من شخصية **صالح القاوري** المتخيلة المتأثرة بثقافة الآخر الداعية للإدماج:"**كنت أقرأ ما كتبه فيكتورهيجو، هل يعرفان فيكتورهيجو ؟ وهل للعرب شعراء بحجم هذا الرجل؟ ربما ليس للعرب شعراء، قرأت أن لهم عنترة بن شداد هذا**

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:521.

[2]- علي حجي محمود الصراف، في البراجماتية، ص:113.

الفارس الأسود"[1]. إنَّ هذا الفعل الكلامي يحوي فعلاً استفهاميا واضحا بأداة استفهام(هل) فشخصية صالح القاوري طلب الاستفهام عن أمر ربما هو لا علم له به، لأنَّه يأتي في آخر الكلام ليجيب عن سؤاله المتردد بقوله(قرأت أن لهم عنترة بن شداد هذا الفارس الأسود) فيظهر أن الاستفهام في هذه الجملة فعل إنجازي مباشر، لأن المتكلم يطلب الفهم من المخاطب عن شيء يجهله ولا يعرف الجواب عنه، ولكن السياق لا يدعو لذلك ويُظهر دلالة ومعنى خفي من الفعل الاستفهامي، هو السخرية والتهكم من العرب وما تعلَّق بهم لأن كلمة (ربما) المحتملة اللاحقة وإجابته أكدت انزياح استفهامه إلى دلالة أخرى، ومن هذا الفعل الكلامي وأفعال أخرى صادرة عن **شخصية صالح القاوري** تُظهر تأثرها بالغرب وموقفها وفكرها الإدماجي المحض وصراعها الفكري مع الشخصيات الثورية.

كذلك اعتمد **الروائي عز الدين جلاوجي** فعلاً استفهاميا آخر مختلفاً في غرضه الإنجازي، على لسان **شخصية أمقران** الثورية مبرزاً موقفها من المطالب فيقول:"**تمخض الجبل فولد فأراً، جمعوا كلَّ هذا الحشد من أجل هذه المطالب(...) يجب أن نفشل كل هذه الخزعبلات، هل يأتي الخير من النواب كلاب فرنسا، بن وي وي؟ومن فرنسا المستعمرة؟**"[2]. لا يراد بهذا الفعل الكلامي الاستفهامي طلب معرفة شيء مجهول خفي عن المتكلم ولا يُدركهُ تصورهُ، بل كان الغرض الإنجازي غير مباشر لأن **شخصية أمقران** لا تحتاج إلى الإجابة فهي تملكُ تصوُراً عنهم مُسبقاً وتُدرِكُ ذلك،بل كان الغرض من هذا الاستفهام التعجب من النواب ومطالبهم واستنكار ما يقومون به، واجتماعاتهم التي تعقد دون فائدة ترجى. ومن خلال هذا القول الكلامي تظهر هذه الشخصية أمقران ثورية منتفضة وموقفها الذي لا يؤمن بالتحاور مع فرنسا ولا المهادنة.

كذلك ظهرت أفعال كلامية استفهامية ذات أغراض إنجازية مباشرة، الغرض من وضعها الاستفهام من أجل معرفة الجواب. يذكر السارد منها حواراً على لسان الشخصيات الثورية: "**يقول يوسف الرُّوج: ألم تقرأ تصريح الجنرال كاترو؟ أسرع حسان بلخيرد يُجيب وهو يرخي ذراعه : لا ماذا قال اللَّعين؟ واصل يوسف قائلا: لابدَّ من القضاء على**

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:404.

[2]- المرجع السابق، ص:464.

هذه العاصفة"[1]. لقد جاء فعل الاستفهام في هذا الفعل الكلامي مباشراً يتطلب إجابة عنه، ففعل الاستفهام المسبوق بهمزة الاستفهام(ألم تقرأ تصريح الجنرال كاترو؟) جاءت إجابته على قدر عدم اطلاعه على الخبر، نافيا ذلك باعتماد أداة الجواب (لا) متسائلا عن الأمر المبهم عنه باعتماد أداة الاستفهام ماذا؟ ومعنى هذا أنَّ الاستفهام كان الغرض منه طلب الفهم الذي يتوقف على حال المخاطب، وبالتالي أصدرت شخصيات الرواية فعلاً كلامياً توجيهياً يستلزم من جهة أخرى التوجه الأيديولوجي لهذه الشخصيات الرافض لوجود الآخر، مُستطلعين أخباره الرافضة لهذا التغيير الذي تعرفهُ الجزائر، فهو يعبر عن أفعال إنجازية غير مباشرة يدلُ عليها السياق الذي ترد فيه، والذي أماط اللثام عن الوعي الجماعي من وجود المحتل.

2-2-5-3- النـــــداء:

إنَّ فعل النداء من الأفعال الكلامية الطلبية التوجيهية التي يسعى فيها المنادي لفت انتباه المنادى والإصغاء إليه، فهو "طلب المنادى، والغرض من النداء يكمن في طلب إصغاء المنادي للمُنادى، ويعدُّ من قبيل الإنشاء بصيغة الخبر، وللنداء حروف ثمانية هي: الهمزة وأي مقصورتين وممدودتين، ويا، وأيّا، وهيا، ووا، وقد يأتي أسلوب النداء ناقصا، إذ يمكن أن تحذف أداة النداء أو يحذف المنادى مع بقاء حرف النداء أو أداته"[2]. يبدو أنَّ النداء هو طلب المتكلم من السامع الإصغاء والانتباه والإقبال عليه، وهذا باستخدام أحرف النداء، وقد يكون غرض النداء مباشراً وهذا حينما يكون الطلب الإقبال، أما إن انزاح إلى معنى آخر فيكون غرضه غير مباشر ويُدرك من سياق الكلام، ومما جاء في رواية حوبة الفعل الكلامي الصادر عن الشخصية العجائبية **البهلي لخضر**:"**يا ناس يا ناس، هو سيد الناس يرفع الباس، ويعلي الرَّاس، اسمه بالعين يبدا والنفوس له تهدا يرفع راس بلادنا ويعز نفوس ولادنا**"[3]. فالمخاطب (المنادي) اعتمد فعل النداء (يا ناس) مُكرَراً مسبوقاً بأداة النداء (يا) المعتمدة للقريب وللبعيد، والمنادى المخصوص

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص:533.

[2]- علي حجّي محمود الصرّاف، في البراجماتية، ص:116.

[3]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:38.

بالنداء (النّاس) ولم يحدد بالنداء شخصا معينا بذاته، واستخدم جواب النداء **(هو سيد الناس يرفع الباس، ويعلي الرَّاس، اسمه بالعين يبدا...)** للدلالة والإحالة إلى شخص معين وتوجيه النّاس إليه، والإقبال عليه، فكان جواب النداء كأحجية ولغز راح يردده **البُهلى لخضر**(المنادي) شاغلا به أذهان أهل القريتين بالتخمين في صاحبه المقصود، إنَّهُ يتوجه برسالته إليهم ويحرص على أن لا يفوتهم مضمونها، وهو يلحُّ بتكراره كلَّما مضى بينهم ليسترعي انتباههم إلى القادم وما ينتظرهم، ولقد أبانت الأفعال الكلامية الصادرة عن شخصية البهلي لخضر غرابة هذه الشخصية، وغرابة كلامها، خالقة فضولاً لدى أهل القريتين والمتلقي وتشويقا في معرفة إجابتها. ومُحققةً شد الانتباه وتقريب المخاطب بهذا الفعل للمتكلم. وبهذا يكون الروائي قد حقق الإدهاش والحيرة من وراء هذه الأفعال وبالتالي تتعدد القراءات والتأويلات لها.

وتُظهر **شخصية سي رابح** مقاومتها واستمرارها في الدفاع عن الوطن من خلال فعل النداء في قوله:**"يا إخوان فرنسا تضغط على الجميع من أجل تأييدها في حربها ضد الألمان وستعصف بكل من يرفض"**[1] . تضمن الشاهد فعلا كلاميا توجيهيا جاء بصيغة النداء، مسبوقا بأداة النداء (يا إخوان) وصيغة النداء لها تأثير قوي يجعل المتلقي يهتم ويقبل ويصغي، وقد أدى فعل النداء قوة إنجازية مباشرة هي لفت انتباه المنادى (الإخوان) لجواب يهم وجودهم وانتفاضتهم، وأدى قوة إنجازية ومعنى مُجاور فيه التحذير والتنبيه لغدر فرنسا ومكرها، فمدلول الفعل يوحي بمراجعة ذلك فهو رسالة تحذيرية تفوق المعنى المباشر، وتدعوهم للاحتياط من مغبة غدرها، وقد وجه خطابهُ إلى ما أرادَ أن يحقِقَهُ باستعمال فعل النداء الذي خرج لأغراض أخرى مجاورة للسيطرة على ذهن المتلقي.

لقد وظف **الروائي عز الدين جلاوجي** في روايته مختلف الأفعال الخطابية بشكليها(مباشرة وغير مباشرة) وبمختلف أنماطها (الإخبارية، التوجيهية، التعبيرية، الالتزامية، الإعلانية) خدمةً للرواية بمختلف بنياتها، ولقد رسمت هذه الأفعال وساعدت في بناء الشخصيات ومشاهدها الحوارية الخارجية (اللقاءات، الحوارات) والداخلية، بذكر المشاعر والهواجس والأحلام، وتوظيفه للأفعال المختلفة لإبراز مواقف الشخصيات وأفكارها واختلافاتها، واعتمد

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:486.

الأفعال غير المباشرة لإبراز أهم الرؤى والمواقف الخصوصية ومحاكاة الواقع، وهندسة الفضاء النصي والزمني. كذلك كانت الأفعال الإخبارية الأكثر شيوعاً في الرواية التي سمحت بسرد التاريخ والتعالق معه ومع مختلف القصص والشخصيات والنهل من معينهِ، وهذا بدايةً بالعنوان الذي يعكسُ ذلك. وهكذا يمكن القول أنَّ الأفعال الكلامية في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** تضطلع بأدوار تداولية بالغة الأهمية، انطلاقاً من تشكيلها لبنيات النص التي شكلت فضاءً تواصليا وجسراً لغوياً رابطاً بين السارد والمتلقي، والتي ساعدت الأديب على التعبير الحر والتواصل والتأثير في المتلقي بتمرير رؤاه وأفكاره.

الفصل الثالث:

تداولية الاستلزام

الحواري والإشاريات في رواية حوبة

ورحلة البحث عن المهدي المنتظر

الفصل الثالث: تداولية الاستلزام الحواري والإشاريات في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر

أولاً: تداولية الاستلزام الحواري في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر:

2-1- قاعدة الكم في رواية حوبة: **La maxime de quantité**

2-2-قاعدة الكيف في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر:**La maxime de qualité**

2-3- قاعدة الملاءمة في رواية حوبة ورحلة الحث عن المهدي المنتظر**La maxime de relation**

2-4- قاعدة الطريقة في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر: **La maxime de manière**

ثانيا: تداولية الإشاريات في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر:

2-1- الإشاريات الشخصية: **La deixis personnelle**

2-2- الإشاريات الزمانية: **La deixis temporelle**

2-3- الإشاريات المكانية: **La deixis spatiale**

2-4- الإشاريات الخطابية: **La deixis discursive**

2-5- الإشاريات الاجتماعية: **La deixis sociale**

أولا: تداولية الاستلزام الحواري في رو اية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر:

يعدُّ الاسلتزام الحواري (Conversational Implicature) من المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها التداوليات، فهو يعدُّ من أبرز الظواهر والتجليات التي تميز اللغات الطبيعية على اختلافها، وآلية مهمة في إنتاج الخطاب يرتكز عليه المتكلم في عمليته التلفظية، ولا يلجأ المتكلم إلى هذه الآلية في خطابه إلا حسب الضرورة التواصلية التي تلح عليه ذلك والسِّياق الذي حشَرَ نفسه فيه، وهذا لأنه ليس كل الخطابات تستلزم هذه الآلية، لأنّها تقوم على معنيين معنى صريح ومعنى ضمني الذي يريد المتكلم إيصاله، وليس كل الخطابات تستلزم هذين المعنيين.

وإنَّ هذا المبدأ التداولي يعود نشأتُه إلى الفيلسوف بول غرايس (H.P.Grice) خلال المحاضرات التي دُعي إلى إلقائها في جامعة هارفارد1967، فقدم فيها بإنجاز تصوره لهذا الجانب من الدرس والأسس المنهجية التي يقوم عليها. "ولقد كانت نقطة البدء عند جرايس هي أنَّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همِّه إيضاح الاختلاف بين ما يقال ? What is said وما يقصد ? What is meant، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيَّمها اللفظية FACE VALUES وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتماداً على أن السَّامع قادر على أن يصلَ إلى مُراد المتكلم بما يُتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، فأراد أن يقيم معبراً بين ما يحمله القول من معنى صريح وما يحمله من معنى متضمن. فنشأت عنده فكرة الاستلزام Implicature"[1]. يبدو أن مفهوم قضية الاستلزام الحواري تتشكل انطلاقا من اللفظ خلال الحوار والذي يقتضي معنيين يتضمنهما معنى صريح يظهر من ظاهر اللفظ، ومعنى ضمني غير مباشر قد يسوقه المتكلم لأغراض كلامية، كما يُعير أهمية كبيرة لقصدية المتكلم. ويعرفه محمود عكاشة:"بأن الاستلزام الحواري، المعنى المستفاد من السِّياق، ويعدُّ من أهم المبادئ البراجماتية اللسانية (التداولية)، ويُعنى أنَّ التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام(مبدأ التعاون) وبمسلمات حوارية، وسلامة القول وقبوله من قائله وملاءمته مستوى الحوار، فبعض جمل

[1]- محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،ط:1، 2002، ص:33.

اللغات الطبيعية في بعض المقامات تدل على معنى غير معنى تركيبها اللفظي"[1]. يظهر أنَّ الاستلزام الحواري في سوقهِ للألفاظ والمعاني يرتكز على مسلمات ومبادئ في الحوار ومنها مبدأ التعاون، سلامة القول ومُلاءمته.

ومن هنا نجد أن الاستلزام الحواري أحد المبادئ الرئيسة للتداولية، وأنّ هذا المبدأ التداولي يقوم على شروط وأساسيات حوارية أهمها مبدأ التعاون (المشاركة) (Cooperative Principal)"والذي يقتضي أن يتعاون المتكلمون في تسهيل عملية التخاطب لتجنب فهم غير المراد من قصد كلام المتكلم"[2]. فإنَّ هذا المبدأ أساسي في تحقيق العملية التداولية ودونه قد تفشل العملية التخاطبية، إذْ يفترض تعاون مجموعة من المتكلمين ليتحقق المُراد من القصد. فهو"حدس أساسي وعام في كل فهم للأغراض المعينة، إذ لا يتعلق الأمر بالمعايير فقط، بل بما هو أولي ومُكون، والذي يمكن إدراك القطائع من خلاله"[3]. يظهر أنَّ مبدأ التعاون والمشاركة يسمح للمتخاطبين بتسهيل التفاهم بينهم والتواصل، وتحقيق التأثير والفائدة اللازمة من الحوار، وأنَّه يُسهمُ في قول كل متخاطب معلومات تتناسب والمقام والموضوع، وإنَّ هذا المبدأ التداولي محكوم بمسلمات حوارية. فيرى **غرايسGrice** أنَّهُ "يتفرع عن هذا المبدأ العام قواعد أربع(قاعدة الكم وقاعدة الكيف وقاعدة الورود وقاعدة الكيفية) التي تضبط التخاطب في المقامات العادية، فتوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي انطلاقا من مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه باعتبار أن مصدر الاستلزام هو الخرق المقصود لإحدى القواعد الأربع مع احترام المبدأ العام. مبدأ التعاون"[4]. يظهر أن فكرة غرايس تتجسد في مساهمة المتكلمين وتواصلهم وتشاركهم، تتحكم في العملية التخطابية وهذا بمبدأ عام يتقبل ضمنيا من طرف المستمعين ويسميه مبدأ التعاون، والذي يتفرع عنه قواعد، وهذه القواعد الموضوعة بخرقها يتحقق الاستلزام في الكلام.

---

[1] - محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)؛ دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: 1 ،2013، ص:386.

[2] - المرجع السابق، ص:90.

[3] - فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر:سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط:1، 1978، ص:54.

[4] -Grice, Logic and conversation, In P.Cole and J.Morgan,1975عن حافظ اسماعيل علوي، التداوليات، علم استعمال اللغة، دار الكتب الحديث، إربد،الأردن، ط:2، 2014، ص:294.

وكذلك يقوم هذا المبدأ وفق شروط حددناها سلفا إسهام المتحاورين في امتداد العملية الخطابية والمبادلة الكلامية، ومقام معين للإدلاء فيه ووفقه، إلى جنب ارتكازه على تفريعات ومسلمات يعتمدها المرسل للتعبير عن قصده، فيذكر في هذا الشأن غرايس Grice "أن تجعل مساهمتك في المحادثة كما هو مرجو منك من حيث اختيار التوقيت المناسب، وأن تكون تلك المساهمة متماشية مع الهدف والتوجه المسلم بهما للتبادل الخطابي الذي تقع ضمنه"[1]. يلتزم الخطيب في العملية التخاطبية بالمقام واحترام الهدف والقصد من وراء التبادل الحواري كما يلتزم بالقواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون المتواضع عليها والتي تضبط المتكلمين أثناء العملية التخاطبية والتي تسهم في تنظيم التواصل وتبادل المعارف والمعلومات، وبما أن الاستلزام الحواري يحدث عند خرق إحدى القواعد الأساسية المتفرعة عن مبدأ التعاون، سنحاول تتبع هذه القواعد ورصد لانتهاك قواعد مبدأ التعاون الأربعة المذكورة من قبل، وهذا من خلال بنية الحوار في رواية **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** وما يفضي إليه ذلك الانتهاك من معانٍ مُستَلزمة تعين مختلف الآليات والقرائن على حمل الكلام عليها.

1-1- قاعدة الكم في رواية حوبة: La maxime de quantité

ينبني مبدأ التعاون عند غرايسGrice في العملية التخاطبية على دعامات أساسية تحقق عملية تواصلية منظمة وأهمها قاعدة الكم، فهذه القاعدة "تجعل إسهام المتكلم في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه، فيقول المتكلم ما هو ضروري بالقدر الذي يضمن تحقيق الغرض"[2]. تقوم هذه القاعدة التعاونية التشاركية على شرطين اثنين، فشرطها الأول احترام القدر المطلوب في الحوار دون زيادة أو نقصان، والشرط الثاني هو ذكر الضروري في الحوار لتحقيق الغرض والقصد، فتتعلق هذه القاعدة بمدار المعلومات وكمها، لا بصدقها وملاءمتها، ومن أمثلة احترام مبدأ التعاون في مقاطع حوارية خارجية نجد حوار بين **شخصية الزيتوني والعربي والشيخ لكحل** والد حمامة، حين همَّا بخطبتها من والدها قال:"**-أطلب يد ابنتك حمامة لأخي العربي يا شيخ لكحل وعجَّل الشيخ**

[1]- ج.ب.براون وج.يول، تحليل الخطاب، تر:محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود ، الرياض، ط:1، 1994،ص:40.

[2] - محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، ص:91.

لكحل يرد:-وهل يُرَدُّ لكما طلب؟"[1]. فكان الحديث متوفراً مفترضاً متحاورين متشاركين في العملية التخاطبية **(العربي والشيخ لكحل والزيتوني)** وكان المقام ملائما لذلك لأنَّ الموضوع المنشود بينهم الخطبة، ملتزما بمبدأ التعاون من حيث الكم والقدر، مناسبا للسياق واضحا يحمل القدر المطلوب من المعلومات ، ذاكراً الضروري فقط لتحقيق الهدف المقصود من الحوار.

كذلك نجد حواراً آخر في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** يثير قضية جوهرية في الحكي، وهي قضية سرقة التماثيل فكانت الإخباريات فيها متزنة لم تتجاوز الحد المطلوب من المعلومات يذكر **علال القهواجي** لجماعتة:**"البارحة ونحن نُدمن خمراً في أطراف المدينة، لاحظت شيئاً غريباً، أسرع أمقران يسأل بحيرة:-ما هو؟ - تعرف بيت فرانكو الصيفي؟-نعم.أجاب أمقران بسرعة وقد أقلقه بطء علال، الذي واصل بهدوءٍ أيضا كأنما تمعن في تعذيبه:هو مهجورفي العادة، لكننا لاحظنا فرانكووشمعون المونشو يرتادانه كثيرا على خير العادة.**

-ربما يسكران هناك، علق أمقران، فردَّ علال: -اقتحمنا المكان تبين لنا أنهما يجمعان التحف، تماثيل ومنحوتات مختلفة"[2].

يبدو من خلال الحوار غاية **شخصية علال القهواجي** هو إطلاع صحبه بتحركات **شمعون المونشووفرانكو** على الرغم من المراوغات الوصفية والتعليقات التي أراد منها خلالها الروائي ترك القارئ يتأملها ويتمثلها كأنها تتجسد أمامه، إلا أن الحوار لم يخرق القاعدة الكمية والقدر المطلوب للمعلومات ولم ينزح إلى معنى آخر يُوافق المعنى الطبيعي الذي يحمله اللفظ، بل كانت مناسبة للسياق، مُحققةً الغرض والقصد من الحوار عند الشخصيات وحتى عند المتلقين، لم يحد عن مألوف البنية اللفظية مباشراً في طرحهِ، مشيراً في ذلك إشارة واضحة للاختلاسات الدنيئة والتهريبات التي طالب

[1] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ،دار الروائع للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:1، 2011، ص:101.
[2] - المرجع السابق، ص:500.

الوطن وكنوزه، وكانت إجابة علال القهواجي على تساؤلات أمقران وتخميناته مباشرة لا تلميح فيها، تقطع دابر الأسئلة التي لا طالما راودت الشخصيات وفضولهم حول شخصية **فرانكو والمونشو** التي كانت تُروج اهتمامها بالآثار.

ولقد كان لخرق وانتهاك لمبدأ الكم حضوره وبقوة في البنية الحوارية في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**، حيث عمد السارد إلى خرقها في أحايين كثيرة، وعمدت الشخصيات المتحاورة إلى خرق قاعدة الكم بزيادة والنقصان."وإنَّ نظرية الاستلزام قائمة على الانتهاك، فانتهاك مبادئ الحوار Flouting of Maxims هو الذي يولد الاستلزام"[1]. لقد استغل الكاتب عز الذين جلاوجي هذه الاستلزامات الحوارية لتمرير رؤاه وأفكاره، وهذا بإشراك الشخصيات الروائية في العملية التخاطبية وتعاونها في تحليل القضايا، وكان منتهكاً أحد الحكم التي تولَّد عنها الاستلزام، وقد كان هذا الانتهاك مُمَرِرًا للعديد من القضايا والتلميحات ومتضمنات القول وهذا لأن" بعض الأقوال تبلغ أكثر مما تدل عليه الكلمات التي تتشكل منها الجمل، إن هذا الجزء من دلالة الأقوال التي تنأى عن شروط حقيقة الجملة يطلق عليها تضميناً Implicature (...)فكل قول يثير جزئياً أقوالاً أخرى يضمها أو يخلقها بوعي أو بدونه داخل نظام دائري حيث الكل متماسك"[2]. إن ظاهرة الاستلزام الحواري من أهم المبادئ التداولية، المرتبطة بلحظة تفاعل المتكلمين وتشاركهم الخطاب في سياق معين، وأساسها هو هذا المعنى الضمني، الذي يثيره المتكلم ويخلفه في الكلام بقصد منه أو بغير قصد ويدركه المتلقي الذي يشاركه الحديث، والذي تتوفر فيه ميزات وقدرات عقيلة وفكرية، لأن هذا المعنى المستلزَم يصعبُ تحديده، وهذا ما جرى العمل عليه في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**،بحيث لم يكن الكلام المعتمد فيها أحياناً يلتزم بقواعد مبدأ التعاون، بل كان تخيليا مخترقا منتهكا لهذه القواعد والحكم مستلزماً معانٍ ضمنية لا تفهم من حواف الكلمات، وتلميحات واستثارات تبغي تأويلات وفهم عميق لهذه البنى الدلالية الضمنية، يتفطن إليها المخاطب الواعي بعد معاينة وتأمل إلى ما يجب أن يكون عليه الكلام، وما آل إليه بعد هذه الخروقات والانتهاكات وألفينا هذا في مقاطع كثيرة حوارية انتقينا منها هذا المقطع الحواري: بين **شخصيتي**

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:35.

[2]- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير؛ مقاربة تداولية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الرباط المغرب، د:ط،2006،ص:47.

سي رابح والعربي الموستاش. يقول **سي رابح** مخاطبا **العربي الموستاش: "كل ما تراه مرسوماً على هذه الورقة هي الأرض، هنا بالضبط أرضنا الجزائر، وهنا أرض فرنسا، وبيننا بحر.**

بحر، بحر بيننا، وما الذي جاء بهؤلاء الملاعين إلينا؟ لماذا لا يتركون أرضنا ويعودون إلى أرضهم؟ هكذا تساؤل العربي الموستاش في قرارة نفسه"[1]. يظهر من خلال الفعل الكلامي المذكور اشتراك شخصيتين روائيتين في العملية الخطابية، وحدثَ إنجازُ فعلٍ وردُّ فعلٍ خلال ذلك، ويبرز هذا الاستلزام الحواري تحقق مبدأ التعاون، ودور الشخصيات الروائية في إنجاز الفعل الكلامي وبلورة القضية الجزائرية، فرُشِح **سي رابح** ليضطلع بدور (المُخبِر) مستعيناً بالأفعال الكلامية الإخبارية الوصفية، مُسايراً **العربي الموستاش** الذي يُظهِرُ رغبةً في الفهم، وإدراك ووعي بما لهُ علاقة بالوطن، فلقد كانت الجمل الحوارية تستلزم معنيين أحدهما صريح يظهر حرفياً من المعنى الظاهر: وهو شرح **سي رابح** الصورة وضبط المواقع الجغرافية للجزائر وفرنسا، وفهم المغزى لهذه المواقع الجغرافية من لدن **العربي الموستاش** الذي كان يظهرُ جاهلاً لها، وهذا لأنَّهُ لم يتلقَ تعليماً قبل وانحداره من بيئةٍ ريفية التي تفتقر لذلك، ولكن المعنى المتضمن الذي تثبتَ من خلال الدائرة الحوارية لم يكن شارحاً إفهامياً بالقدر الذي كان يريد إثارة وتعرية الحقيقة الوجودية للمحتل في هذه الأرض، والصورة الرمزية الجغرافية داعية إلى فعلٍ أو سلوكٍ على المتلقي أن يمتثل له ويطبقه، وفعلا كان سلوك **العربي الموستاش** يحمل الكثير من الاستلزامات، وهذا من خلال الحوار الذي يخضع له الخطاب، ليجلي ردة فعل العربي التي كانت أفعالا توجيهية استفهامية(**وما الذي جاء بهؤلاء الملاعين إلينا؟ لماذا لا يتركون أرضنا ويعودون إلى أرضهم؟)** حيث أبانت عن استنتاجات بناء على سمعه من **شخصية سي رابح**، وفهمه للتلميح المقصود من وراء إثارة هذا الموضوع، وصولا إلى الاستلزام المطلوب بعيدا عن المعنى الحرفي، والروائي عز الدين جلاوجي وانطلاقا من رؤيته التي سبغت الحكي، وأفادت إعادة قراءة التاريخ بوعي لا يخلو من نظرة واقعية حالية جعلته يخترق قواعد مبدأ التعاون

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:212،211.

وحكمه وأدى هذا إلى تجاوز المعنى المطلوب إلى معنى آخر ضمني ما يدفع بالمتلقي إلى القيام بسلسلة من الافتراضات الذهنية لتفسير هذا الانتهاك والخرق.

ويتابع السارد الحوار:**"وفجأة انتقلت أصبع سي رابح إلى أقصى يسار الصُّورة وقال: هذه كايْين، بلادة بعيدة، حين يكون عندنا نهار يكون عندهم ليل، وهي بلادٌ ملكٌ للفرنسيين، وقد نفت إليها الكثير من الجزائريين الذين تمرَّدوا عليها وغشيت العربي الموستاش أمواجٌ من الحيرة والقلق والخوف والكره، وتخيَّل هذه الأرض دون شمس، ظلامٌ سرمدي يعيش فيه المنفيون حتى يُقضى عليهم"**[1].، يعقد الفعل الكلامي المنجز منذ البداية عقداً ضمنياً بين الراوي وبين المتلقين، مفادُهُ اكتشاف المسكوت عنه وحقيقة مستورة ما وراء هذا التخييل التاريخي، ففي طيات المعنى الضمني يكمن أسئلة جديدة حول مصائر عجيبة للعديد من المنفيين الجزائريين، وشدَّة فظاعة ما تلقَاه المنفيون من صنوف العذاب فيها، وحتى أن ردة فعل العربي عن الفعل الكلامي التقريري كانت تأخذ الفعل عن طبيعته المباشرة إلى طبيعة تعبيرية تخيُلِيَة نفسية تطرح معانٍ مضمرة، إذْ غشيَهُ الخوف والقلق بمجرد تذكُرِهِ لها وتخيُّل مصائر الجزائريين الذين شدُّوا الرِّحال إليها عنوةً، وتلقوا شتى ألوان العذاب والاضطهاد النفسي والجسدي، فهي إشارات خفية ورسالة مُشفرة من السارد للمتلقين لإعادة النبش في الحقيقة المُرَّة لهذا المكان(كايين)، والتي تُبين عن رؤية الروائي وتمرير شيء من ذاكرته وذاكرة وطنهِ للقُراء، وهنا يكون قد خرق مبدأ التعاون بخروج الفعل الكلامي من معناه الحرفي إلى معانٍ ضمنية لها مقصديات تداولية.

1-2- قاعدة الكيف في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر:La maxime de qualité

تعدُّ قاعدة الكيف من أهم القواعد التي يلتزم بها المتخاطبون حتى تتم عملية التخاطب، وتقوم هذه القاعدة على شرط "لا تقلْ ما تعتقد أنَّه كاذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه، فالمحاور لا ينجح في حواره بما يراه

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:212.

كذبًا أو غير إقناعي وبما لا يستطيع البرهنة عليه، لأنه يُضعف حجته"[1]. ويعني هذا أن يكون المتكلم صادقا لا يقدم معلومات خاطئة أو معلومات لا يقدر على إثباتها وتبيين صحتها والبرهنة عليها، ويقوم هذا الحكم على أساسين اثنين، فالأساس الأول عدم ذكر ما تعتقد أنك كاذب فيه، والأساس الثاني: عدم ذكر ما لا تستطيع البرهنة عليه، ويتأتى الاستلزام الحواري بخرق إحدى الدعامتين كمثل قاعدة الكم أو القدر السَّالفة الذكر، ولقد تمظهر هذا الخرق لهذه القاعدة في رواية حوبة، و الشاهد الحواري الآتي يبرز ذلك والذي جرى بين **الشيخ عمار شيخ الزاوية والقايد جلول ابن القايد عباس. "سأل القايد جلول:**

-هل من أخباريا شيخ؟

وتظاهر الشيخ بعدم فهم قصد جلول، فرد سؤال: -في أي أمر؟

وتوجَسَّ القايد جلول من ردّه السَّريع المقتضَب لأنّه يجهل ما بينهما، وقال:

-ألم يبتلع ذلك الخنزير نقودنا، ويعدُنا بسوقِ أعدائنا كالسائمة إلينا؟

صمت الشيخ لحظات يبحث عن مخرج وقال:يظهر أنَّه مجرد محتال، عوضنا الله خيرًا عما ضاع منا"[2].

يظهر في هذا الشَّاهد الحواري انتهاكٌ لمبدأ الكيف وهذا بخرق لمبدأ الصدق في الكلام وذكر ما هو كاذب ومفتقر للأدلة والحجج، فالمعنى الحرفي الذي ظهر من الشاهد الحواري محاولة الشيخ عمار إظهار نفسه بمظهر الضَّحية، وبمظهر الأبله والبليد الذي لا يفهم والذي تحايلوا عليه هو الآخر، وهذا من خلال جوابه الذي يحمل قوة إنجازية استفهامية(**وتظاهر الشيخ بعدم فهم قصد جلول، فرد سؤال: -في أي أمر؟**) ولكنَّهُ ضمنيا يحمل المراوغة ومحاولة التملُّص والتهرُّب من الجواب بإعادة السؤال والاستفهام، وهذا يدلُّ على كذبهِ وتحايلهِ، وحشر الطرف الثاني المحاور في

[1]- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، ص:91.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:451.

دائرة استفسار ضيقة تثير مخاوف المتلقي وتستثير قلقهُ اتجاه طرحهِ، ولأن (المتكلم) يعجز عن ذكر الحقيقة، ويتستر وراء حجاب الدين والسلطة الدينية حتى يبعد كل الظنون حوله بقوله:"**عوضنا الله خيرا عما ضاع**" وجوابه الثاني الذي يحمل قوة الفعل الإنجازي (الدعاء) يتستر وراءه مرة أخرى ليخفي ضمنيًا كذبه واحتياله هو الآخر على القايد جلول بأخذ ماله ووعده بأخذ ثأر والده بسوق أعدائهما والنيل منهم، وقد خرق أساس ذكر ما لا يستطيع البرهنة عليه، إذْ لم يجد مفراً إلا باستخدام الدعاء والتستر به، ولكن **شخصية القايد جلول** تفطنت لألاعيب شخصية **الشيخ عمار** وخبثه، فراح يتوعده وهذا من خلال قوله الذي يحمل قوة إنجازية تحمل دلالة التوعّد. فيقول: "**تقول هذا لأنّك لم تدفع أموالك أيُّها الثعلب الماكر، سأكتشف حقيقة الأمرِ طال الزمن قَصُر، وإن تبين خداعك سأقطع رأسك**"[1]. إذن ففي هذا الحوار نجد أن الأفعال الكلامية ذات القوة الإنجازية في معناها الحرفي كان تحمل الاستفهام، الذي يسعى للإجابات و إدراك الشيء المجهول، ولكن معناها الضمني المجاور الذي استلزمته لم يهتم بالاستفهام والسعي للإجابات، بالقدر في محاولة المراوغة وعدم تثبت الحقيقة، ولكن سرعان ما اكتشف الطرف المحاور الثاني **القايد جلول** في هذا الحوار التلاعب والكذب وعدم قدرة **الشيخ عمار** على تبرئة ذاته أمامه أو الدفاع عن نفسه لأنّه يدرك مدى خيانته واحتياله هو الآخر وتلاعبهِ لأجلِ تحقيق مآربه بواسطة الدين، ومن ثم كانت المعاني الضمنية التي تحملها الأفعال تخرق قاعدة الكيف وتنتهك مبدأها، ولقد أعان على فهم ذلك المعنى المتضمن المستلزم سياق القصة العام وسياق الحوار حتى.

وهناك استلزام آخر ضمني لا يظهر إلا من خلال التحليل والتأويل والتقدير: فتقول شخصية الزيتوني في حوارها عن مقتل القايد عبَّاس الخبر الذي زفه لأخوته دون أن يُطلعهما عن قاتله:

"عاد البغدادي يلحُّ في السؤال وهم يعودون إلى البيت:

- كيف عرفت الأمريا الزيتوني بمقتل الكلب؟ من أخبرك؟ ومن تظن أنَّه الفاعل؟

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:451.

لم يرُد الزيتوني كأنَّه لم يسمع، كان يحثُ الخطا عائدًا إلى البيت"[1].

ابتدأ السارد مقطعه السردي الذي يتخلله هذا المشهد الحواري بأفعال خبرية تصف وتصور لحظات زف الزيتوني خبر قتل القايد عباس لأخويه على حواف قبر والده، وغرض الكاتب من وراء هذه الأفعال الخبرية إعلام المخاطب ووصف هذه اللحظات التي كانت تنتظرها شخصيات الرواية والمتلقي أيضا، إلا أنَّ الشاهد الحواري الذي ضمه الكاتب فهو فعل كلامي لم يكن موجودا وإنما أنشأه في التحادث إنشاءً، وقد ورد بإحدى صيغ الإنشاء الطلبية المتمثلة بصيغة الاستفهام، "والاستفهام(استفعال)من الفعل(فهم)" والذي يعني طلب الفهم، أي العلم بما لم يكن معلوما حال الطلب، بوساطة أداة من أدواته وهي: الهمزة،وهل،ومن،وما،ومتى،وأين،وأيان،وأنى،وكيف،وكم،وأي"[2]. يظهر من خلال القول أنَّ شخصية البغدادي لجأ للفعل الكلامي الاستفهام، لطلب العلم بما لم يكن حاصلا أثناء الطلب وهذا باعتماد أداتي الاستفهام (كيف، من) والذي كان يستلزم معنىً ضمنيا مُجاوراً يتجهُ نحو غرض التعجب، يشير هذا الاستفهام أنَّ السائل لا يريد طلب المعرفة فحسب عن هذا الشيء المجهول، بل ينصرفُ ذهنه للتعجب من هوية القاتل والتشوق لمعرفته، والذي أثار بقتله للقايد فضولهم وهيَّجَ مشاعرهم مشاعر التذكر لوالدهم وخالتهم وأهلهم الذين تفرقوا بسببه ومشاعر الحقد والانتقام، وبالتالي يكون هنا الشاهد الاستفهامي انزاح عن معناه الحرفي إلى معنى آخر ضمني يلازمه.

أما جواب **شخصية الزيتوني** عن الأفعال الإنشائية الاستفهامية لم يكن أقل منها درجة في القصد، بل كانت هي الأخرى تنتهك مبدأ الكيف، وتخرقه، لأن شخصية الزيتوني انتهجت سلوكاً غير كلامي واختارت عدم الرَّد، وهذا بإظهار عدم السمع وتجاهل الأسئلة والاستمرار بالمشي، وإن هذا التهرب من الإجابة واللجوء إلى التجاهل وعدم السماع يخالف مبدأ الكيف الذي يطالب بقول الصدق والتصريح به وإبداء أدلة وحجج للبرهنة على كلامه، وإن سلوك شخصية الزيتوني يخرق مبدأ الصدق ويؤدي إلى وجود معنى مستلزم غير الذي يحمله ظاهر اللفظ.

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص: 291،292.

[2]- عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2001،ص:18.

3-1- قاعدة الملاءمة في رواية حوبة ورحلة الحث عن المهدي المنتظر La maxime de relation

تعدُّ قاعدة الملاءمة أو المناسبة ثالث قواعد غرايس لمبدأ التعاون، ويدعو فحواه "اجعل كلامك مناسبا الموضوع، فيجب أن يكون الكلام مناسبا سياق الحال وهو السياق البراجماتي"[1]. وتكمن أهمية هذا المبدأ الذي وضعه غرايس في الدقة أثناء الحديث وملائمة الحديث للسياق ولطبيعته، وهذا بمراعاة السياق التداولي للحوار والظروف المُحيطة به، ولا يتأتى هذا إلا بتحقيق هذا القاعدة (اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع"[2]. يتبين من خلال ما سلفَ ذكرُهُ أن مبدأ التعاون يتحقق بمناسبة الكلام للموضوع ومطابقته لهُ وارتباطه به، ومراعاة شروطه، فإذا حدث ولم يتم مراعاة هذه القاعدة ومطابقة من طرف المتحاورين ومناسبتهم للكلام ويتم خرقها، يستلزم هنا المعنى الثاني المتضمن المرافق للمعنى الحرفي، ويمثل لهذا الخرق والانتهاك **محمود أحمد نحلة** بهذا المثال الذي يضربه **"في** حوار بين رجلين:

أ-أين زيد؟

ب-ثمة سيارة صفراء تقف أمام منزل عمرو.

وما قاله(ب)بمعناه الحرفي ليس إجابة عن السؤال، فهو ينتهك مبدأ العلاقة المناسبة بالموضوع"[3]. إذن يتم انتهاك قاعدة الملاءمة بخروج المحاور عن مناسبتها لطبيعة الموضوع وحديثه الذي لا يصبُّ في صميمها ولا يلائم المقام، والذي لا علاقة له بموضوع الحوار قاصداً من وراء هذا الانتهاك إرسال معانٍ مستلزَمة مغايرة للمعنى الظاهر الحرفي لجمل الحوار، ويحقق بهذا استلزاما حوارياً.

[1]- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية، ص:92.

[2]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:34.

[3]- المرجع السابق، ص:37.

وإنَّ انتهاك لمبدأ الملاءمة والمناسبة ظهر في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**، في مشاهد حوارية، فيذكر السارد:"**قال فرحات عباس: إني أحلم أن نعيش إخوة في هذا الوطن، تصور مدينة واحدة تضم اليهود والنَّصارى والمسلمين؟**

ضغط حسان بلخيرد على يد فرحات عباس ثم سحب أصابعه، و اندفع مبتعداً، وهو يقول:

-**هذه أرضنا، لا ينبت فيها إلا الزيتون والنخيل**[1]. لقد تحدد مبدأ التعاون انطلاقا من مشاركة الشخصيات المتحاورة في إنشاء الفعل الكلامي، أما الخطاب الأول الصادر عن شخصية **فرحات عباس** كان فعلا كلاميا يحمل قوة إنجازية في حرفيتها أمر استفهامي؛ باعتماد فعل إنجازي توجيهي (تصور ...؟) والذي يدعو الطرف الآخر إلى التخيل والفهم منزاحا في طلبه إلى الرجاء بالعيش في وطن يضمُّ كل الأديان، والتعايش كإخوة. ولقد جاء ردُّ الطرف الثاني شخصية **حسان بلخيرد** فعلاً كلامياً لا يدرك إلا بالفهم والتأويل، يستهدف ذهن المتقي الواعي الذي يدرك من خلال الرمز العلاقة بين القولين، لأن القول يبدو في الظاهر يبتعد عن المقام ويخالف الحديث ويتجاوزه، ولقد عمد إلى هذه القاعدة ليصرفَ ذهن المتلقي إلى هذا الخرق الذي يستلزم معنى مجاور آخر، يوحي بدلالة رمزية إيحائية فاستعارة الكاتب للزيتون دلالة على الصمود والمقاومة في وجه العدو والارتباط بالأرض، وتتمثل في حد ذاتها الوطن، والنخيل لا يقل أهمية عنه لأن له محاسن عديدة، كما له ارتباط وثيق بالعروبة وبالإنسان العربي على مر العصور، فهي تمثل الشخصية العربية، وإنَّ ردَّ شخصية **حسان بلخيرد** كان ماحقا يبعد كل أرجاء وتأملات شخصية **فرحات عباس** وغيره بالاندماج في فرنسا والاضمحلال فيها، ويدعو في الصميم إلى الصُّمود والتشبث بهذه الأرض، وأنها أيضا عربية لا يبزغ منها إلا الإسلام ديناً.

وفي مشهد آخر حواري يُظهر قاعدة العلاقة أو المناسبة. "**وصل العربي الحمام، كان سي رابح ويوسف الروج يقرآن أيضا، سلَّم، ردَّ يوسف الرُّوج التَّحيّة دون أن يتوقف عن القراءة، سأل بهدوء:**

[1] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:440.

-عمّي رابح ما الذي وقع؟ رفع فيه سي رابح عينيه دون أن يرد، واستمرَّ في القراءة"[1]، إنَّ الكاتب عبر هذا المقطع السَّردي الحواري يحاول أن يخالف قاعدة المناسبة أو العلاقة -متعمدًا- وهذا بتضمين معنى أو قصد أراد توصيله، وهذا من خلال المضمون الذي قدَّمه، فالمتكلم شخصية العربي توجِه خطابها لمجموعة من الشخصيات، ولكن هذه الشخصيات كانت ردودها تبدو مخالفة لسياق الحديث، الكل منهمك بقراءة جريدة؛ حتى التحية تُرَدُّ دون توقف عن القراءة، وإنَّ هذا الانتهاك والخرق يأخذ بالمتلقي من ظاهر القول الصريح إلى الضمني وغير المباشر، وإن الروائي بهذا المشهد الحواري المنتهك لقاعدة المناسبة أو العلاقة يحاول أن يظهره بمظهر المخالفة حتى يظهر النوايا الثورية الأولى عبر شخصية العربي الذي كان يبدو وكأنّه نسي اتفاقه وجماعته حول القراءة بالعربية جهارا لإغاظة فرنسا، وأنَّ ردود فعل الشخصيات حول أسئلة العربي خرجت بالمنطوق من حرفيته إلى معنى استلزامي وقصد جماعي هو إغاظة فرنسا بالقراءة، وتجاهلهم لحديث العربي إجابة خارقة لقاعدة المناسبة، وهذا لأن المتخاطبين انزلقوا إلى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي قصدها المتكلم.

ويظهر لنا من خلال ما سيق أنَّ انتهاك وخرق قاعدة المناسبة أو العلاقة من خلال المشاهد الحوارية في الرواية من طرف المتحاورين يكمن سِرُه الحقيقي بأخذ المتلقي وراء عدم مناسبة المقام للمقال وملاءمته له، الانزلاق إلى المعاني المجاورة الضمنية وغير المباشرة لقول أمور مسكوت عنها وإظهار الوجه الحقيقي من وراء الاستلهام التاريخي، وإقناع الطرف الآخر والمتلقي بطريقة غير مباشرة برؤية الكاتب للتاريخ الجزائري.

1-4- قاعدة الطريقة في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر: La maxime de manière

إنَّ لِقاعدة الطريقة أو الجهة حضور كبيرٌ ومتسعٌ في رواية حوبة ورحلة البحث، والتي تنصُّ على مقولة: "كنْ واضحاً ومحدَّدًا، وأوجزْ، ورتب كلامك، فيجب في الحوار تجنُب الإبهام واللُّبس والاضطراب في الترتيب والخلل

[1] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:369.

المنطقي".[1] إنَّ هذه القاعدة تعنى كثيرا بوضوح الكلام، وعدم الغموض فيه بتجنب أمورٍ في الكلام منها الإبهام واللبس، ويبرز **محمود أحمد نخلة** قاعدة الطريقة في حوار بين رجلين.

"أ-ماذا تريد؟

ب-قُم، واتجه إلى الباب، وضع المفتاح في القفل، قم أدر ناحية اليسار ثلاث مرات، ثم ادفع الباب برفق، وواضح فيما قاله (ب) انتهاكاً لمبدأ من مبادئ الطريقةManner وهو"أوجز" إذ كان يكفي أن يقال:افتح الباب**"**[2]. وإنَّ هذه القاعدة التي تعنى بالوضوح في طريقة الحديث وتجنب كل ما من شأنه أن يخِلَّ به، ويكمن مدار اختلافها عن القواعد السابقة من حيث كونها لا ترتبط بما قيل، بل بما يُراد قوله، والطريقة التي يجب أن يقال بها، والهدف منها تجنب التوسع في القول المفرط والإيجاز المخل في القول، فهي ترتبط إذن بالقاعدة الأساسية التي نعبر عنها "التزم الوضوح" وتتفرع إلى: لتحترز من الالتباس لتحترز من الإجمال، لنتكلم بإيجاز، لترتب كلامك"[3]. إذن قاعدة الطريقة أو الجهة لا تُشابه القواعد السابقة لأنَّها تهتم بالطريقة التي على أساسها يُنتج القول ويضبط قبل تلفظه ولا تعاين ما قيل، وتدعو إلى الوضوح في القول وخرقها وانتهاكها يكون بسلك الغموض في الحديث أو بخرق إحدى تفريعات المبدأ الأساسي لقاعدة الطريقة.

وإن رواية **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** احتفت بالإيهام والإطناب وعدم الإيجاز والاستعارة والتمثيل، وكانت حقلاً سرديًا غنيًا بالانزياحات الاستعارية والتمثيلات، ومشبَّعًا بالأمثال والأشعار والحكم وقصص الأولين الموحية التي توسل بها الكاتب تحقيق استلزام حواري خادم لغرض الرواية ومقاصدها. وقد استثمر الروائي عز

[1]- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، ص:91.

[2]- المرجع السابق، ص:37.

[3]- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية الظاهرة إلى وضع قوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:1، 2011.ص:100.

الدين جلاوجي في مبادئ غرايس التعاونية، فنلحظ هذا في مشاهد حوارية عديدة، فمنها هذا المشهد:**"انسل صالح القاوري مبتعدًا، تفل خليفة عليه من بعيد وصاح:**

- تفو كلاب فرنسا.

أضاف يوسف الروج: -بني وي وي، الرجال في السجون وهم يريدون بيعنا بأبخس الأثمان.

علّق أمقران على كلام خليفه:

- **لا تخش يا خليفة، ما يبقى في الوادي غير حجارته"**[1] .

اعتمد الكاتب في هذا المشهد الحواري أفعالا تأثيرية وهذا لتعميق المعنى الاستلزامي، ذلك المعنى القائم على الغضب والتحسر والأسى من أفعال الشخصيات المطالبة بالإدماج، فظهرت أفعال تعبيرية سلوكية من الشخصيات المتحاورة التي تُفصح وتعبر عن اضطرابها وقلقها من الوضع الحاصل وانتقادها لأتباع الإدماج وسخطها وغضبها منهم بألفاظ تعبيرية لا تخرج بمعناها الحرفي عن ذلك. ولقد ضاعفَ الروائي دلالة هذه الأفعال التعبيرية التأثيرية باعتماد الصور التمثيلية والأمثال؛ للتعبير عن مقاصد المتكلمين، فاستعمل التمثيل مستخدما التشبيه ، رابطا علاقة تشابه بين الكلاب وأتباع فرنسا من الجزائريين (**كلاب فرنسا**) فالكلاب تتبع صاحبها أينما حلَّ وفيةً له، وكان الهدف من هذا التمثيل وإيراده التحذير والسخط من أتباع فرنسا وعدم الثقة فيهم لأنهم أوفياء لفرنسا، والتأثير في المتلقي من جهة أخرى وإقناعه بموقفه منهم، وبهذا الأسلوب التمثيلي يكون الكاتب خرق مبدأ الطريقة أو الجهة التي تلتزم الوضوح في الكلام.

ولا يخفى علينا اعتماد الأمثال الشعبية في الكلام من أهمية، لأنَّها في اقتباسها تحمل مدلولات لا حصر لها، كلام موجز يتَّسم بالإلمام بالمعنى المقصود، وإنَّ ضربَها في الرواية يوضِح المعنى المقصود ويوجه المدلول إليه، وإنَّ

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:410.

شخصية أمقران لجأت للمثل الشعبي "**ما يبقى فالوادي غير حجارو**" الذي يأخذ الكلام إلى نتيجة حتمية ويلخص الكلام في معنى موجز متَّفق لدى الجماعة اللغوية، مُخرجاً الكلام من معناه الحرفي للحوار إلى معنى ضمني، وهكذا يكون المثل انتهك قاعدة ومبدأ الطريقة الداعي للوضوح في الكلام والبعد عن الغموض واللُّبس والإبهام، إلى الغموض والإيحاء والإيهام، البارز من المثل الشعبي الذي يقوم في الحقيقة على الانزياح اللغوي، مانحاً متلقيه ثراءً دلالياً وهذا بتوظيفه قوة الكناية، والتي تحث المتلقين وتحفزهم على فهم وقراءة ما وراء المعاني، فكانت الكناية عن بقاء الأصل وأصحاب الأرض الأصليين، فكان المثل الشعبي تجسيدًا لصورة بلاغية تجسدت في الكناية هذه الآلية البلاغية الانزياحية التي تدفع بالمتلقي لفهم وتأويل دلالتها، وتحديد قصدية المتكلم المتخفية وراء هذه القوة الإنجازية الحرفية لجملة الكناية، التي أضفت على الكلام قوة إيحائية إقناعية دفعت بالمستمع إلى إعمال عقله والتريث ليصل به إلى الإقناع.

وقد لاحت في الرواية خروقات عديدة لمبدأ الطريقة أو الجهة بالإطناب في الحديث والتصوير و بالتمثيل والأسلوب الاستعاري فيظهر هذا من خلال مشاهد حوارية كثيرة ومنها هذا المشهد:" **قالت حوبة وهي تشير بأصابع نحيفة كقطع البلور:**

- **هي ذي القرية، لقد تغير فيها كل شيء، تسعون سنة كافية لتغيير كل شيء.**

ثم رفعت رأسها في الأعلى وقالت:

- **هذا هو الجبل، صخوره مازالت تخزن أنغام العربي الموستاش حين كان يعزف عليها فيزرع فيها الانتشاء"**[1].

لقد وظف الكاتب جملة من الأفعال الإخبارية التي تخبرنا وتصور لنا تل الغربان وقرية أولاد سيدي علي، معتمدًا في ذلك على الصِّفات لتصويرها وتوصيفها، ولتعميق المجرى الاستلزامي للمعنى، ذلك المعنى القائم على الإطناب في

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:138.

التصوير وتحديد بدقة حركات حوبة وهي تحدث وكأنَّه ينحتها مثل قوله: (قالت وهي تشير بأصابع نحيفة كقطع البلور)(رفعت رأسها إلى الأعلى وقالت) ويهدف الكاتب من هذا التدقيق الوصفي والتصوير الكلامي؛ تمثل المتلقي الشخصيات وتعايشه مع القصة المروية وكأنه شخصية متفاعلة معها يعنيه ما تقول وما ترويه، ونلحظ هنا إلى جنب الأفعال الإخبارية التي ركزت على وصف تل الغربان وقرية أولاد سيدي علي وقبته، هناك قوة تمثيلية واستعارية مختلفة تتجلى من خلالها الدلالة الاستلزامية التداولية مثل قوله: (هذا هو الجيل، صخوره مازالت تخزن أنغام العربي...فيزرع فيها الانتشاء). تتمظهر القوة الاستعارية في القول وتبرز، وهذا بوصفها آلية انزياحية يحصل من خلالها الاستلزام الحواري ،وتتبدى لنا في القول حينما يخبرنا الكاتب عن احتمالية تخزين صخور الجبل الأنغام، والجبل بصخوره في الحقيقة لا يُخزن، ولذا فإن القرينة في قوله (صخوره تخزن أنغام...)تجعل المتلقي يقبل معناه الحرفي، وتحفزه على البحث عما يضمنهُ القول من معنى ومقصد منشود، وإن القرينة اللغوية في قوله(يعزف فيها فيزرع الانتشاء) فالقوة الإنجازية الحرفية لفعل الزرع تشتمل على (بذر الحبوب والإنبات) وهذا المعنى المعجمي الحرفي للزرع يرفض الظهور لأن الفعل يتجه إلى المعنى المتضمن ويصرف الكلام عن ظاهره الحرفي المعجمي إلى(نشر السرور والفرح وجميل الألحان) ويقودنا هذا إلى الانزياح عن الوضوح والمعنى الظاهر ولانتهاك مبدأ من مبادئ التعاون وهو مبدأ الطريقة الذي يؤمن بالوضوح في الكلام وتجنب الغموض والإبهام.

وهكذا فإن الروائي عز الدين جلاوجي عبر مشاهد سردية حوارية كثيرة حمَّل الكلام محمولات دلالية خفية ضمنية متوسلاً الأفعال الكلامية المختلفة التوجيهية الأمرية، والتعبيرية والالتزامية والأسلوب الانزياحي الاستعاري والتمثيلي و حتى الإطناب لتحقيق استلزام حواري خادماً لغرضه التداولي، باعثاً المتلقي على البحث والقراءة والتأويل لفهم المقاصد الروائية، ولقد نوع الكاتب في روايته بين المبادئ التعاونية، محترما إياها حيناً وخارقًا إياها في أحايين كثيرة موظفا الاستلزام الحواري التخاطبي بمختلف أنواعه المنتهك للحوار ومبادئه ،الدافع بالمتلقي نحو التأويل بعيداً عن المعنى الحرفي لنص الخطاب، موجها المتلقي للتدبر في المعنى الاستلزامي للكلام، باحثا عن دلالته التأويلية التي تتخفى من ورائها المقاصد الروائية.

ثانياً: تداولية الإشاريات في رو اية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر.

إنَّ النظام اللغوي في ممارسته التداولية بين مرسلٍ ومتلقٍ، يُحيل بوحداته اللغوية إلى مجموعة من الموجودات وهذا عبر علائق إحالية تساهم في ترابط النص وانسجامه، كما تعدُّ أكثر الوحدات التداولية وظائفاً داخل النصوص الأدبية باختلاف أنواعها، وإنَّ هذه الوحدات اللغوية لا يتحددُ مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، والمقصود بها **الإشاريات**، وللعناصر الإشارية أهمية وحضور قوي في العملية التواصلية بين الناس عبر اللغة، وكذلك كان لها حضوراً قوياً في الخطاب الروائي **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** نظراً لاحتفائهِ باللغة وبالعملية التواصلية، فالبعد الإشاري شكَّل آلية استراتيجية مهمة في الرواية والتي مثلت جانباً لغوياً يحقق ويولدُ معانٍ كثيرة بوحدات وعناصر إشارية، وإنَّ مفهوم الإشاريات يلعبُ دوراً مهِماً في فهم وتفسير هذه الوحدات وتحليلها في النص الروائي انطلاقا من السياق الذي قيلت فيه.

إنَّ **الإشاريات (Deixis)** "هي عنصر من عناصر التداولية، يقصدُ بها كل ما يشير إلى ذاتٍ، أو موقعٍ، أو زمنٍ... وهي تترابط مع مفهوم المُشير، إذْ يُفهَم عادةً من إشارية تعيين مكان وهوية الأشخاص، والأشياء والعمليات، والأحداث والأنشطة بالنسبة إلى السياق المكاني والزماني الذي أنشأه وأبداهُ عمل التلفظ"[1]. تعدُّ الإشاريات واحدة من المفاهيم التي تقوم عليها المقاربة التداولية، وهي من المفاهيم التي لا تتحدد دلالتها إلا من خلال سياق التلفظ، وتقوم بوظائف مهمة في العملية التداولية ومنها تحقيق التماسك. ويعتبر جورج يول George yule الإشاريات"هي أولى الصيغ التي ينطق بها الأطفال الصغار، وتستعمل للإشارة إلى الأشخاص من خلال التأشير الشخصي person deixis (أنا ، أنت) أو إلى المكان من خلال التأشير المكانيspatial deixis(هنا، هناك) أو إلى الزمان من خلال التأشير الزماني temporal deixis. (الآن، آنذاك) وتعتمد جميع هذه التعابير في تفسيرها على متكلم ومستمع يتشاركان في السِّياق ذاته"[2]. تحتل الإشاريات

[1]- ناديا رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، كلية الآداب،جامعة حلوان،مصر،ط:1، 2013، ص:87.

[2]- جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت، ط:1، 2010، ص:27.

مكانة مهمة في العملية التواصلية نظراً لأنها الأكثر تداولاً في حياتنا اليومية، ناهيك إلى اعتبارها لغة الطفل الأولى في حياته أثناء تواصله مع محيطه، ويقسمها جورج يول George yule حسب الشاهد الفارط إلى ثلاثة أقسام: إشاريات شخصية، إشاريات مكانية، إشاريات زمانية. كذلك" لا يقفُ دور الإشاريات في السياق التداولي عند الإشاريات الظاهرة، بل يتجاوز إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى، وهي الإشاريات المستقرة في بنية الخطاب العميقة عند التلفظ به، وهذا ما يعطيها دورها التداولي في استراتيجية الخطاب، وذلك لأن التلفظ يحدث من ذاتٍ بسماتٍ معينة، وفي مكان وزمن معينين، هما مكان التلفظ ولحظته، إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات هي (الأنا، الهنا، الآن)"[1]. يبدو أن الإشاريات أشكال تحصل أثناء التلفظ وترتبط بالسياق وتغيُّرِه وبالزمن الذي يؤطرُها، كما تمثل شكلاً تواصلياً تداولياً وهذا لتحديدها العلاقة بين المرسل والمرسل إليه.

إنَّ الإشاريات أو ما يُصطلح عليها بالضمائر أو المُبهمات لها دور أساسي في العملية التداولية فترى **الباحثة ذهبية الحاج حمو** "أن الضمائر تلعبُ باعتبارها ظاهرة لغوية دوراً هاماً في ضمان الإطار التداولي للحديث، ولأهميتها تلك تُرجم الضمير أو المبهم من الإنجليزية shifters. ويشمل الضمائر وظروف الزمان والمكان، أنا، هنا، الآن، كما ترجم إلى الفرنسية بـdeictiques أو Embrayeurs"[2]. يظهر من تعريف ذهبية الحاج حمو ومما ذكرنا سالفا أن الإشاريات أو الضمائر أو المبهمات كما اصطلح عليها لا يتحدد معناها إلا في سياق التلفظ الذي قيلت فيه، وأن الهدف المنشود المراد من ورائها هو ضمان عملية تخاطبية متبادلة، ويحاول هذا البحث تسليط الضوء على هذه العناصر اللغوية داخل الخطاب الروائي وتبيان البعد التداولي للإشاريات، وبما أن **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** خطاب سردي خصيب توفر على علامات لغوية كثيفة نسعى من خلال تحليلها إلى تبيان دور هذه الإشاريات من خلال نماذج سردية منتقاة وإبراز مدى انتشارها وكشف أدوارها التداولية .

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت، لبنان، ط:1، 2004، ص:81.

[2]- ذهبية الحاج حمو، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، الأمل للطباعة والنشر ، تيزي وزو، د: ط، 2012،ص:106.

2-1- الإشاريات الشخصية: La deixis personnelle

الإشاريات الشخصية هي التي تشير إلى الضمائر والمبهمات منها ضمائر الخطاب والغياب والحضور وإلى بعض أسماء الإشارة. **"فهي الإشاريات الدالة على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب، فالذات المتلفظة تدلُّ على المرسل في السِّياق، تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد، فذاته المتلفظة تتغير بتغير السِّياق الذي تلفظ فيه، وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب تداولياً، لأن الأنا، قد تحيل على المتلفظ الإنسان أو المعلم أو الأب وهكذا"**[1]. إذن هذه المبهمات من الضمائر لا تتحدد إلا وفق سياق لغوي الذي يستند إليه المتلفظ أثناء خطابه، وإن الذات المتلفظة تترنح بين ثلاث أنواع المتكلم المخاطب والغائب، فهي تتضمن الضمائر الدالة على الشخص المتكلم أو المخاطب أو الغائب." ويؤسس **بنفيست E.Benvenist** لعلاقة وثيقة بين الضمائر وسياقات الكلام، مؤكدا أنها لا تنتمي لطبقة واحدة متجانسة، فضمير المتكلم والمخاطب لا يحيلان إلى واقعة ما، أو وضعيات موضوعية، وإنَّما إلى ملفوظ ذاتي ومتفرد (...) بالمقابل يلاحظ بنفنيست أن ضمير الغائب il ذو طبيعة موضوعية، لأنّه لا يحيل إلى واقعة كلامية معينة، كما أنَّ المرجعيات في هذا النوع من الضمائر لا دلالة لها لأنَّها لا تقترن بسياق كلامي محدد.لذلك يدرج بنفينست ضمير الغائب ضمن ما يُطلق عليه اللاشخص"[2]. تعدُّ الضمائر من أهم الإشاريات اللغوية الشخصية ذات البعد التداولي، تختلف في دورها ووظيفتها انطلاقا من طبيعتها ووضعياتها، فضمائر الحضور والمخاطب تدل على وضعية معينة ذاتية، في حين ضمائر الغياب ذات إحالة على وضعيات موضوعية غير معينة وذات مرجعيات مختلفة حسب السياقات الواردة فيها. "فللضمير دلالة في المعنى إلى جانب علاقته الشكلية بالتركيب الذي جاء فيه، وترجع أهمية الضمير إلى أنَّه يمثل المادة التي تصل بين الألفاظ، فتجعل منه بنية متماسكة في المعنى لا اللفظ، لدلالته على معنى في سابق عليه أو لاحق نحو: (هو الله) والضمائر تشير إلى أسماء في النص أو أشياء في العالم الخارجي"[3]. تضطلع الضمائر في الخطابات

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص:82.

[2]- Benveniste Emile ,Problèmes de Linguistique Générale Tome1,Edition Gallimard 1966,p289,عن جواد ختام، التداولية؛ أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان،ط:1، 2016،ص:79 .

[3]- محمود عكاشة، تحليل النص؛ دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، مكتبة الرشد ناشرون،مصر، ط1، 2014، ص:223.

بأدوار مهمة فهي إلى جنب إحالتها إلى أمرٍ سابقٍ أو لاحق وإفهام المتلقي، فإنَّها تضطلع بدور ربط المعاني واتساق الكلم، وهي عنصر مهم في عناصر اتساق النص وتماسكه.

كما تعد أسماء الإشارة من الإشاريات، فتنوبُ أسماء إشارية أو موصولة مناب العناصر الضميرية للدلالة عل الإشارات الشخصية مثل (هذا، هذه، هذان، هاتان، هؤلاء، أولئك) و(الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين) التي تستعمل حسب السياق للإشارة إلى الذوات البشرية أو الجمادات. وفيما يأتي مخطط يوضح توزيع الضمائر حسب الطرح الذي قدمه تمام حسان[1]:

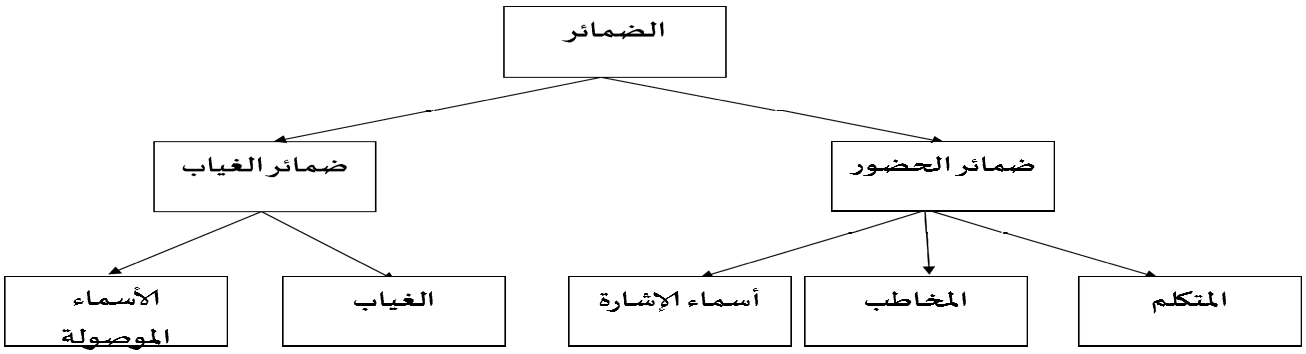

مخطط توضيحي لتوزيع الضمائر

ويفهم مما سبق عموما أن الإشاريات الشخصية بأنماطها المختلفة تمثل قيمة تعبيرية تواصلية وهذا لدورها المهم الفعَّال الدلالي والتداولي داخل السياق وخارجه الذي تؤديه، وسنحاول إبراز هذا القيمة من خلال الاشاريات الشخصية المختلفة الواردة في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ودورها الفعال في صياغة النسيج النصي، وتحقيق العملية التواصلية بين الباث والمتلقي.

2-1-1-ضمائر الحضور:

لقد أظهرت مختلف الأحداث والحوارات في الرواية حضور الإشاريات الشخصية، وبروزها بشكلٍ ملفتٍ في تراكيب النص والنسيج الروائي، ومنها ضمائر الحضور والتي تشير إلى ضمائر المتكلم والمخاطب وأسماء الإشارة كما أشرنا إليها

[1]- ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، د:ط، 1994، ص:109.

سابقا، ويفسرها وجود صاحبها وقت الكلام، فالمتكلم حاضر يتكلم بنفسه. "والحضور قد يكون حضور متكلمٍ كأنا ونحن، وقد يكون حضور خطاب كأنت وفروعها، أو حضور إشارة كهذا أو فروعها"[1]. إذن هذه الضمائر تُحيلُ إلى صاحب القول أثناء التلفظ، وتتميز حسب دورها ووضعيتها السياقية، وتختلف عن بعضها البعض انطلاقاً من طبيعتها التي تُحددها و دورها الذي ترومُهُ في الكلام، وعلى إثر هذا تتوزع إشاريات الحضور في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** حسب طبيعتها اللغوية فألفناها كالآتي:

2-1-1-1-ضمائر المتكلم :

تعددت استخدامات الضمائر في رواية حوبة نظراً لتعددِ الرُّواة والشخصيات وتعدد الأصوات بالأحرى، ولقد برز ضمير المتكلم (**الأنا**) لدى الساردَيْن، وفي حوارات الشخصيات ومونولوجاتها، وكان من خلاله يبرز التعبير عن الذاتية، وامتلاك المتكلم ناصية الحديث، واكتساب السلطة بالخطاب آناء التلفظ." فممارسة التلفظ هي التي تدل على المرسل في بنية الخطاب العميقة، مما يجعل حضور الأنا يرد في كل خطابٍ، ولهذا فالمرسل لا يضمنها خطابه شكلاً في كل لحظة، لأنّه يعوّل على وجودها بالقوة في كفاءة المرسل إليه وهذا ما يساعده على استحضارها لتأويل الخطاب تأويلاً مناسباً"[2] . لا شك أنَّ عملية التلفظ وسياقها هي التي تبين الأنا المتلفظ وحضورها في الخطاب، فتردُ في سياق الكلام بأشكال مُتعددة، فتشمل الضمائر التي تدل على المتكلم (**أنا**) تاء المتكلم، وياء المتكلم الدالة على المفرد، والدالة على الجمع المتكلم مع غيره، نا المتكلم، نحن.

ولقد كان الضمير"أنا" حاضراً وبقوة عند الراوي الكاتب لحكاية **حوبة** والذي أعطاه القدرة على امتلاك ناصية الحديث وممارسة التلفظ. فيقول:" **بقدر ما كنتُ مشتاقا لإتمام الحكاية كنت مشتاقاً إلى حوبة، أن أجلس إليها، أن أسمع منها حكاياتها التي لا تنتهي، أن أتصفحَ وجهها وردة أزلية لا تذبل أبدا**"[3]، يُظهر الشَّاهد استخدام الروائي

[1]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص:108.

[2] - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص:82.

[3]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:137.

العناصر الإشارية في تركيب خطاباته السردية، كما يبين تواري السَّارد خلف الضمير (أنا) وعدم تصريحه باسمه وظهوره بشخصه. ورأينا ما يُحيل إلى الضمير أنا وعدم ورودهِ شكلاً في الخطاب السردي (تاء الفاعل) (**كنت مشتاقا**) **والضمير المستتر** المقدر بأنا (**أن أجلس إليها أن أسمع، أن أتصفح وجهها**)، والضمير الهاء عائد على حوبة التي لا تظهر في البنية السطحية ولكن الخطاب يحيل إليها، كما يواصل السَّارد خطابه التلفظي بالضمير (نحن) رفقة حوبة السَّارد للحكاية :"**انسحبنا عائدين يلفنا الصمتُ، وتحلقُ بنا خيالاتنا، تسترجع أحداثاً جليلةً وقعت ذات سنوات في هذا الوطن العالي**"[1]. نجد أنَّ السارد الكاتب اجتمع مع المرسل إليه حوبة(السارد)، مُعتمداً (نا الدالة على المتكلمين) آتيا بالأفعال رابطا إياها بهذا الضمير حتى يدلل على أمر بينه وبين حوبة عن سرد الحكاية قد انتهى، وكذا حكاية الوطن انتهى سرد أحداثها، وأرادنا من خلال إتيانه بهذه الضمائر وعبرها أن نعيش الوجع والمرارة التي عاشاها في هذه الحكاية، والتي عاشها هذا الوطن بسردهما التاريخي، واستذكار مآسيه، وأراد أن يتوحد المتلقي معهُ ومع أحاسيسه ويوصل لهُ بهذه الضمائر المتصلة والمستترة إيمانه بالوطن وتعلقه به. فالسرد ب "**الأنا ونحن يجعل السارد**"**يقيم عبره ما يشبه التواصل بينه وبين القارئ وذلك بإقحامه في السَّرد بطريقة مباشرة أو باللجوء إلى الضمير نحن أو تعبير مثل "بطلنا"**[2]. إنَّ تصميم الروائي على اعتماد هذه العناصر الإشارية هو من أجل تحقيق تواصل بين السارد والمتلقي، وإقحام المتلقي في العملية السردية، حيث يشعر المتلقي بأنه يقوم بدور مهم في الخطاب ومشارك بدوره في تحقق الفعل التأثيري للفعل الكلامي.

ولقد كانت الإشاريات الشخصية للمتكلم (أنا نحن) حاضرةً في حوارات الشخصيات ومنولوغاتها مُعبرة عن ذواتها وهواجسها محدثة بذلك نوعاً من التداعي الحر."فالسرد بضمير الأنا هو تعبير عن وعي مشاهد يحتفظ ببعض الموضوعية"[3]. فلقد كان من دواعي السرد الروائي إقحام الشخصيات لتعبر عن ذواتها وأفكارها لخدمة الخطاب الروائي،

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:137.

[2]- إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، تر:محمد تنفو، ليلى حمياني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1، 2018، ص:113.

[3]- المرجع السابق، ص:117.

ومن ذلك اعتماد ضمائر المتكلم الدالة على الحضور (أنا، تحن) فاعتماد ضمير نحن كان كثيرا في الرواية من طرف الجماعة الثورية التي كانت في صدد التنظيم السري للثورة. يذكر السارد قول **شخصية أمقران**: "**أرى أن نعلن الثورة ضد فرنسا حين تنشغل بحربها مع الألمان إنها فرصتنا الأخيرة التي لا تعوض**"[1]. ويردف آخر وهو **شخصية العربي الموستاش** بقوله:"**لن نجد فرصة مثل هذه لقد دلّلناها كثيرا**"[2]. إنَّ العناصر الإشارية الدالة على الشخصيات المجتمعة للتحضير للثورة يُحيل إليها الضمير المستتر الدال على نحن في قولهم(**أن نعلنَ، لن نجد، دللناها**) فهي إشاريات دالة على مسميات وذوات، وإنَّ هذا النظام الإشاري يُفَعِّل العلاقة التداولية التي تنبني على علاقة اللغة بمستعمليها . إذ حدث تفاعل في ضمائر الحضور بين المجتمعين وحدث ما يعرف في التداولية بالتأثير والتأثر بالخطاب التلفظي. ويعود استعمال الضمير نحن في تداول القضية الوطنية بين الشخصيات الثورية لدلالة التعاون بينهم، وهو ما يظهر في تأويل الخطاب باطنيا ويؤكد الروائي باعتماده هذا الضمير في أن قضيتهم واحدة ولتحريك الأنفس ولتعبئتها لزعزعة الوجود الفرنسي في الجزائر وطرده، وكذلك تحريك أنفس المتلقين لها والتأثير في مشاعرهم للقضية التاريخية المتبناة.

واستعمل الروائي إلى جانب ضمير المتكلم (الأنا، نحن) الضمائر المتصلة(ياء المتكلم) التي تحيل إلى ذات الشخص وتشير إلى وجوده، يذكر السارد قول **شخصية حمامة** حين همَّت **وشخصية العربي الموستاش** بالهرب من بطش القايد عباس:"**كدت تقتلني، ركبتاي لا تقويان على الحركة، ألم أطلب منك ألاّ تفزعني**"[3] نلاحظ أن الأنا المتلفظة التي تحيل إلى شخصية حمامة، تخاطب شخصية العربي الموستاش، إذ اشتمل القول على ضمائر المتكلم ياء المتكلم الفاعل والضمير المستتر الذي يحيل إلى أنا **شخصية حمامة** (ركبتاي تقتلني، تفزعني، أطلبُ) وضمائر المخاطب تاء المخاطب والضمير المستتر الدال على الأنا والكاف تحيل إلى شخصية **العربي الموستاش** في بنيتها العميقة، فمن

[1] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر،ص: 486.

[2] - المرجع السابق، ص:486.

[3] - المرجع السابق، ص: 129.

خلال تتبع سياق الجملة نرى امتزاج الضمائر، ودعوة المخاطب في الكلام، وبروزه كمشارك في إنتاجه، ولقد أدت هذه الإشاريات دوراً بالغ الأهمية في تحقيق التواصل بين حمامة والعربي، فجاءت الضمائر مشتركة بين المتكلم والمخاطب، وإن **شخصية حمامة** في استحضارها للمخاطب تقوم بتأنيبه وتوبيخه عن فعله الذي يشبه الخاطفين، وبالتالي يكون في اعتماد هذه العناصر وامتزاجها، تحقيق التواصل والتأثير الذي تهدف إلى تحقيقهما التداولية.

2-1-1-2-ضمائر المخاطب:

إنَّ من ضمائر الحضور التي تشير وتحيل إلى شخوصٍ ضمائر المخاطب المنفصلة (أنت، أنتِ أنتما، أنتم، أنتن) والضمائر المتصلة، تاء الفاعل المخاطب وكاف الخطاب والضمير المستتر، وكذلك ضمائر النصب المنفصلة (إياكَ، وإياكِ، وإياكما، وإياكم، وإياكن) وذهب بنفينيست I.Benvinist إلى اعتبار الضمير Tu(أي المخاطب) صيغة الشخص الذي يُوجه إليه المتكلم الخطاب أمرٌ يوافق الاستعمال لهذه الصيغة"[1]. يبدو أنَّ ضمير المخاطب في أثناء التلفظ يُشاركهُ العملية التداولية الضمير أنا بالضرورة ويكون الكلام بينهما متناوباً يتبادلان الإشاريات خلاله، ومختلف الأقوال، ويثير مختلف القضايا والأفكار. "فإنَّ تخاطب شخصين يعني فرض اختيارات متعددة كطريقة الكلام، تركيب الجمل ...ثم موقف المتكلم إزاء مخاطبه من تحذير، تهديد، أمر، نهي ...وما يدور بينهما من حديث"[2]. يتضح أنَّ ضمائر الحضور المخاطبة تضطلعُ بدور الإشارة إلى المخاطب في التلفظ السردي، وبدور إنتاج الكلام ومشاركة المتكلم في العملية التلفظية وتحقيق التأثير والتأثر.

وبالنظر إلى **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** نجدها نوَّعت استعمالها لضمائر المخاطب بمختلف صيغه، ومن ذلك **ما** جاء من قولٍ على لسان **شخصية تركية زوجة سي رابح** في استضافتها **للعربي وحمامة** بعد فرارهما لسطيف "**أهلا بك يا ولدي، البيت بيتكم وحمامة في حفظ الله، فلا تحمل همها**"[3]. وفي قولٍ آخر وردَ على

[1]- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، المجلد الثاني، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001، ص:1089.
[2]- ذهبية الحاج حمو، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص:132.
[3]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:153.

لسان **شخصية يوسف الروج** مخاطباً شخصية **صالح القاوري"إذن أنت تصنف نبيك فرحات عباس في الطبقة الأولى لأنه مثقف ثقافة غربية، وتضع علماء الدين التقليديين السلفيين في الطبقة الثانية ؟"**[1]. إن ضمير المخاطب في الرواية يشير إلى أكثر من أسلوب وفعل كلامي توجيهي ما بين مضمرٍ ومستترٍ وظاهرٍ، تتنوع وتختلف نظراً لتنوع وجهات النظر والرؤى وتعدد الأصوات ولكن عدده مقارنةً بالضمير الغائب كان قليلاً، فالغالب يعود إلى السَّرد بالضمير الغائب، وبما أنَّ" ضمير المتكلم وضمير المخاطب تفسرهما المشاهدة"[2]. فإن العناصر الإشارية الخطابية في القول الأول (الضمير المتصل الكاف(بك) الضمير المتصل كم في (بيتكم)، والضمير المستتر أنت في الفعل (لا تحمل) فإنَّها تحملُ معنى الترحيب والدعوة من **(أنا) شخصية تركية** للمخاطب **(أنت)** الذي مثلهُ شخصية **العربي الموستاش**، وعلاقة المودة التي تشاركتها مع شخصية العربي المخاطب، وعنايتها بالمخاطب ودعوته ورعايته، فالضمائر هنا الخاصة بالمتكلم والمخاطب فسَّرَ إشارياتها وإحالاتها وتعييناتها حضورها ووجودها في الأمر وأبان عنها .

أما القول الثاني؛ فإنَّ العناصر الإشارية فيه الضمير المنفصل **أنت** للمخاطب، والضمير المستتر في الفعل (تصنف) والضمير المتصل كاف الخطاب(نبيك) والضمير المستتر الذي يحيل إلى أنت في الفعل(تضع) تشير إلى موقف المتكلم المُضاد للمخاطب والساخر والمتهكم، ومقارنته بالأنبياء، تعكس موقف الشخصيات والسارد من قضيةٍ هي من صميم الواقع وإبداء رأيه فيها، وهذا بإشراك المخاطب **(صالح القاوري)** بسؤال استفهامي يستلزم معنى معارض ساخر من موقف النخبة وفكرهم الغربي، والمقصد من ذلك إظهار وكشف الحقيقة المزيفة التي ترى في من يتتبع فرنسا وفكرها تحضراً ومن يتتبع الدين والعروبة تخلفاً، وإنَّ الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب أوضحت مُشيراتها انطلاقاً من حضورها ووجودها في الخطاب.

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص:405.

[2]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، ط:1، 1998، ص:397.

2-1-1-3- أسماء الإشارة:

إنَّ أسماء الإشارة من المبهمات الدالة على الحضور."فالإشارة كالضمير المبهم يفسرها المشار إليه، فهي متعلقة به، ومعنى الإشارة تدل عليه قرائن الأحوال من الإشارة باليد والإيماء باللحظ أو حركة الرأس والفم، فتدل على معنى يعلمه المتلقي في العالم الخارجي، فجرت الإشارة مجرى اللفظ في الخطاب، فعملت عمله، ولكنها أضيق استعمالا منه وأقل دلالةً، لغموضها أحيانا وتعسر استعمالها في غير حضور المتلقي والمعاينة، ولوجوب اقترانها بما يدل عليها في العالم الخارجي"[1]. يظهر أنَّ أسماء الإشارة من المبهمات والإشاريات التي لا تُفهم إلا بالإشارة إلى المُشير لفظاً أو إيماءً، ولا يتحققُ إلاَّ بحضورِ المتلقي،وهي تماماً لا تُفهم إلاَّ إذا ربطتها بما تشير إليه، وهذا ما تُعني به التداولية المتكلم والمستمع وحضورها في الخطاب، وصُنفت من الإشاريات الشخصية نظراً لأنها لا تُفسر إلاَّ لحظة حضور المتلقي، كما تستعمل للدلالة على الشخوص أو الجماد لغايات تداولية يفسرها السياق الذي قيلت فيه، ومن ذلك ذكر السارد قول سي رابح:**"هذا ضيفنا العزيز اختر له مكانا ملائما للنوم"**[2]. إنَّ عبارة **"هذا ضيفنا"** تضمنت إشارة إلى مُشار إليه لا يُفهم ويُفسر إلا من خلال حضورِهِ في السياق الكلامي، ولكي يتسنى للمتلقي معرفة ذلك المشار إليه لابد من معرفة سياق الحوار في الرواية، والظروف المحيطة بالمتكلم، فالمشار إليه هو **شخصية عيوبة** الوافدة من **قرية أولاد سيدي علي** لا ملجأ لها، والفعل الكلامي التوجيهي الأمري(اختر له مكانا لائقا للنوم) هو السياق الذي يبين حالة المُشار إليه، فنلحظ أنه حُذف وعُوض عنه باسم الإشارة (هذا) وقد عمد كاتب الرواية لهذه الإشاريات والتعويض بها، بناءً على نظام تداولي لغوي، وضرورة سردية جمالية.

ووردت الإشاريات باسم الإشارة في القول الذي يُظهر حدث أسر **شخصية الطاهر** أخ **حمامة** مقايضة لها من طرف **شخصية القايد عباس** وجماعته. يقول:**"ما نفعلُ بهذا الأسيرِ الذي ظلَّ مربوطاً كالكلبِ؟"**[3] إنّ عبارة (بهذا

[1]- محمود عكاشة، تحليل النص؛ دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي،ص:227،228.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:255.

[3]- المرجع السابق ، ص:307.

الأسير) تضمنت إشارة إلى مشار إليه باسم الإشارة (هذا) الذي عادةً ما يُشير المتكلم به إلى قريبٍ، وسياقُ الكلام في الحوار هو الذي أبان المشار إليه (شخصية الطاهر)، باعتماد الصفة الوارد ذكرها بعد اسم الإشارة(الأسيرِ) والفعل الكلامي التمثيلي (**ظل مربوطا كالكلب**)، فلقد وظف منشئ الكلام هذا النعت المعرفة بعد اسم الإشارة والتمثيل حتى يُحَقِقَ التأثير ، ويزيد من إدراك الواقعة وتمثُلِها وتصوُرِها في ذهن متلقي الخطاب، ويُقَربه إلى الحقيقة منه إلى الخيال. ويذكر الروائي قولاً آخر يُشير إلى شخصية غير حاضرة بين المتحاورين، بينما حاضرة في أذهانهم، يقول **سي رابح:"فعلا هذا رجلٌ لا يجود الزمان كثيرا بأمثاله، سيفيدنا كثيرا"**[1] كان لاسم الإشارة (هذا رجل) دور في الإشارة إلى شخصية يفسرها ويُعينها سياق الكلام الحواري ، الدائر بين شخصيتي **سي رابح والعربي والموستاش**، والمُشار إليه في الخطاب هو **شخصية خليفة** الذي أبهرهم بشجاعته الفذَّة، فكان سياق الكلام يحمل تعظيماً له وتمجيداً لبطولته في القضاء على القايد عبّاس.

ويعتني الروائي بالإشاريات من أسماء الإشارة الدالة على جماد، فيذكر في هذا الشأن قول شخصية **حسان بلخيرد** في حواره مع شخصية **فرحات عباس:**"هذه **أرضنا، لا ينبتُ فيها إلا الزيتون والنخيل**"[2]. استعمل الكاتب اسم الإشارة (هذه) ليشيرَ إلى جماد والمتمثل في الأرض ويحيل إليها، ويخصص بأسلوب الحصر ما ينبتُ عليها(الزيتون والنخل)، برمزيتهِ قاصداً العروبة مؤكداً على ذلك، ولقد كان للسياق دورٌ في تفسير اسم الإشارة وفك إبهامه، وتخصيص الوجود العربي لا سواه عليها، قاصداً المتكلم من ورائها درء كل الشكوك والنداءات الإدماجية في ذهن متلقيه.

إن استعمال الكاتب للإشاريات الشخصية الحضورية جاءت لمقاصد تداولية سردية وجمالية مختلفة تمكن المشير الشخصي الحضوري أي تعبر عن المخاطب والمتكلم وعن قضاياه وأفكاره، وصراعاته النفسية بحلقة تواصلية

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص331.

[2]- المرجع السابق، ص440.

بحيث يكون المشير الشخصي خاضعا للسياق، كما أن لأسماء الإشارة دلالات مختلفة لحكمها ويحددها السياق ويفسرها.

2-1-2-ضمائر الغياب:

تعدُّ ضمائر الغيبة عنصراً من عناصرِ الإشاريات الشخصية، ومن المُهمات الدالة على الغياب، "والغيبة قد تكون شخصية كما في هو وفروعه، وقد تكون موصولية كما في الذي وفروعه"[1]. إنَّ ضمائر الغيبة تتجسدُ في الضمير الغائب هو وفروعه: هي للمؤنث، هما لمثنى المؤنث والمذكر، هم للمذكر وهن للمؤنث والضمائر المتصلة والضمائر المستترة والأسماء الموصولة بمختلف أنواعها، ولقد تنوعَ حضورها في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** بين ضمائر الغياب والأسماء الموصولة ومنها:

2-1-2-1- ضمائر الغائب:

وترى **آن ريبول** أن ضمائر الغائب "يعبر عن الشخص الثالث الدال على فرد غائب عن اللاشخص(...) وهو الوحيد الذي يمكن أن يستعمل في الدلالة على الجوامد"[2]. تختلف ضمائر الغائب عن ضمير المتكلم والمخاطب هي أنها لا تشير للشخوص فحسب بل يُعتمد للدلالة على الجوامد أيضاً ، ويُنعت بالضمير للشخص الغائب اللاشخص، وتختلفُ عنها في"أن الضمير أنا أنت ونحوهما له دلالة في ذاته على المتكلم أو المخاطب، لكن السياق لازم لمعرفة من المتكلم أو المخاطب الذي يحيل إليه الضمير أنا وأنت، أما ضمير الغائب فيدخل في الإشاريات إذا كان حراً أي لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي، فإذا عُرِف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشاريات، ولا يدخل في الإشاريات الضمير غير الشخصي في نحو It rains في الإنجليزية، فهو ليس ضميرا حقيقيا True pronouns يشير إلى بعض الموجودات بل

[1] - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص:108.

[2] - جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي؛ التداولية، تر:مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، دار سيناترا، تونس، د:ط، 2010، ص:359،358.

هو في الحقيقة مورفيم نحوي شاغل لموقع تتطلبه قواعد التركيب الإنجليزي"[1] . إنَّ ضمير الغائب يدخل في الإشاريات إذا كان مرجعها خارج السياق اللغوي، لأن الإشاريات التداولية تهتم بما يقع في سياق التلفظ بين المتكلم والمتلقي، أما إذا كان مرجعها داخل النص ويعرف من السياق اللغوي خرجت من الإشاريات، وأضحت عنصراً تركيبياً لا غير، ولكن هناك من يعتبر الضمائر التي يفسرها السياق ويحيل إليها أو ما يصطلح عليه بالإحالة هو فرع من الإشاريات، فيذكر **جورج بول:**"أنَّ الإحاليات تفريع أو اشتقاق من الإشاريات، وأنَّها لا تعدو أن تكون مختصة بوظيفة مواصلة الإشارة"[2]. نلحظ مما سلف ذكره أن هناك تضارب في الآراء حول مراجع ضمائر الغياب، فهناك من يرى المرجع النصي إحالياً بعيداً عن الإشاريات، وهناك من يراه فرعا منشقاً من الإشاريات.

وتأسيساً على ما سبق فإنَّ الخطاب الروائي في **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**، ارتكز في سرده على الشخصية الثالثة أو اللاشخص، وهيمنَت بمختلف أنواعها على الحكي، ومن ذلك ما ذكره السارد:"**حين رفع رأسه وهو يسبغ الوضوء لصلاة العصر شاهد الموكب وقد أطلَّ من عطف الجبل الأسود، عجِلاً دخل البيت وهو يعيد ترتيب ثيابه، تلقتهُ ابنته سروله وفي عينيها سؤال كبير أجاب عنه بسرعة**"[3]. لقد برزت الإشاريات بضمائر الغائب بمختلف أنواعه في الشاهد السَّردي، إذْ كان السَّارد يتحدثُ ويصف **شخصية خليفة** مستعيناً بمختلف الضمائر الغائبة(المنفصلة،المستترة، المتصلة) لذلك، ولكنَّهُ لم يصرح ويذكر المرجع المقصود باسمه بل أشار إليه بالعنصر الإشاري اسم العلم(سرولة) مُعيناً على تفسير العنصر الإشاري الغائب، كما أنَّ اسم العلم وحدَهُ لم يكفِ ولا وجودها وإنما سياق الرواية بيَّن العلاقة والمكانة الاجتماعية لكلتيهما، كما اعتمد العناصر الإشارية الآتية للإشارة إليه.

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:18.

[2]- بشير دردار، الكتابة ورهانات الإقناع؛ مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012-2013، ص:193.

[3]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص61.

الجملة	العنصر الإشاري	المشار إليه
حين	ظرف الزمان	لفظة زمانية دلت على وقت رفع رأسه ورؤيته للموكب
رفع رأسه	الضمير المستتر في الفعل(رفع)الضمير المتصل في كلمة(رأسه)	خليفة
وهو يسبغ الوضوء لصلاة العصر	الضمير المنفصل(هو)الضمير المستتر في الفعل (سبغ)	خليفة
شاهد الموكب	الضمير المستتر في الفعل(يشاهد)	خليفة
وقد أطل من عطف الجبل الأسود	الضمير المستتر هو في الفعل(أطل)	الموكب
عجلاً دخل البيت	الضمير المستتر هو في الفعل(دخل)	خليفة
وهو يعيد ترتيب ثيابه	الضمير المنفصل(هو) الضمير المستتر هو في الفعل(يعيد)الضمير المتصل(ثيابه)	خليفة
تلقته ابنته سرولة	الضمير المستتر هي في الفعل(تلقت) والضمير المتصل الهاء،الضمير المتصل(ابنته)	خليفة /سرولة
وفي عينيها سؤال كبير[1]	الضمير المتصل في كلمة (عينيها)	سرولة
أجاب عنه بسرعة	الضمير المستتر هو في الفعل(أجاب) الضمير المتصل في حرف الجر(عنه)	خليفة

جدول توضيحي للإشاريات.

[1] - ينظر عز الدين جلاوجي،حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:61.

من خلال رصدنا للعناصر الإشارية في الشاهد، نلحظ أن السارد **حوبة** يروي للمتلقي أحداث وقصة **خليفة** وتزويج ابنته **سرولة**، ولذلك فالعناصر الإشارية الشخصية أغلبها تشير إلى شخصية خليفة، تخدم بشكل كبير النص من حيث إيصال المراد للمتلقي وإدماجه مع السرد، بتقريب الخطاب له، كما أنها قامت بتصوير حيثيات الحديث وتفاصيله وربط نسيج النص.

كما ساهمت الإشاريات الشخصية للغيبة في اتساق النص وانسجامه وهذا باللجوء إلى ما يعرف بالعنصر الإشاري الإحالي، هذا الفعل التداولي **anaphors** "إذ تطلق الإحالة على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر"[1]. إذن الإحالة تتم بعناصر دلالتها تكتمل بعنصرٍ يكون مذكوراً قبلها أو عنصراً مذكوراً بعدها، ويساعدها السياق اللغوي في تفسير وتأويل مدلولها، والإحالة أنواع من بينها الإشاريات المقامية التي سلفَ ذكرُها، الخارجة عن النص." والإحالة النصية داخل اللغة أو داخل النَّص(Endophora)، وتنقسم إلى قسمين إحالة على السابق أو الإحالة بالعودة(anaphora) وهي تعود إلى مفسر سبق التلفظ به والإحالة على اللاحق(Cataphora) وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها"[2]. يشير القول أن الإحالة النصية تتفرع إلى نوعين أحدهما يفسره العنصر السابق عليها في النص، والأخرى يفسرها العنصر اللاحق بعدها.

ولقد تنوعت الإشاريات الشخصية النصية في اللغة السردية، في مختلف الضمائر، ولاسيما في ضمير الغائب نظراً لهيمنته على الحكي، وسنستعرض هذا من خلال شواهد سردية. يذكر السَّارد شاهداً إخبارياً:**"ورفع سي رابح صوته مناديا أمقران الذي لبى سريعاً، ركبوا سيارته واستوى سي رابح في مقعدها الخلفي يضغط الطفل إليه، وهو ما يزال يجهش بصوت عالٍ، ردَ سي رابح في نفسه وهو يرى السَّماء قد غشيتها سحب مفاجئة، حين يبكي الأطفال**

[1]- الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث في ما به يكون الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:1، 1993، ص:118.

[2]- ينظر المرجع السابق، ص:119،118.

تبكى السماء"[1]. تنوعت العناصر الإشارية الشخصية للغيبة في الشاهد بين منفصلٍ ومستترٍ ومتصلٍ، فالضمير المتصل الإشاري الهاء في (صوته) يحيل إلى العنصر القبلي **سي رابح**، والعنصر الإشاري المستتر في (لبي) يعود ويحيل على ما قبله **أمقران**، والعنصر الإشاري المتصل واو الجماعة في (ركبوا) يعود ويحيل على الجماعة التي اعتلت السيارة، والهاء المتصلة بالاسم(سيارته) تعود على **أمقران**، والهاء العنصر الإشاري المتصل في (مقعدها) يعود ويحيل على الجماد السيارة، (هو) العنصر الإشاري المنفصل والهاء الضمير المتصل في (نفسه) والمستتر في (يرى) تحيل وتعود هذه العناصر الإشارية إلى المشار إليه السابق **سي رابح**، (وهو)الضمير المنفصل والضميرين المستترين في (ما يزال، يجهش) تعودان وتحيلان إلى المشار إليه الطفل الذي كان يبكي، أما الضمير المتصل في الفعل(غشيتها) يحيل إلى ما قبله فالمشار إليه هو السماء، وبالتالي هذه العناصر الإشارية في الشاهد السَّردي، والتي تحيل إلى شيء داخل النص يسبقها في السياق اللغوي، هي تدفع بالمتلقي إلى البحث في النص عما يعود إليه الضمير في النص، كما ساهمت في ربط جمل النص وانسجامه، وتناسبت هذه الضمائر الغائبة مع الدلالة واللغة السردية في الإقرار والإخبار والوصف الفني، وتمرير مقاصد المتلقي في معاناة الإنسان الجزائري أيام الاحتلال، فلم يسلم الطفل ماسح الأحذية من أنياب الاستعمار ولم يهنأ بمستقبل طفولي عادي الذي يأمله كل طفل.

كذلك يذكر السارد على لسان شخصية **خليفة**، على سبيل الإحالة البعدية:**"ومن قتل البُهلي لخضر غير القايد عباس ورجاله؟ أُقسم أنَّه هو الفاعل"**[2]. برزت الإحالة النصية بنوعيها في الشاهد التوجيهي، مُستعملاً في ذلك الروائي إحالة تعود على مذكورٍ سابقٍ، الضمير المتصل الهاء في (رجاله،أنَّه) والتي تشير إلى المشار إليه القايد عباس، أما العائد الإشاري في (هو الفاعل) تشير وتحيل إلى أن **القايد عباس** هو صاحب الفعل وهنا تبرز الإحالة البعدية النصية، وهي إحالة تجعل المتلقي يعيش التشويق في القراءة حتى يصلَ إلى المشار إليه البعدي ليفهمَ ويفسر المراد والمقصود من الحكي، كما تدفع به للبحث عن المرجع في ذلك، ولكننا وجدنا الإحالة البعدية قليلة مقارنةً بالإحالة القبلية التي كانت

[1]- عز الدين جلاوجي،حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:469.

[2]- المرجع السابق، ص:177.

أوفر حظا في الخطاب السَّردي. ومن هنا نصل إلى أنَّ الإشاريات الشخصية في **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** عبرت عن عملية التواصل التي قادتها ضمائر الحضور والغياب بمختلف أنواعها، إذْ اتخذت موقعاً مركزياً سياقياً في توجيه المعنى مقامياً ونصياً، وأبرزت الواقع الاجتماعي والتاريخي الذي أرادت الذات الساردة نقله، عبر هذه المُشيرات والمعينات التي سهلت عملية التماهي مع القصة والتعايش مع الأحداث والشخصيات، ومهما تباينت الإشاريات واختلفت إلا أنها ساهمت بقدرٍ كبيرٍ في ربط وحدات النص، وساهمت هذه المشيرات في بلوغ الروائي مقاصده التي يرمي إليها بإعادة إحياء التاريخ والشخصيات التاريخية بإعطائها فرصة التواصل والتداول والتعبير، وأعانت الروائي ومختلف الشخصيات في التعبير عن رؤاها وبلورة أفكارها.

2-1-2-2- الاسم الموصول:

تضم الإشاريات الشخصية الدالة على الغياب نوعاً آخر من الإشاريات وهو الاسم الموصول، إذْ لا تقتصر الإشاريات الشخصية على الضمائر فحسب، بل قد تنوب الإشاريات الموصولة مناب الضمائر."فإن لفظة الذي-مثلاً- تفيد معناها الذي هو الشيء المبهم في نفسها، لا في صلتها، وإنَّما تحتاج إلى صلتها لكشف ذلك (الإبهام ورفعه منها) لا لإثبات ذلك الإبهام في الصلة"[1]. يظهر أن الإشاريات الموصولة هي عناصر مبهمة دون صلتها، وعند اقترانها بها ينفك الإبهام ويستقيم الكلام."إذْ يكون الاسم الموصول إشارياً إذا ما دلَّ مع صلة على ذات أو مفهوم جرت الإحالة عليها بعد ذكره في النص"[2]. إذن الاسم الموصول تتحقق إشارته ويزول إبهامه بورود صلته التي أشار إليها أثناء الكلام، ويؤكد هذا تمام حسان بقوله:"أما الموصول فقرينته جملة الصلة التي تشرح المقصود به وترتبط به بواسطة ضمير فيها يعود عليه"[3]. يبدو أن الاسم الموصول هو من المبهمات التي لا تمتلك دلالة مستقلة، بل تتحقق وتمتلك دلالة بصلتها وما تحيل عليه، وتصنع بذلك ربطاً دلالياً وسياقياً بين الوحدات النصية، وبالرجوع إلى **حوبة ورحلة البحث عن المهدي**

[1]- محمد بن الحسن الاستراباذي السمنائي النجفي الرضي، شرح الرضي- لكافية ابن الحاجب- دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، ط:2،1993، ص:26.

[2]- الأزهر الزناد، نسيج النص، ص:153 .

[3]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص:111.

المنتظر نجد الروائي **عز الدين جلاوجي** استفاد كثيراً من الإشاريات الموصولة، والتي نستشف من خلالها تطلعات الروائي اللغوية، ومنحه النص اتساقا دلالياً فنياً بديع التركيب.

وبناءً على ما سبق يذكر السارد على لسان **شخصية العربي الموستاش** الحائرة مما يحدث **بمدينة سطيف:"عمي راح ما الذي وقع؟"**[1]. يظهر العنصر الإشاري الموصول في هذا الشاهد وهو (الذي) الاسم المبهم الذي لم تعرف دلالته إلا بصلته التي وردت بعده الجملة الفعلية (وقع) المتكونة من فعلٍ وفاعلٍ مستتر، فالاسم الموصول وصلته يشيران إلى أمر يستفسر عنه **العربي الموستاش** في هذا الفعل الكلامي الاستفهامي، والذي لم يتحدد من خلال السياق اللغوي، لأنَّه خارجَه يُفهم من مقام الحكاية، دافعاً هذا الفعل الكلامي المتلقي للبحث عن تأويلات وتفسيرات لبناء مدلولية الموصول وصلته.

ويذكر السارد على لسان شخصية **اليهودي شمعون المونشو:"لقد اكتشفنا أخيراً مقبرة المدينة، مدينة كويكول، المدينة الحالمة التي نامت تحت الأرض قرونا"**[2]. يبدو العنصر الإشاري الموصول (التي) وصِلَته (نامت تحت الأرض قرونا) الجملة الفعلية مُحيلا إلى المشار إليه القبلي(مدينة كويكول) مُحَققاً ربطاً بين ما تم ذكره وصلته بمرجعه، لفك ترميز الإبهام، مُساهماً في بلورة فكر اليهودي مُخبراً عنها، واضعاً المتلقي أمام فهم المقصود الدلالي للروائي من ورائها.

ويواصل الروائي اهتمامه بالإشاريات الموصولية وتوظيفها في المتن الحكائي، ومن ذلك ما أقرَّهُ السَّارد في قولهِ: **"ركزت سلافة نظرها على بيت عباس وراحت تتنبأ بالذي حدث"**[3]. إنّ العنصر الإشاري الموصول في هذا الشاهد (الذي) وصلته(حدث) يُحيل إلى قصد المتكلم، فهذا التعبير يحمل دلالة لا تفهم من خلال هذا السياق اللغوي، بل يدل عليه مقام الحكاية الذي تُشير إليه، إلى أحداث سابقة ولاحقة في الحكي، وهي بوصفها أداة ربط ساهمت في تحقيق هذا الاتساق الدلالي الإشاري وبلورة الأحداث. وبالتالي اعتمادُ هذه الإشاريات الموصولية المبهمة التي تحتاجُ إلى ما يوضحُ

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:369.

[2]- المرجع السابق، ص:199.

[3]- المرجع السابق ، ص:175.

غموضها ويُفسرُ معناها، بمُشارٍ في سياق اللغة أو خارجهُ معروفٌ لدى كل من السامعِ والمتكلم، حتى تكون واضحة المعنى بين مُتداولي اللغة، ظهرت في الخطاب الروائي حوبة بصفة مهمة قصدَ تحقيق زيادة في المعنى وكسر الرتابة المعتادة بتوظيف مزج إشاري لخلق التشويق والإثارة، كما أنَ هذا التعويض يدفعُ بالمتلقي للبحث عن ما هو آت أو سابق في الحكي، وهكذا هذا التنويع الإشاري يثري اللغة التداولية.

2-2- الإشاريات الزمانية: La deixis temporelle

يعدُّ العامل الزمني في الخطاب الروائي من العوامل الإشارية المهمة في تحديد الزمن التلفظي. "فالإشاريات الزمانية كلمات تدلُّ على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم، فزمان التكلُّم هو مركز الإشارة **deictic center** الزمانية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمرُ على السَّامع أو القارئ، فقولك مثلاً بعد أسبوع يختلفُ مرجعها إذا قلتها اليوم أو قلتها بعد شهر أو بعد سنة(...) فزمان التكلُّم وسياقهُ هما اللذان يحددان المقصود"[1]. يبدو أن الإشاريات الزمانية هي ألفاظ زمنية لا يُفهَم معناها إلا بتحقُقِ شرطين في العملية التلفظية وهي زمن التلفظ فهو نواتها، وبالسياق الذي يحدد مرجعيتها. "فيتجلى الزمن في اللغة بواسطة القرائن التي تتحدد بجوار الأفعال عند نهايتها، أو بواسطة الظروف(ظروف الزمان) التي تُدعى بالمبهمات الزمانية: الآن، اليوم، الغد، أمس، الأسبوع الماضي...أما لحظة الحديث أو الخطاب فتبقى المحور الذي تُرتَب بواسطته مبهمات الزمن"[2]. تتجلى الإشاريات الزمانية في ألفاظ دالة على الزمان، أفعالاً كانت أو ظروفاً، وتعدُّ لحظة التَّلفظ المرجع الذي يحال عليه. "وتقترح أركيوني تصنيفاً لتحديد مختلف المبهمات تبعاً لأزمنتها:

1- المبهمات التزامنية: استعمالها ودلالتها يقترن بالحاضر.

2- المبهمات القبلية: زمنها انقضى وفات.

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:19.

[2]- ذهيبة الحاج حمو، لسانيات التلفظ، ص:117.

3- المبهمات البعدية: الزمن الذي لم ينقض بعد.

4- المبهمات الحيادية: ومنها غير مُحدد، ودُعيت بهذا الاسم لأنها تخرج عن المبهمات المحددة بسبب اختلافها عنها"[1].

يظهر أنَّ تصنيف المبهمات والإشاريات الزمانية في القول كان انطلاقا من علاقتها بزمن التلفظ، إذْ هناك إشاريات سابقة لزمن التلفظ وإشاريات تضارع وتوازي زمن التلفظ، وإشاريات تشير إلى المستقبل أو ما لم ينقض بعد تبعا لزمن التلفظ، ويبقى زمن التلفظ هو المحدد الأساسي والمَركز الذي تنضبط له المبهمات، ويبدو أن قضية الزمن في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** كما ذكرنا سالفاً خضعت لتقنيات سردية، مكنتها من توظيف أزمنة مختلفة في سرد الحكاية الرئيسة والحكايات المجاورة، ومنها الزمن التاريخي الذي جرت فيه أحداث الرواية، وساهم في تأطيرها، وهو زمنٌ ماضٍ يعود لقبيل أحداث 8 ماي 1945 وإبانها، ومما لا شك فيه أنَّ توظيف الإشاريات الزمانية له تأثير في منطقية الزمن وإدراك محطاته وتراتبيته، ومساهمته في البعد التداولي للخطاب، ولذلك سيكون تركيزنا على الزمان النحوي ودوره في عملية التواصل، ومدى العلاقة بينه وبين السياق، ولقد أشرنا سابقاً إلى تقسيماته، الزمن السابق للمتلفظ والزمن الحاضر والموازي للتلفظ، والزمن المستقبل الذي لم يمض بعد.

وإنَّ من الإشاريات الزمانية التي تعمل على تأطير عملية التواصل داخل نطاقها الزمني ما وردَ في هذه الشواهد السردية. يذكر السَّارد:"**صار لأولاد النش في السنوات الأخيرة سيطرة مطلقة بعد أن اشتد عودهم وقويت شوكتهم، وأطلق الحاكم الفرنسي أياديهم في كل القبائل المحيطة بهم**"[2]. إننا نرى هنا مجموعة من الإشاريات الزمانية، فمنها صيغ الأفعال الدالة على الزمن الماضي(صار، اشتد، قويت، أطلق) إذْ كانت دلالتها دالة على الأحداث التي جرت في أولاد النش والتغييرات التي طرأت عليها بعد تفاوضها مع الاحتلال ووضع يدها بيده، والتي ارتبطت بالإشاريات الظرفية

[1]-C.K.Orecchioni,L'énonciation de la subjectivité dans le langage ,Armand Colin éditeur, Paris,1980,p47 عن ذهيبة الحاج حمو، لسانيات التلفظ، ص:117،118.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:20.

المبهمة(السنوات الأخيرة، بعد أن) فأصبحت الأفعال هنا لا تدل على زمن قبل التلفظ (الماضي) هذا لأنَّ القرينة المبهمة أخرجتهُ إلى زمن آخر، زمن يدل على الحاضر ومنه المستقبل، كما ساعد السياق على تفسير هذه الإشاريات حين قال: (**أطلق الحاكم الفرنسي أياديهم في كل القبائل المحيطة بهم**) إذن هذا الزمن هو الزمن الحاضر آنذاك، قبيل أحداث 8 ماي وقبل التحضيرات للثورة، والذي يضارع زمن الحكاية الأم. وهي رسالة من المرسل إلى المرسل إليه يحقق بها جانب مسكوت عنهُ بإجلائه وتوضيحه، والذي لطالما تحدثت عنهُ الروايات والشواهد وكتُب التاريخ، بموالاة بعض القبائل للاستعمار ، فقد استعمل الروائي هذه الإشاريات الزمانية التاريخية المتخيلة لتحقيق الدلالة التي من أجلها جاء القصد اللغوي.

ومن الإشاريات الزمانية التي أبرزت عدة قضايا وحكايا في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**، ما وردَ على لسان السارد في قولهِ :"**صلّى الشيخ لكحل الفجر متأخراً بعض الشيء هذا اليوم على غير عادته، مُمْعِنا في التَّذلل أمام الله رغبةً ورهبةً**"[1]. تظهر الإشاريات الزمانية في الكلمات الآتية(الفجر متأخراً، اليوم) هذه الإشاريات التي تدلُّ على الزمان ولكن الزمن غير مُعيَّن، زمناً مبهماً غير إشاري، وكذلك اعتمد صيغة الفعل (صلّى متأخراً) التي تدلُّ على الزمن الماضي، زمنًا مبهماً غير إشاري، ويبدو من السِّياق وتتفسر الإشاريات الظرفية، أنَّ ذلك الفجر شهد خطبة **العربي** على **حمامة**، وذلك اليوم استطاع **الشيخ لكحل** أن يتخلصَ من همِّه ومن سِجنه الذي وضعه فيه **القايد عبّاس**، ولقد حدثت الخطبة قبيل زمن التلفظ لذلك تأخر على غير عادته. وبالتالي المبهمات والإشاريات الزمنية لا تفهم ولا تفسر إلا بالعودة إلى السياق الخارجي الذي يمنحها مدلولات ومعانٍ خاصة، ولقد انجرَّ عن توظيف هذه المشيرات الزمانية تحقيق انسجام وتلاحم داخلي فضلاً عن الدلالة من وراء قصد المتكلم، ومُحققةً فاعليتها التداولية في سياقها في النص.

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:102.

وقد وظف الكاتب صيغاً زمانية أشار فيها إلى ذلك الزمن الذي يربط حوبة بالكاتب، فذكر السَّارد: **"كانت حوبة قد روَّت لي الحكاية منذ أسبوعين تقريبا، وأنا أجلسُ مُرتخياً مُتلذِذا بشهوتها، وكنت حريصاً على التقاطِ كل تفاصيلها"**[1]. لقد اعتمد الروائي في هذا الشاهد إشاريات زمانية زمنها قد مضى (منذ أسبوعين تقريبا) والتي تدل على زمنٍ غير مُعيَّن مبهم، واستعمل إشاريات زمانية كانت صيغ أفعالٍ لتحقيق الدلالة المعنوية (كانت، روت، أجلسُ، كنتُ) تدلُّ على الزمن الماضي الذي حدث وانقضى، وإنَّ هذه الإشاريات يُفسرها زمن التلفظ الذي كان السارد يتحكم في زمامِه، والسياق التلفظي الذي يشير إلى حاضر السارد الذي كان يعود بنا بكلماته إلى أسبوعين قبل هذا ولقائه بحوبة، ويذكرنا بلحظات السرد رفقة حوبة، فقد كانت تلك اللقاءات التي تدور وتُبرم تتداول قصصاً وحكايا كانت فيها حوبة المرسل (السارد) والمتلقي لها هو (الكاتب)، فقد استعملَ الكاتب غرضَ فهم قصده اللغوي هذه المشيرات الزمانية، فساهمت في تحقيق القصد وإيصاله للمتلقي وبلورة الحكاية.

ومما وردَ في الإشاريات الزمانية ما جاء في هذا الفعل الكلامي التوجيهي الذي يشير **لشخصية العربي الموستاش. "يا العربي موستاش، أنت من الآن ستصير ابن هذه المدينة ويجب أن تعرف عنها كل شيء"**[2]. إنَّ هذا الشَّاهد يدلُ زمنه على الحاضر زمن التلفظ، الحاضر الذي جمع شخصية **العربي الموستاش** بشخصية **سي رابح** في سطيف بعد فراره **وحمامة** من بطش **القايد عباس**، مُستعينا فيه الروائي بالعنصر الإشاري المبهم (الآن) والذي يدلُّ على الماضي في الحكاية ومضارعة الفعل للحال وتزامنيته معه، وهذا بالقياس إلى زمن التلفظ الآني الذي قيلت فيه، أما صيغ الأفعال(ستصير، يجب أن تعرف) فهي صيغ زمانية تشير إلى الزمن الحاضر وما يُستقبل من الزمن، لأن الحروف(السين، وأي المصدرية) دلت على المستقبل الذي ينتظر الشخصيات في مدينة سطيف، وأدى معنى الاستقبال في هذا المقام توقع ما سيحدث لشخصية **العربي الموستاش** في قادم الأيام وفي قادم الرواية واستشرافاً لما سيقع،

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:132،131.

[2]- المرجع السابق، ص:146.

وتصبح هذه المشيرات الزمانية بعدية تنتقل إلى ما لم يحدث وينقض بعد. ومعنى ذلك أنَّ الزمن يتحدد انطلاقاً من المتكلم الذي يمثل مركز الإشارة الزمنية، وهنا يتضح أنَّهُ زمن وحاضر العربي الموستاش.

وتتوالى الصيغ الزمنية في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** بشكلٍ مُلفت للنظر ومن ذلك ما رواهُ السارد على لسان إحدى الشخصيات:**"فشلت ثورة المقراني سنة 1871، ثم فشلت أيضا ثورة الأوراس 1916، يجب أن نُعِدَّ العدَّة لثورتنا نحن أيضا، هذه الأرض مازالت ضمئةً إلى دماء الطاهرين"**[1]. إنَّ هذا الشاهد السردي يستحضر فيه الروائي ثورات مجيدة في تاريخ هذه الأرض، مستعيناً في ذلك بالمشيرات الزمانية (سنة 1916،1871) والتي تدلُّ على الزمن الماضي، وقيمتها الدلالية التداولية تتضح في تسليط الضوء عليها لارتباطها بمنطقة سطيف وما جاورها من مدن، وبروز شخصية المقراني الرافضة للاحتلال، وثورة الأوراس هي الأخرى ثورة شعبية لم ترتبط باسمٍ معين، بل ثورة بإيعاز جماعي مرتبطة بالشرق الجزائري، اشتعلت لهيبًا لأسباب هي نفسها الأسباب التي جعلت العربي الموستاش وجماعتهُ يعدُّون لثورتهم وهنا المشيرات الزمانية تدلُّ على الزمن غير مبهمة، لأنَّها ارتبطت بأسماء شخصيات وثورات مثلت مُشيرات شخصية وفسرت بدورها وبالسياق التاريخي الذي وُضِعت فيه هذه الأرقام وجعلتها تحمل دلالات وتُدلي للمتلقي بأخبار.

ومن الإشاريات الزمانية القبلية التي تحمل الكثير من الأحداث ما ذكرَهُ السارد: **"قبل أن ينزرع الفجر انزرع الجميع في أزقة المدينة يتحسسون بلخير الصغير، وخاص البراح كل الأحياء مُنادياً بأعلى صوته: يا سامعين الخير والعافية، ضاع البارحة طفل"**[2]. استعمل الروائي العنصر الإشاري ظرف الزمان (قبل) بوصفه إشارة زمانية قبلية مُشيراً إلى المكان (الأزقة) قبل وقوع التغيير عليها، والتي امتلأت بالجميع باحثين عن **الطفل بلخير** ابن **العربي الموستاش**، ومن جهة أخرى اعتمد الفعل(يتحسسون) الذي يشارُ فيه إلى الزَّمن الحاضر الحالي النحوي (حاضر الجماعة وهم يتحسسون) المتزامن مع زمن التلفظ مقارنة مع الفعل (ضاع) والظرف (البارحة) اللذين يشيران إلى الزمن القبلي الذي

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص:214.

[2]- المرجع السابق، ص:339.

حدث فيه ضياع الطفل ، فالقيمة التداولية الإيحائية التي أدتها هذه المُشيرات الزمانية القبلية إبلاغ المتلقي بأخبار الشخصيات وأهم الأحداث التي جرت لهم والاصطدامات مع الشخصيات الأخرى وإشراكهِ في عملية الحكي باستثارتهِ، وهذا لأنَّ ظرف الزمان القبلي يبين الزمن الذي حصل فيه الفعل.

استغلَ الروائي **عز الدين جلاوجي** التاريخَ كثيراً في نسج حكايته، باستلهامهِ لهُ ولأهمِ أحداثهِ والتي شكلت مُنعطَفاً مُهِماً في الحكاية، إذْ ارتبطت الإشاريات الزمانية بعديد من الأحداث التاريخية ومن ذلك ما جاء على لسان إحدى الشخصيات. تقول: **" استعدوا فإن ساعة الصفر قد قربت، فلنعِد أنفُسنا للثورة"**[1]. اعتمد الروائي في هذا الشاهد فعلاً توجيهياً أمرياً (استعدوا) والذي لا يستعمل إلا مع المخاطب (الإشاريات الشخصية الدالة على الحضور(أنتم))، بالقيام بأمر فيما استقبل من الزمن، ومن جهة أخرى اعتمد الإشاريات المبهمة(ساعة الصفر قربت) والتي تدلُّ على الزمن غير معين يفسره السِّياق هو الساعة المتفق عليها، لاندلاع الثورة والتي تحضر لها جماعة الثوار (العربي الموستاش وجماعته) لتحقيق الاستقلال من براثن العدو. فهذه المُشيرات الزمانية الموظفة تحمل قيمة تداولية مهمة في إبراز مقاصد المتكلم، والمعاني المطلوب إيصالها للمتلقي، فهي إشارة زمانية تسير في منحى تاريخي وتُوحي إليه لتُوهمَ القارئ بواقعيتها وتشدُّهُ إليها. ويضيف السارد باعتماد الفعل التقريري الإخباري سرد الأحداث قبيل أحداث 8 ماي واجتماعات الشخصيات ليُرسخَ المنحى التاريخي بقولهِ: "**في الغد اجتمع أعضاء حزب الثوار في محل أمقران لتدارس الوضع**..."[2]. نلحظ في هذا الشاهد السردي ورود إشاريات زمانية بعدية(في الغد) تشير إلى المستقبل، تشير إلى اليوم الذي يلي اليوم الذي جرى فيه الاجتماع التحضيري للمسيرة السلمية، وأهمّ النقاط التي تناولها حزب الثوار قبل المشاركة فيها، وكأن الروائي بهذه التفاصيل الزمانية. يعيد إحياءها في نفوس متلقيه، وتأملها عن كثب بمشاركة الشخصيات التاريخية والمتخيلة الأحداث، ومعاينة الشَّرك الذي وقع فيه الجزائريون يومها بروح سلمية أودت بالآلاف إلى حتفهم.

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص:535.

[2]- المرجع السابق، ص: 543.

ويُضيف الروائي ليُرسخَ المنحى التاريخي بقول السارد : **"لقد قتلوا في تلك الأحداث خمسة وأربعين ألفا من الأبرياء، بدأت بسعال بوزيد وسلافة الرومية وامتدت كالنار لتلتهم كل شيء"**[1]. لقد جعل الروائي من استدعاء التاريخ في الرواية رصيداً مرجعياً، ولم تتوان في ذكر أهم المحطات الزمنية فيه، ومما يثبت الهوية والأصالة التاريخية العناصر الإشارية التاريخية، الفعل الماضي(قتلوا) الذي يدل على حدث جرى والعنصر الإشاري اسم الإشارة(تلك الأحداث) الذي يدل على زمن غير معين، إلى أن استعمل الأعداد العدد والمعدود(خمسة وأربعين ألفا من الأبرياء) هذا العنصر الإشاري واسم العلم(سعّال بوزيد) أول شهيد في أحداث 8 ماي 1945، فإنهما يفسران ويُعَيّنان الأحداث التاريخية، وإنَّه بهذا يتماهى مع التاريخ تصويراً لأحداثه وتعمقا في مشاهده ومواقفه وردود أفعال شخصياته ومصائرهم وتطلُّعاتهم الكبرى لتحقيق الاستقلال، ليس رغبة في إعادة تأريخه بقدر ما جعله جسراً تواصليا بين الماضي والحاضر، يجس نبض شخصياته ويسمع أنين وصرخات أبطاله، اعتمدهُ ذريعةً ليُعيدَ قراءته ويفتح مجالاً للتحاور مع شخصياته وإعطائها فرصة للتعبير عن آرائها ومواقفها.

يتبين أن الإشاريات الزمانية أساسية في بناء الخطاب اللغوي، ولا يمكن تصور اللغة دون الزمان الذي يؤطّرها، ويؤطّر الأحداث، وأنَّ توظيف الإشاريات الزمانية تداولياً يعمل على تحقيق فهم المتلقي وإدراك الملفوظات والأحداث والمعاني داخل السياق، واستيعاب الحكاية والمواقف الإنسانية ومُختلف الرؤي والأفكار، فلولاه لما كانت الحكاية منتظمة الأحداث مضبوطة الأدوار، ولقد تنوعت الإشاريات الزمانية في حوبة بين مبهمة تسترجي زمن التلفظ والسياق لتفسيرها، وبين إشاريات زمنية غير مبهمة تحمل دلالتها وتُعينها، ولقد كانت الإشاريات الزمنية التاريخية بارزة في الخطاب اللغوي الروائي نظراً لتماهي الرواية مع التاريخ واستلهامها أحداثه وأهم الوقفات التاريخية فيه وهذا يعود للخطاب السردي والروائي الذي وظفها قاصداً إشراك المتلقي في عمليات التأويل وإشراكه في الأحداث التخييلية التاريخية.

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص:556.

3-2- الإشاريات المكانية: La deixis spatiale

يعدُّ مكان التَّلَفُظ من العناصر الأساسية في تشكيل الخطاب الرِّوائي، فهو الوعاء الذي تجري عليه الأحداث ، وتتحرك الشخصيات وتتفاعل، ويختلف وروده في كلِّ نصٍ روائي، بحسب رؤية الكاتب ووجهته وخبراته القبلية في تشكيله، ولا يختلف اثنان في أنَّ هناك نوع من الإشاريات يشار بها إلى المكان تتواجد في كل خطاب روائي وغير روائي، فهذه العناصر"هي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السَّامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قُرباً أو بُعداً أو وِجهة، ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل هذا وذاك، وهنا وهناك ونحوها إلا إذا وقفوا على ما تُشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر Physical context immediat الذي قيلت فيه "[1]. ومن هذا القول يتبين أن الإشاريات المكانية هي عناصر تشير إلى المكان في خطاب ما، ولا تتعين و تتفسر هذه العناصر إلا بتحديد مركز الإشارة الذي قيلت فيه، لأنه المحدد للجهات المكانية، وتضيف **ذهبية الحاج حمو** "أن الشيء الذي يحدد المكان (القرب، البعد، الخلف، الأمام...)هو وضعية المتكلم (وضعيته الجسدية) في لحظة الحديث، وكذا إشارته"[2]. يقتضي تحديد المكان ووجهاته هو الوضعية الجسدية للمتكلم، فهو يرتكز على علاقة الإنسان بالمكان حتى يستطيع المتلقي إدراكه وتفسيره.

كما يتعين المكان ويتحددُ في الخطاب انطلاقاً من أمرين إذْ "تقاسُ أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقاً من الحقيقة القائلة إنّ هناك طريقتان رئيسيتان للإشارة إلى الأشياء:إمَّا بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، وإمَّا بتحديد أماكنها من جهة أُخرى"[3]. إنَّ التأشير المكاني مهمٌ"العملية التخاطبية، ومن بين المؤشرات المذكورة تحديد الأسماء أو الوصف، لتحديد المكان في العملية التخاطبية ومن قبيل ذلك(المدينة، القرية، المسجد، القبة) وعلاقته

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:21.

[2]- ذهبية الحاج حمو، لسانيات التلفظ، ص:124.

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص:84.

بالإنسان، وإما بتحديد الأماكن باعتماد المهمات. وتذهب **ذهبية الحاج حمو** إلى تقسيمات الإشاريات المكانية في كتابها **لسانيات التلفظ** فترى:"أنَّ من منظور علم التركيب تتوزع المهمات المكانية إلى قسمين: أسماء الإشارة Démonstratifs والظروف Adverbes وإنْ وجدت بعض أسماء الإشارة كمهمات حقيقية مصاحبة لإشارات المتحدث(هذا، هذه، هؤلاء...) فهناك بعضها يجمع بين المعنى المعجمي والقيمة الإبهامية، مثل: تلك الطاولة"[1]. إنَّ استخدام أسماء الإشارة بأنواعها التي تشير إلى القريب أو البعيد، تعدُّمن محددات المكان، ومؤشراته، مُرفقة بوضعية المتكلم لتفسيرها، كما يتحدد المكان بوجود الظروف المختلفة لذلك. " فتتنوع المهمات الظرفية إلى أنظمة صغيرة متقابلة- Micro structure opposées من قِبل:هنا/ هناك، يسار/ يمين، خلف/ أمام، قرب/ بعد....تضمن هذه الأنظمة قيمتها انطلاقا من الإشارة، وضعية وتوجيه جسم المتحدث، وكل تعديل فيه الوضعية يعني تعديلاً في المكان"[2]. نجد إلى جانب أسماء الإشارة وشيوعها في تحديد المكان القريب منه والبعيد، هناك الظروف بمختلف أنواعها تحمل معنى الإشارة والتي لا تتحدد إلا بوضعها في سياقها الخطابي، بالإضافة إلى وضعيات المتكلم وحركتهِ، ولقد وجدنا لها انتشارا واسعا في خطاب الرواية، وقد جاءت محملة بمختلف الدلالات والمقاصد عبر من خلالها الروائي بأسماء وأدوات دالة عن المكان عن رؤاه ورؤى شخصياته.

2-3-1- المؤشرات المكانية:

لقد اشتغلت الرواية كثيراً على تشكيل الحيز المكاني مُستخدمةً في ذلك الإشاريات المكانية، ومنها الإشارة لمكانٍ بالاسم في مواضع متعددة ليُعبرَ فيها المرسل عن مقاصدِهِ المختلفة. " ففي الإشاريات المكانية: يقتضي الخطاب وجود المرسل في مكان ما حين التلفظ (بالخطاب) ولا ينفك المرسل عن المكان عند التلفظ، وهذا ما يضفي على هذا النوع من الملفوظات الإشارية فاعلية تسهمُ في إنتاج خطاب متميز، فيه تتحدد المواقع، والحدث الكلامي من خلال الانتساب إلى

[1] - ذهبية الحاج حمو، لسانيات التلفظ، ص:124.

[2] - المرجع السابق، ص:125.

نقاط مرجعية، عن طرق تسمية أو الوصف أو تحديد الأماكن"[1]. يظهر من القول أن المؤشرات المكانية تحدد وتشير إلى مكان ما بالاسم في الخطاب وتعيِّنُه مراعيةً في ذلك المرسل ومكان التلفظ، ويرى محمود عكاشة في هذا الشأن: "أن المكان بعدٌ أساسي يحس به الإنسان ويؤثر في وجوده وكينونته، وإحساسه بالمكان أسبق من إحساسه بالزمان، غير أن إدراكه للمكان يقترن بأبعاد حسية مادية، ويقترن إحساسه بالزمان بأبعاد ذهنية شعورية (...) ويدخل فيها أسماء الأماكن، وهي تدل على أشياء في العالم الخارجي وهي بمنزلة التعيين والتوثيق"[2]. إذن المؤشر المكاني يعد بُعداً مهماً في تكوين الإنسان يؤثر فيه ويتأثر به، ويكتنه حياته والحياة الثقافية والفكرية حوله.

ونجد للمؤشر المكاني انتشاراً مكثفاً في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** كاشفاً عن مقاصد الشخصيات وأفعالها، مُحَملاً بدلالات عميقة، مُفسحاً المجال لمختلف القيم والأفكار والأيديولوجيات في بلورته وتشييده، كما يبدو المكان في حوبة تمثيلاً نموذجياً للتاريخ والحاضر معا. وعليه ظهرت شخصيات في الرواية تبدو متأثرةً بالمكان، ولا نعثر على حيز مكاني في الخطاب السردي إلا ويُظهر هذا التفاعل المتبادل، وإنَّ المؤشرات المكانية التاريخية برزت بروزاً ملفتاً في السرد، لترويَ لنا حكاية مقاومة وحكاية المواقع التاريخية وما شهدَته من أحداث مهمة وقدرتها على مواجهة الأخطار، ومن ذلك : ما جاء على لسان شخصية حسان بلخيرد يقول :" - **كم هي جميلة هذه العاصمة !**

- **كأني أسمع أنات هذه العروس الأسطورية، أسمع صرخات الأبطال الشجعان الذين ماتوا ها هنا منذ أكثر من مئة عام ليمنعوا تقدم جراد البحر"**[3].

[1]- سارة عبد الملك شريف، فاعلية الإشاريات المكانية في التشبيهات النبوية، مجلة الجامعة الاسلامية للغة العربية وآدابها، العدد الخامس، الجزء الأول ، ماي أغسطس2022/ الجامعة الاسلامية المدينة المنورة، ص:364.

[2]- محمود عكاشة، النظرية البراجاتية اللسانية(التداولية) في دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط:1 ،2013، ص:85.

[3]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص: 452.

الروائي عز الدين جلاوجي يشير إلى المكان من خلال كلمة (هذه العاصمة، العروس الأسطورية)، وكأنه يريد أن يعود بالمتلقين لينبشَ بذاكرة هذه الأرض التي انتفضت منذ الأزل ضد الأعداء، ويخبرنا عن معاركها الطاحنة لمنع تقدم المحتل من وراء البحار فتوظيف هذا المكان له دلالة واضحة أنها عروس المتوسط ورمز مقاومة الغزاة عبر العصور، غنية بمعالمها وتاريخها، كما يحيل إلى قيمة تداولية بوعي الكاتب بهذه الأرض التي شهدت عديداً من الغزو عليها، واستبسالها ومقاوماتها في ردّ ما يأتي به البحر من مغتصبين.

ويذكر الروائي أيضا مُشيرات مكانية ارتبطت بأحداث 8 ماي 1945 التاريخية، فيقول السارد: "**أيقظ أطفال الكشافة المدينة مع الصَّباح الباكر، وهم يندفعون بلباسهم الموحَّد باتجاه مقر الكشافة، ثم راح الجميع يتو افدون على مسجد المحطة كأنهم السَّيل المنهمر، واكتظت بهم الباحة والشوارع المحيطة نساءً ورجالاً، كباراً، وصغاراً...**"[1]. أشار الروائي إلى بعض الأمكنة في القول بأسمائها والمتعلقة بمدينة سطيف (المدينة، مقر الكشافة، مسجد المحطة، الباحة، والشوارع) وأراد من خلال ذلك أنسنة المكان وجعله يخبر عن أجواء المسيرة التاريخية، وأنَّه القائد الثوري الذي أيقظ الشباب النساء والرجال للانتفاضة، ودفعهم عن بكرة أبيهم في مختلف الأمكنة في المدينة، ولقد كان السياق المادي متوفراً في القول وهذا من خلال التحديدات الوصفية التصويرية التي اعتمدها الروائي لتقريب الصورة للمتلقي، وحمله على تأمُلها وتمثلها ذهنيا، وتحريك ذاكرته توقاً للمعرفة وفضوله للبحث في حيثيات الأحداث وإعادة قراءتها وتركيب جزئياتها، فأعطى الروائي للمكان التاريخي كغيره من عناصر السرد الفرصة للمواجهة بإعادة الاعتبار له وإنصافه تاريخيا.

ويذكر الروائي أيضاً في صدد المؤشر المكاني قول السارد:" **مكانٌ واحد بقيَّ على حالتهِ، قُرابة سيدي علي الولي الصالح، دخلناها وقد جللنا الوقارُ، كان للمكان رهبةً، لا تعبق بها الجدران ولا السقفُ ولا الأرضُ، ولكن روح الولي**

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص:545.

الصالح التي كانت تُحلِقُ في المكان فتملأهُ طُهراً ونقاءً"[1]. فأشارَ الروائي في هذا القول إلى مكان جغرافي ذي ذاكرة صوفية، مُرتبط بالكرامات والأولياء الصالحين، لهُ حضورٌ قوي في الرواية وفي علاقة الشخصيات به (قُرابة سيدي علي الولي الصالح) الذي عُدَّ مُتنفس للشخصيات ومشفاهم الروحي، لا تنفك الشخصيات في التردُدِ إليه والافتخار به وبالانتماء لهُ، وتعدادِ مزاياه وكراماته الخارقة، مُحاولاً الروائي تسليط الضوء عليه بإبراز رؤيتهِ ورؤى الشخصيات الروائية التي لها إيمان بهذه الخوارق، ليترُك المتلقي يفسر هذه الدلالات ويؤولها وفق ذاكرته ورؤيتهِ، ويقارن سذاجة الشخصيات وقِصر نظرها في الاعتقاد بأشياء زائلة، ورؤية السارد المسترسلة في الحكي وثناياه المنبثقة من رؤية الروائي الناظرة للأمرِ نظرة عقلانية لا تخلو من نقد. وبهذه الإضافة منه للمشيرات المكانية المتعلقة بالعجيب وبكرامات المُتصوفة التي تفوق خيال البشر مقاصد، ووظيفة تواصلية مع القارئ، فهو يرومُ من ورائها إشعار المتلقي باللذة والإمتاع، ويمررُ عبرها الكثير من الإيحاءات الضمنية التي تستقرُّ في لا شعورِه. ويتبين مما سبق أنَ المؤشرات المكانية شكلت بُعداً أساسياً في بناء الخطاب السردي اللغوي، فلا يُمكن تصور الحكاية دونهُ، فهو الفضاء التي تجري عليه الأحداث، وتتفاعل الشخصيات، مؤثِثاً لها ومُهندِساً لوجودها الجغرافي، ولقد استغلها الروائي عز الدين جلاوجي بشكلٍ واسع ومكثَّف في خطابه الروائي، مُظهراً علاقتها التداولية مع الشخصيات ودورها الفعال في بلورة الأحداث وتناميها.

2-3-2- المؤشرات الظرفية:

إنَّ من الصيغ الإشارية الدالة على المكان والمنتشرة في خطاب الرواية انتشاراً واسعاً الظروف Adverbes "فظروف المكان التي تحملُ معنى الإشارة إلى قريبٍ أو بعيدٍ عن المتكلم، وسائر ظروف المكان مثل: فوق، وتحت،وأمام، وخلفَ...إلخ كلُّها عناصر يُشار بها إلى مكان لا يتحددُ إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه"[2] . يستندُ المتكلمُ في خطابهِ إلى جملة من الأسماء والظروف للإشارة إلى أماكن مختلفة جغرافية، ولا تتعيَّنُ هذه الظروف وتتحدد إلا وفقَ موقع المتكلم الذي يعدُّ مُفسِراً لها، وظهرت في رواية **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** جملة من الظروف والأسماء المُحيلة

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:139.

[2]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:22.

والمُشيرة إلى أفضية جغرافية شغلتها الشخصيات الروائية وشكلت مركزاً لها، ومنها ما يذكُرُهُ السارد على لسان **شخصية اليهودي مونشو:"لقد اكتشفنا أخيراً مقبرة المدينة، مدينة كويكول، المدينة الحالمة التي نامت تحت الأرضِ قروناً، سأثبتُ لفرانكو اللعين أنَّ جدي كان هناك قبل مجيء أجداده الرومان"**[1]. تظهر في القول إشاريات مكانية مختلفة، فمنها الإشاريات التي تُحيل إلى المكان وتسَميه وتُعيّنهُ (مقبرة المدينة، مدينة كويكول) ،ومنها الإشاريات التي تحيل إلى المكان ولكن لا تُخصِصُهُ ولا تُعيّنُهُ إلا بالاعتماد على سياق التلفظ، وهي المُشيرات الظرفية المتمثلة في (تحت الأرض، هناك) التي تحمل دلالة المكان وتومئ إليه، ويُفسرها السياق التلفظي والمقصود بها (مدينة كويكول) والغرض التداولي الذي يرمي إليه الكاتب باعتماد هذه المشيرات المكانية والأسماء ذات الدلالة المكانية، تعرية حقيقة ونوايا اليهود والنصارى من هذه الأرض وألاعيبهم الدنيئة للوصول إلى مآربهم باحتلال الأرض واستباحتها واستغلال ثرواتها، وفتح العين الثالثة للمتلقي لفهم أساليبهم ماضياً وحاضراً وهذا بقراءة التاريخ بمرآة الحاضر.

ويواصل الروائي عز الدين جلاوجي اعتمادهُ المُشيرات الظرفية للإحالة إلى أماكن جغرافية مختلفة في الخطاب السردي. فيذكر السارد:"**دخلَ العربي الموستاش حي اليهود، وراحَ يتجول في شوارعِه مُتنقلاً بين دكاكينهِ(...) تجول في المقاهي العربية، شرب هنا قهوة جزوة، وهناك حاراً، مُتصفحاً كل الوجوه لا أثر لخليفة..**"[2]. استعان الروائي في هذا القول بمختلف الظروف المشيرة للمكان والدالة دلالة مكانية عليه ومنها (في شوارعهِ، بين دكاكينه، في المقاهي العربية) فاقترنت هذه الجمل والأسماء ب (في) الظرفية وحولتها إلى ظروف. "فالرأي الشائع بين جمهور النحاة، أن من الممكن في أسماء المكان المختصة أن تكون ظروفاً، وأنَّها إذا أُريد بها معنى دلالة الظرفية وجبَ اتصالُها بفي"[3]. إذن أسماء المكان المذكورة في القول لم تكن دالة على الظرفية إلا حين اتصالها ب(في) الظرفية و(بين) التي حملتاها الدلالة

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:199.

[2]- المرجع السابق، ص:329.

[3]- علي أبو المكارم، التراكيب الإسنادية ؛ الجمل (الظرفية، الوصفية، الشرطية)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1، 2007، ص:25.

الظرفية. واعتمادُهُ (هنا، هناك) "فخُصِصَت هنا وهناك وهنالك وثم وثمة للإشارة إلى المكان"[1]. أُستعملت (هنا) للإشارة إلى المكان القريب الذي لم يتعين ويتخصص إلا بوروده في سياق مادي (شرب القهوة)، ووُجد اسم الإشارة (هناك) الذي التحقت به كاف الخطاب، والذي يُحيل ويُشير إلى مكانٍ ويُعينهُ بالإحالة إليه (مكان إعداد قهوة حارة) وأفادت الإشارة بالظروف هنا معنى تداولي بالإشارة إلى سياقات خطابية، تتضحُ قيمتها التداولية فيما تؤدي من وظائف داخل النص بالإشارة والإحالة إلى دلالات مختلفة، ومساهمتها في تماسك النص وترابطهِ، إضافةً إلى ذلك كونها إطاراً يحتوي أفعال الشخصيات.

ومن المشيرات الظرفية التي تحمل دلالات وتُشير إليها داخل النص، وتتطلبُ من المتلقي التأمل والتأويل، ما ذكرَهُ السارد في قولهِ: "**حين وصلوا إلى مسجد المحطة كان الناس قد تكاثروا أمامه، وكان بعض الشباب يوزعون منشورات مُعادية لفرنسا ولليهود، وتفرَّقَ بعضهم هنا وهناك يخطبُ في الناس**"[2]. استخدمَ الروائي عز الدين جلاوجي في القول إشاريات ظرفية تُحيل إلى المكان وتدلُّ عليه، ومن ذلك(إلى مسجد المحطة، أمامَهُ) **فيتعين** المكان هنا باعتماد الاسم (مسجد المحطة) ويُخَصص، هذا المكان الذي يحمل قيمة تداولية لأنَّهُ يشكل بداية الوعي الوطني للشخصيات، والانسلاخ عن التبعية للزوايا، فالمكان هذا يُعدُّ جزءاً من بداية التحرر الذي قادهُ دعاة الإصلاح بقيادة **شخصية عبد الحميد بن باديس وشخصية البشير الإبراهيمي**. ثمَّ استعان بالظرف المكاني (أمامه) المُقترن بالرابط الإشاري الشخصي الهاء الدال على الغائب (اللاشخص هنا)، الذي يُحيل إلى الجماد (المسجد) ويُعينهُ ويُعيّن الظرف معه، فالمكان (مسجد المحطة) شهِد حركة توعوية قوية داخلهُ وخارجهُ وفي أرجائهِ، واسمي الإشارة (هنا، هناك) يُحيلان ويُشيران إلى الأمكنة التي شغلها الشباب والمُحيطة بالمسجد للتوعية والإرشاد، فهذه الظروف فرضت أهميتها في استعمال الدلالة السياقية للمكان، ولتوضيح مقاصد الروائي، ومقاصد الشخصيات وعلاقتها به، فيتحول المكان من مجرد فضاء جغرافي ذي معالم هندسية إلى معلم وجزء لا يتجزأ من التاريخ، الذي حمِلَ على عاتقهِ القضية في كل ركن

[1]- محمود عكاشة، تحليل النص، ص:242.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:358.

وزاوية منهُ يدعو الشباب والكهول والنساء والأطفال للاتحاد وطرد المحتل إلى بلادهِ. وعلى العموم فالإشاريات المكانية تتضحُ قيمتها التداولية بما تؤديه من وظائف سخرها الروائي لمتلقيه.

2-3-3-أسماء الإشارة:

يستخدمُ المتكلمُ للإشارة إلى المكان وتعيينهِ المُشيرات المكانية، ومن بينها أسماء الإشارة Démonstratifs "وأسماء الإشارة منها ما يدلُّ على كل شيء، ومنها ما خُصِصَ لبعضِ الأماكن"[1]. تعدُّ أسماء الإشارة من العناصر المهمة في التحليل التداولي، والمُعيِّنة للمكان والمُحيلة إليه، فهي من المبهمات التي لا تُفهم إلا من خلال سياق التلفظ ولا يُفسرها إلا السياق المادي المباشر[2]. وتظهر الإشاريات المكانية من أسماء الإشارة في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** لتُحقِقَ البعد التداولي التواصلي، التي تنطلق من الروائي عبر عناصر السرد المختلفة إلى المتلقي بلغةٍ حكائية لإشراكهِ بالحكي وإقناعهِ، ومن نماذج ذلك قولهُ: "**كما يُشيعُ دائماً ويُشيعُ أبناء عرشه أيضا أنهم جاءوا إلى هذه المنطقة من الساقية الحمراء ووادي الذهب، وهي كما تعودَ أن يروي قطعة من جنة الخلد، أنزلها الله تعالى خصيصاً لإسكان ذرية السيدة فاطمة...**"[3]. إن من الأماكن الدالة على الانتماء نجد الكاتب يُشير إليها باعتماد اسم الإشارة (هذه)، ويوضح هذا التأشير المكاني الموقع ويُميّزه، إذْ جاء المشار إليه بعدياً (المنطقة) بعد اسم الإشارة هذه، والتي استقرت بها العروش النازحة من الساقية الحمراء، ويؤكد الروائي باعتماده اسم الإشارة (هذه للإشارة للقريب) قرب المنطقة من الشخصيات نفسياً وتعلقهم بها، ويُصرح السارد بعظمة هذا المرجع المكاني وهذا لذكره الذات الإلهية وعنايتها بهذا المكان المشار إليه بإسكان ذرية السيدة فاطمة رضي اللهُ عنها، فالإشارة المكانية هنا اتخذت مساراً مُغايراً وهذا لأنَّها التصقت بالذات الإلهية، فهي لم تأت للإشارة إلى المكان فقط، بل لتعظيم هذا المركز المكاني الإشاري وذكر عناية الإله به، وإنَّ هذه المسائل وإيرادها باعتماد هذه المشيرات المكانية قصداً منه لبيان قضية الانتساب وفخر القبائل العربية في

[1]- محمود عكاشة، تحليل النص، ص:228.

[2]- ينظر محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:124.

[3]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:51،52.

الجزائر غالبا بهذا الأمر، لهو إعادة قراءة الحاضر بمرآة الماضي وإيصال بالسرد صوت أهم فلول العشائر الجزائرية . فتحققت بذلك الوظيفة التخييلية للمؤشر المكاني الذي ضاعف من إحساس المتلقي وإدراكه لهذا التوظيف العمدي والمقصود للروائي .

ومن الخطابات السردية التي جاءت تحمل الإشاريات المكانية باسم الإشارة قول السارد: "**وهناك عرف سلافة الرومية التي كانت مضرب المثل في الجمال بين العرب والنصارى المحتلين حتى سماها الناس الرومية...**"[1]. فمن خلال القول يتبين لنا العنصر الإشاري المشير للمكان، والذي لا تتحقق دلالته إلا بوضعهِ في سياقه التداولي اسم الإشارة (هناك)، والذي ورد في سياق الخطاب مُشيراً إلى مدينة سطيف، التي جمعت أمشاجاً من الناس على اختلاف دياناتهم وعروقهم.(فهناك للبعيد) إشارة إلى المشار إليه (مدينة سطيف) البعيدة عن القرى، وبعيدة عن **سولافة الرومية** التي فارقتها باتجاه القرى، لتعطينا صورة عن شخصية **سولافة الرومية** التي كانت رمزاً للجمال حتى أطلق عليها اسم الرومية، فاسم الإشارة الدال على المكان بُعد يُصاحب الشخصيات ونفسياتها ويرسم ذكرياتها، ويظل وفياً لأصحابها فإن غادرت يُبقي أثرها خالداً على هذه الأرض، حريصاً على الاحتفاظ به، فهذه الإشارة أبانت عن مسقط سولافة الرومية ؛ وبذلك تكون الإشارة المكانية جزء أصيل من البنية الدلالية للخطاب، ولذا فلن نصل إلى المعنى الحقيقي والتفسير الصحيح إلا بإدراكنا لكل ما يحيط بالخطاب وما يتضمنه الخطاب نفسه.

ومن الخطابات التي تُضمن الإشاريات المكانية ذكر السارد: "**هذا بيتك بالعربي هنيئا لك (...) هذا عندي قصر، أفضل من بيتنا في القرية ألف مرة**"[2].إنَّ من الأماكن الدالة على الانتماء والألفة بالنسبة للشخصيات الروائية، وشكلت مكاناً للاستقرار والحماية والأمان (البيت) ولقد أشار إليه الروائي باعتماد اسم إشارة الذي يحمل دلالة مكانية (هذا) للإشارة إلى المكان القريب، والذي لا يتعين إلا من خلال السياق المادي وموقع الكلام، فهذا تشير إلى بيت العربي، بيته الذي حدد موقعه السرد وهو يتأمله مُشيراً إليه واصفاً إياه (هذا عندي قصر) فتعالقت في الإشارة العوامل

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:72.

[2]- المرجع السابق، ص:165.

النفسية والاجتماعية المرتبطة بالبيت وأبانت عن علاقة الشخصيات بالأمكنة، التي لم تكن مُجرَّد حيز جغرافي بالنسبة لها بل تتعدى ذلك، ولقد أدى العنصر الإشاري هنا ما عليه من وظيفة تواصلية بإيصال الأفكار من السارد والشخصيات للمتلقي وإقحامه في تأملها وتوجيه انتباهه لها.

وتظهر من خلال الخطاب الروائي أدوار الإشاريات المكانية المتنوعة في تقديم الأمكنة، وتأدية الوظيفة التخييلية بتأثيرها على المتلقي وجعله أكثر إحساسا بها، إذْ استطاع الروائي من خلالها الإشارة إلى العديد من الأمكنة المُغيبَة وإعطائها فرصة للظهور والتجلي وإثارة العديد من القضايا التاريخية والاجتماعية الحساسة في المجتمع، ولقد خرجت هذه الإشاريات المكانية بالألفاظ من معناها العادي إلى المعنى المستلزم الحواري الذي أراد من ورائه الكاتب إيصال مقاصده إذ ليس المقصود بالمكان الحيز الجغرافي بل هذه الإشاريات حملته أبعاد دلالية تواصلية أخرى فمنها الدور الإقناعي والدور التصويري للأمكنة.

2-4- الإشاريات الخطابية: La deixis discursive

تعدُّ الإشاريات الخطابية بُعداً من الأبعاد التداولية التي تهتم باتساق الخطاب وترابط أجزائه."فإشاريات الخطاب قد تلتبس بالإحالة إلى سابق anaphora أو لاحق cataphora ولذلك أسقطها بعض الباحثين من الإشاريات، ولكن منهم من ميز بين النوعين فرأى أن الإحالة يتحد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يُحيل إليه مثل زيد كريم وهو ابن كرام أيضا: فالمرجع الذي يعود إليه زيد وهو واحد، أما إشاريات الخطاب فهي لا تحيل إلى ذات المرجع، بل تخلق المرجع فإذا كنت تروي قصة ثم ذكرتك بقصة أخرى فقد تشير إليها، ثم تتوقف قائلاً: لكن تلك قصة أخرى، فالإشارة هنا إلى مرجع جديد"[1]. يظهر أنَّ الإشاريات الخطابية عناصر تُخلَق باعتمادها مراجع جديدة وتهتم بالربط بين أجزاء الخطاب، ويذكر محمود أحمد نحلة بعض هذه العناصر المُوَلدة لمختلف الدلالات داخل الخطاب. "هناك إشاريات للخطاب تعدُّ من خواص الخطاب وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم فقط يتحيزُ في ترجيح رأي على

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:24.

رأي، أو الوصول إلى مقطع اليقين في مناقشة أمر فيقول: ومهما يكن من أمر، وقد يحتاج أن يستدرك على كلام سابق أو يُضرِب عنه فيستخدم لكن أو بل، وقد يعن له أن يضيف إلى ما قال شيئا آخر فيقول فضلاً عن ذلك، وقد يعمد إلى تضعيف رأي فيذكره بصيغة التمريض قيل، وقد يريد أن يرتب أمراً على آخر فيقول من ثمّ... وغير ذلك "[1]. يتبين من خلال هذا القول أنَّ المشيرات الخطابية هي ألفاظ وعبارات يطرحها المتكلم في خطابه تتخذ دلالات مختلفه، وترتب البنيات الخطابية ترتيباً منطقياً.

ولقد اشتملت **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** على جملة من الإشاريات الخطابية التي ساهمت بدورها في انسجامها وترابطها، كما استطاعت هذه الخاصية أن توصل الكاتب إلى مقاصده لدى المتلقي والتعبير عما يجول بخاطرهِ له، واستمالته وكسب تعاطفه ليتبنى أفكاره ومعتقداته، ومن أمثلة ذلك قول السارد: "**ورغم أن الأمور تبدو هادئة، إلا أنَّ القايد عباس يعرف أن القلوب تُضمر له حقداً...**"[2]. لقد تضمن هذا الفعل الكلامي الإخباري الوصفي صيغة إشارية خطابية (رغم أنّ) هذا المفعول المطلق لفعل محذوف تقديره رغمت رغماً، أي أنَّ القبائل مغتاظة وأكثرها قبيلة **أولاد سيدي علي** ومكرهة وتبدي الهدوء قبل العاصفة، ولكنَّها مرغمة على هذا الهدوء، مذللة من قبل عميل فرنسا **القايد عباس**. وبالتالي فالصيغة الإشارية الآنفة الذكر التي استعملت للربط والتعبير عن معنى مخالف لتوقع السامع أو القارئ والمخالف لما يألفه، والصيغة الإشارية الثانية أداة قصر (إلاّ+أنَّ) بمعنى لكن الاستدراكية؛ استدركت واستثنت **القايد عباس** عما يجول حوله، فهو يدرك تمام الإدراك أنَّ هذا الهدوء يُضمر حقداً وكُرهاً، ولقد استُثنيَ المصدر المؤول الجملة الاسمية(أن القايد عباس) من الأمور التي ليست من جنسه ولكنها أدتهُ، لتحقيق المعنى التداولي الإشاري، وتخلق دلالات لا متناهية في الخطاب، ولتربط بين الوحدة السابقة واللاحقة كما منحت الخطاب الروائي إمكانات جديدة منطقية يتصورها المتلقي، ويؤولها وفق إدراكاته، وبالتالي يتضح أن الصيغتين الإشاريتين لعبتا دوراً في الربط المعنوي لبنيات الخطاب، وتوليد دلالات و إمكانات تخيلية فريدة.

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص:24،25.

[2]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:84.

ومن الإشاريات الخطابية المعتمدة في **خطاب حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** ما ذكرهُ السارد في قوله : **"فهم القايد عباس ما يرمي إليه الشيخ، كُلَّما فقدت الزاوية ولاء عرش معناه أنها فقدت سلطتها الروحية عليه، وبالتالي فقدت دعم العرش المادي، فقدت ما كان يُغدِقه الناس عليها من حبوب وأنعام وحطب"**[1]. يُظهر الفعل الكلامي الإخباري هنا استناده على المشيرات الخطابية التي تستلزم أكثر من حدث وترتبه، والمقصود بذلك الصيغة الخطابية (كلّما) التي تحمل دلالة الشرط ومعناه، والتي لابدَّ لها من جواب لتحقيق الغاية الخطابية. "فالجملة الشرطية تربط بين حدثين مختلفين ربطاً عضوياً، بحيث يكون أحدهما مقدمة والآخر نتيجة، وهذان الحدثان اللذان يتم ربطهما ليسا قائمين بذاتهما وحدهما، بل إنهما مسندان بالضرورة إلى من يقوم بهما (...) ولا يتم الربط بين هذين التركيبين إلا بأداة خاصة تقوم بترتيب العلاقة بينهما وجوداً أو عدماً..."[2]. و بالنظر إلى القول فقد تم الربط بين حدثين في القول ربطاً عضوياً، بين المقدمة(فقدت الزاوية ولاء عرش) والنتيجة الشرطية الأولى (أنها فقدت سلطتها عليها) والنتيجة الشرطية الثانية الأكثر عُمقاً وتأثيراً للمقدمة المقترنة بالمشير الخطابي الرابط الختامي (بالتالي) (فقدت دعم العرش المادي، فقدت ما كان يغدقه الناس عليها...) وهكذا فالمشير الخطابي كلما الدال على الشرط غير الجازم رصف متتاليات في النتائج، وكل نتيجة كانت أقوى من الأخرى من حيث الإيحاء والدلالة، كما جاء المشير الخطابي كلَّما متضمناً الظرفية الزمنية، يعني كل زمن ووقت داخل تفقد فيه الزاوية ولاء عرش، حتميا ستفقد سيطرتها الروحية والمادية عليه، ومنهُ أفاد المشير الخطابي الشرط الربط بين وحدات الخطاب، فاستلزم جملتين بحيث لا تتحقق الجملة الأولى (جملة فعل الشرط) إلا بحدوث الجواب، كما ساهم في الترتيب المنطقي لأفكار الخطاب ومعانيه.

ويمتح الروائي من الإشاريات الخطابية في نسج خطابه الروائي ما جاء ذكرهُ في سبحات شخصية **سي رابح: "سي رابح ظل صامتاً غائباً عن كل ما يحيط به، لقد امتدت يده فقتلت عباس المجرم، ليس لأنّه ظالم للعربي الموستاش فحسب، بل لأنّه عميل لفرنسا، فرنسا التي تحتل هذه الأرض الطيبة منذ قرون، وإذا فشلت كل الثورات السابقة**

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص:220.

[2]- علي أبو المكارم، التراكيب الإسنادية، ص:148.

في هزيمتها، فلن نفشل هذه المرة، الطوفان قادم..."[1]. استخدم الروائي في هذا القول المشير الخطابي (بل) "وهو حرف إضراب وتُسبق بنفي، وتفيد نقل معنى النفي أو النهي إلى ما بعدها نحو: ما زيدٌ قائماً بل قاعداً، وقال ابن هشام: والصَّواب حرف استدراك وإضراب، فإنها بعد النفي والنهي بمنزلة لكن سواء"[2]. جاء المشير الخطابي بعد حرف النفي ليس، ليُضرب عما سبقه من كلام، فسي رابح ليس قاتلاً، وجاءت بل للعدول عما قيل، واستدركت المعنى وجعلت ما بعدها ضدّه مُبطلةً إياه، بمعنى أنجع أنَّ قتله للقايد عباس لا علاقة له بالعربي الموستاش، وهذا لأنه عميل لفرنسا وخائن، فمنحت بل الخطاب إضراباً لما قبلها وإبطالاً له، كأنه غير حاصل، وأسهمت في ربط وحدات الخطاب. ولقد استعان الروائي في القول بمشير آخر هو فاء الجزاء المرتبطة بجواب الشرط (فلن نفشل هذه المرة..) "فالفاء هنا للإتباع (التعقيب) دون العطف والثاني لا يدخل في إعراب الأول ولا يشاركه في الموضع وذلك في المواضع التي يكون فيها علة للثاني، والثاني قائم عليه، وهو ما فيه معنى الشرط.."[3]. انطلاقا مما تم ذكرُه فإنَّ الفاء هنا تحمل ما فيه معنى الشرط، وأنّ ما قبلها(إذا فشلت كل الثورات السابقة في هزيمتها) كان سببا وعلة في حدوث الجواب، ولقد كان الجواب نفيا في المستقبل الهزيمة مرة أخرى. وهنا هذا الجواب الصارم وسبب قيامه هو الهزائم المتوالية للثورات. وبالتالي المشيرات الخطابية (بل) (الفاء) ساهمت في انسجام وحدات الخطاب وترابطه، وتعدد معانيه وتنوع عباراته.

ومن تلك الإشاريات الخطابية ما جاء في سؤل حوبة السارد، السارد الثاني الكاتب:**"خبرني هل الدماء التي تجري في عروقك هلالية أم أمازيغية؟"**[4]. استعان الروائي في هذا الفعل الكلامي بالمشير الخطابي (أم) "وتفيد التخيير بين اثنين ولها معان سياقية، ويعطف بها بعد الاستفهام للمعادلة بين أمرين متساويين، وتقع بين المفردين والجملتين، ويكون الكلام مُتعادلاً"[5]. فأرادت حوبة باعتمادها هذا المشير الخطابي(أم) ومن وراء فعلها التوجيهي الاستفهامي استنطاق

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:273.
[2]- محمود عكاشة، تحليل النص ، ص:191،192.
[3]- المرجع السابق، ص:279.
[4]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:277.
[5]- محمود عكاشة، تحليل النص، ص:293.

السارد الكاتب ومعرفة موقفه من هذا التخيير، كما أبان هذا الفعل الاستفهامي والمشير الخطابي عن رؤية الكاتب التي لا تنسلخ عن الجماعة التي ينتمي إليها، فلطالما تردَّد هذا السؤال في واقع الأمر، وأراد بتوجيهه للقارئ أن يُخَيِّره هو الآخر في هذا الأمر ويستفزه به لتعيين الإجابة وخلق تأويلات، وبالتالي ولّدت (أم) باعتمادها خيارات دلالية ومعانٍ متساوية الحضور، وهذا رغبةً في تعيين أحدهما ومعرفة المُعيَّن من ذلك، والإجابة عنه بالتعيين لأنّ المعنى فعل كلامي استفهامي.

ويذكر السارد على لسان **شخصية عبد الحميد بن باديس** مُعاتباً أحد السائلين مُضمناً المشيرات الخطابية في ذلك:"**هذا الكلام قاله أمثالكم حين كنا تحت الاستدمار الروماني، لكن إرادة المقاومة انتصرت، نحن لسنا فرنسا ولا يمكن أن نكون فرنسا ولو أراد بعضكم**"[1]. وظف **الروائي عز الدين جلاوجي** الصيغة الخطابية (لكن) بكثرة في خطابه الروائي منها المخففة ومنها الثقيلة، مُشيرا إلا مواقف للشخصيات الروائية المتكلمة أو الساردة، بغية ترجيح فكرة أو التغافل عن فكرة أخرى، وهذا ما نلحظه في الفعل الكلامي الصادر عن **شخصية عبد الحميد بن باديس**، فقد استخدم (لكن) "فهي تكون للاستدراك دون العطف، إذا ما سبقت بنفي أو نهي، لأن شرطها للعطف أن تسبق بنفي أو نهي"[2]. فنلحظ أن شخصية **عبد الحميد ابن باديس** باستدراكها بالمشير الخطابي (لكن) لم تُحل وتشِر مثل الإشاريات الزمانية والمكانية لأمر في السياق، ولكن خلقت مرجعاً جديداً، ورؤيةً جديدة ومقصداً جديداً يلفت انتباه السامع والقارئ على حدٍّ سواء، مُحققاً الإقناع بهذا المشير جاعلاً إياه أقرب إلى ذهن المتلقي، ضارباً الكلام الأول طاعناً فيه، مؤكداً على إرادة المقاومة في الانتصار، غير مشكك في ذلك، وبهذا يكون المشير الخطابي (لكن) في هذا المقام وفي مقامات أخرى خلق إمكانات دلالية متنوعة ومراجع جديدة، تجذب المستمع والقارئ لها.

ونجد الإشاريات المكانية الخطابية في قول السارد على لسان **شخصية أمقران** الروائية :"**كُلَّما تأملت أطفال الكشافة، تخيلتهم ثُواراً كباراً، هم أقدر على تأجيج نار الثورة**"[3]. اعتمد الروائي صيغتين إشاريتين في هذا القول، إذْ

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص:363.

[2]- ينظر محمود عكاشة ، تحليل النص، ص297،298.

[3]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:468.

استعمل (كلَّما) الدالة على التكرار والتي تفيد معنى الشرط، والتي ربطت بين قولين مختلفين، بين مقدمة وهي (تأملت أطفال الكشافة) ونتيجة شرطية تخييلية حالمة (تخيلتهم ثُواراً كباراً)فخلق المشير الخطابي (كلَّما) مرجعاً جديداً، وجمع بين معانٍ، وعظم من شأن الشَّرط وتفاءل فيه، وجعل الكشافة سبباً وعِلةً للثورة وميلاد الثوار. كما استعمل الروائي الصيغة الخطابية (هم أقدر) على لسان شخصية أمقران لتشجيع سامعيه ولفت انتباههم لأهمية ما يقول، وما تُخرجه الكشافة وتمنحه للأجيال، وهكذا قد ساهم هذان المشيران الخطابيان في انسجام الخطاب وترابطهِ وتنوع معانيه.

ومن تلك الإشاريات الخطابية التي خُصَّت باسترجاع التاريخ ما جاء في قول السارد: **"وقيل إنَّ قافلة الملكة طال بها السفر ونفدَ زادُها، وكاد أفرادها أن يهلكوا جوعاً، وفي لحظات صعبة تفطنت خادمتها الخاصة "تاكامات" لقو افل النمل على طريقها، وهي تحمل حبات القمح والشعير فأمرت تينهينان لمواصلة الطريق في المنحى المُعاكس لمنحى سير قو افل النَّمل، إلى أن وصلت إلى الأهقار"**[1]. وفي هذا السياق نجد الصيغة الخطابية المتمثلة في الفعل الماضي المبني للمجهول (قيل) ، والتي تأخذنا لزمن استذكاري لأحداث جرت خارج الإطار الزمني للرواية؛ زمن **الملكة تينهينان**، فمن جهة الفعل المبني للمجهول (قيل) يُشير إلى الزمن ويدلُّ عليه ويتفسر من خلال سياقه الخطابي المتمثل في حكاية **تينهينان**، ومن جهة أخرى استغل الروائي هذه الخاصية لتضعيف رأي، وإسناد الضعف لما رُويَ عن **الملكة تينهينان** والأحداث التي جرت في اكتشافها للأهقار، فقد تكون الحكاية ضعيفة ويُشَكُّ في صحتها أو راويها يلحقه ضعفٌ. وكان استخدام الروائي لهذا المشير الخطابي مقصوداً حتى لا يَحكُمَ السامع والمتلقي بصحتها، ويأخذ روايته على محمل الجد فيبقى ما رُوي عن تينهينان قاب قوسين وأدنى من الشكّ، ومُثيراً للأذهان، كما لا يخفى علينا أن هذه الإشاريات الخطابية المختلفة التي عمد لها الكاتب أضفت تنوعاً دلالياً وتركيبياً في البنية الخطابية، وأبرزت عديد الاحتمالات

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:198 .

والإمكانات والمراجع التي استغلها الروائي لتمرير مقاصده، والتعبير عن رؤيته، كما قامت بدور الربط المهم لوحدات الخطاب وتحديد أفكاره بصورة واضحة مما جعل الخطاب الروائي بنية متسقة منسجمة الأطرافِ.

2-5- الإشاريات الاجتماعية: La deixis sociale

تهتمُ الإشاريات الاجتماعية بنظام العلاقات الاجتماعية والإنسانية، وتحديدها بين فئات المجتمع، ويتمُّ ذلك باعتماد عبارات وألفاظ مُتفق عليها لتعيين العلاقات والإشارة إليها في الكلام. وإنَّ التحليل التداولي مرهون بمعرفة طبيعة العلاقات الاجتماعية ومقاصدها التداولية. "فالإشاريات التداولية هي ألفاظٌ وتراكيب تُشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية formal أو علاقة ألفة ومودة intimacy"[1]. يبدو أنَّهُ يدخل في العملية التواصلية صيغٌ وألفاظ تُشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين وتُعيّنها، وتتكشفُ هذه العلاقة عن ألفاظ تخصُّها وتخصُّ مستواها الاجتماعي، وتتباين هذه الصيغ الاجتماعية وتتنوع بتنوع مقاماتها. "فالعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل honorifics في مُخاطبة من هم أكبر سِناً ومقاماً من المتكلم، وهذا مُراعاة للمسافة الاجتماعية بينهما أو حفظاً للحوار في إطار رسمي، فتشمل الألفاظ مثل فخامة الرئيس، الإمام الأكبر، جلالة الملك، سمو الأمير، فضيلة الشيخ ، كما تشمل أيضاً السيِّد، السيِّدة، الآنسة. ويدخل فيها أيضاً: حضرتُك، وسيادتُك،وسعادتُك، وجنابُك"[2]. يعتمد منتجو الخطاب استراتيجيات مختلفة لإيصال أفكارهم والتعبير عنها، ويتبنون صيغاً خطابية متنوعة تُناسب السياقات الاجتماعية لتحقيق أهدافهم.

كما توجد صيغ خطابية تُعتمدُ في الإطارات غير الرسمية، وقد نبَّهَ لها محمود أحمد نحلة بقولهِ: "فالاستعمال غير الرَّسمي يكون في النداء بالاسم المُجرَّد، أو اسم التدليل أو نحو ذلك، فضلاً عن التحيات التي تتدرجُ من الرَّسمية إلى الحميمية مثل: صباح الخير، صباح الفل... واستعمال بعض الألفاظ ومن ذلك حامل وحُبلى، واستعمال عقيلتهُ

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:25.

[2]- ينظر المرجع السابق، ص:25.

وقرينتهُ وحرَمُهُ وزوجتهُ وامرأتهُ.."[1]. يتبين من خلال ما ذُكِرَ أنَّ الألفاظ المُشيرة للعلاقات الاجتماعية تتوزع بين استعمالين في الظاهر، استعمال رسمي والآخر غير رسمي، وتحت كل استعمالٍ تنضوي مجموعة من التراكيب المتفق عليها من طرف الجماعة اللغوية، وبما أنَّ الخطاب الروائي يحتفي بالتعدد الصوتي وباختلاف الطبقات الاجتماعية ومستوياتها، فإنَّها " تدخل في الرواية مختلف اللغات والمنظورات الأدبية والأيديولوجية المتعددة الأشكال، لغات الأجناس التعبيرية، والمهن، والفئات الاجتماعية (لغة الرجل النبيل، والمُزارع، والبائع، والفلاح) كما يُمكن أن تدخلَ اللغات الموجهة المعتادة (الثرثرة، هذر الحفلات، لهجة الخدم) وهكذا دواليك"[2]. يظهر من منظور **ميخائيل باختين** (M.Bakhtin) أنَّ الرواية تدخل لها أصوات الآخرين ولغاتهم ورؤاهم، وتتمايز هذه الأصوات حسب الفئات الاجتماعية ومهنها ومُستوياتها، وتُقدم لنا ما يسود من علاقات بينهم، وبالتالي فإنَّ **رواية ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** وتأسيساً على ما سبق تمثل خطاباً روائياً مُتعدد اللغات، استوعبَ خطابات وملفوظات متعددة؛ خطاب الساردَين، وخطاب الشخصيات (التاريخية والمتخيَّلة) المدينية والريفية، السُلطوية والمأمورة، الفرنسية واليهودية، الاستعمارية والثورية، فشكلت بذلك نمذجة إنسانية مُتصارعة مُتقاطبة، تُعبر عن أفكارها بحرية وتعرِض أحلامها ومُخططاتها، مُتبنيةً في ذلك التراكيب اللغوية المُشيرة لهذه العلاقات والأساليب المُطابقة لهذه الشخصيات ومن ذلك:

2-5-1- المُشيرات الرَّسمية:

لقد تعددت التراكيب الدالة على العلاقات الاجتماعية ذات الشكل الرَّسمي، من ضمائر وألفاظ وأفعال الدالة على الكينونة الاجتماعية في **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**، فلمسنا فيها إشاريات اجتماعية في مواضع شتى، ومن شواهد ذلك ما نقرأهُ في المقاطع التالية:

[1]- ينظر محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:26.

[2]- ينظر ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات، القاهرة، ط:1، 1987، ص:81.

يذكر السارد على لسان شخصية **القايد عباس**: "**يا شيخ نفعنا اللهُ ببركتك، جئتُكَ للاستشارة والمُساعدة...**"[1]. ما يُميّز هذا المقطع هو انتشار للصفات والألقاب ذات الدلالات الاجتماعية، ففي هذا المثال يحدد لنا المتكلم مركزَهُ الاجتماعي، الدرجة السلطوية التي تُفوضُ لهُ الاستشارة (القايد) كما يحدد لنا سلوكَه وتصرفاته تجاه المخاطب (الدعاء: نفعنا الله ببركتك) (الاستشارة والمساعدة) درجة هذا الأخير في المجتمع، والمركز الاجتماعي الذي يُخول لهُ تقديم المُساعدات والنصائح، وإلى جانب ذلك لفظة (يا شيخ) رمز للهيبة والوقار والطاعة، ولقد اعتمدها الكاتبُ في السياق الخطابي لنتعرفَ على العلاقة الاجتماعية التي تجمع شيخ الزاوية بمريديه وأتباعهِ، وإدراك مكانته في المجتمع، ومدى اهتمام المتكلمين بهذه العلاقات العرفية.

ويُثير المقطع السردي الآتي أيضاً دور المُشير الاجتماعي في تحديد العلاقات الاجتماعية فيذكر السارد على لسان شخصية الزيتوني:" **السلامُ عليك أبت، السَّلامُ عليك سيدي، وسيِّد أولاد سيدي علي... يا سيدي يا أبت، لقد قُتِلَ عباس الكلب، يا سيدي يا...**"[2]. يُظهِر هذا المقطع تنوعاً للإشاريات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية، وانزياح الفعل الكلامي التعبيري للجانب العاطفي، وهذا باستثارة عواطف المتلقين والمُستمعين واستمالتهم للظرف الراهن والتأثير فيهم لضمان تفاعُلهم، ففي هذا المثال يُبرز المتكلم العلاقة الاجتماعية بينهُ وبين والدهِ، والتي تقلَّدت بين مستويين الرسمي وغير الرسمي، فهو يدلُّ على الحميمية والعاطفة حيناً باعتماد المشير الاجتماعي (يا أبت) ومُخاطبته لهُ، وعلى مركزِهِ ومرتبتهِ الاجتماعية؛ الابن البكر الفاقد لوالدهِ، الحزين لغدرِهِ والتأخر للثأرِ لهُ، ويدلُّ على الرسمية من جهة أخرى من خلال المشير الاجتماعي (يا سيدي، وسيد أولاد سيدي علي) ليبرزَ مقام المخاطب ومركزه الاجتماعي بوصفهِ سيد قبيلة أولاد سيدي علي. وبالتالي كان للإشاريات الاجتماعية المعتمدة دوراً مهماً في تبيين العلاقات الاجتماعية وأثرها، وتبيان مراكزها الاجتماعية ومراتبها.

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:220.

[2]- المرجع السابق، ص:290.

ومن تلك الإشاريات الاجتماعية الرسمية ما جاء على لسان السارد بقولهِ :"**فجأةً تناهى إلى سمعهِ صوت السَّيد فرانكو الذي كان يغرغر ويُزبد متوعداً بقتلِ العربي الموستاش شرَّ قتلة، فتحَ الباب فاندفعَ إليهِ ومعهُ صديقه ماران ومُحافظ وضابطان، أجلسَ العربي الموستاش على كُرسي حديدي مُكبَل اليدين، وراحَ الضابط يطرحُ عليه جملة من الأسئلة...**"[1]. لقد تعددت المُشيرات الاجتماعية في هذا الحدث الكلامي، وجاء التلفظ بالعنصر الإشاري الاجتماعي الرسمي للتعبير عن المكانة الاجتماعية لشخصيات الرواية، والتي تُشير إلى رمز السيادة وإعطاء الأوامر والطاعة، إذْ الألفاظ التالية (السيِّد، مُحافظ، ضابطان) التي ضمَّنها الكاتب في سياقهِ الخطابي تُعرِفنا على طبيعة العلاقة بين المُحتل الفرنسي والجزائريين، والذي يراهم هذا الأخير مُجرد أوباش ولصوص، وقد كان هذا التوظيف الإشاري مُبرزاً للتنظيم الاجتماعي في حقبة الاحتلال الفرنسي للجزائر التاريخية، والتي أبرزت عن توظيف للألقاب الرسمية السامية والعلاقات الرسمية؛ فترى **شخصية فرانكو وماران** الفرنسيتين المُعمرتين ومكانتهما الاجتماعية التي توحي بالتَّسلُط والتغطرُس على المواطنين الأصليين، ومكانة شخصية **العربي الموستاش** الاجتماعية العاملة في حدائق المحتل، والتي أُسِرت للضرر بها وإذلالها وهضم كرامتها، فتُبدي لنا هذه الإشاريات العلاقة الاجتماعية بين شخصيات الرواية والتي تعكسُ الواقع الاجتماعي آنذاك، والطبقات الاجتماعية وعلاقاتها، كما تُثير قضية الاستبداد والتسلُّط والاحتلال بحكامِهِ وشرطتهِ ومُعمريه، وتفضح مآربهم ونواياهم الفاسدة.

ونجد الملمح الإشاري الاجتماعي الرسمي وارداً في المقطع السردي الآتي. يذكر السارد: "**صرخَ مُحافظ الشرطة فلار Valer في الفتى وهو يشقُّ الصفوف: اِخفِ هذه الخرقة وإلا أَرديتُكَ قتيلا** "[2]. يُضمن هذا الفعل الكلامي التوجيهي مُشيراً اجتماعياً خطابياً يُعين علاقة اجتماعية وينعتُها، ويُبين مكانتها الاجتماعية ومركزَها العسكري، وهذا باعتماد اللقب الإشاري (مُحافظ الشرطة) فاللقب الإشاري يرمز للقيادة، التي لها سلطة الأمر والنَّهي والعقاب والاعتقال، ويُشدد الروائي على توضيح الاسم (اسم المحافظ) باللغتين العربية والفرنسية (المُشير الشخصي: فلار

[1] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص:341.

[2] - المرجع السابق، ص:549.

Valer) ليُنهيَّ إلى ذهن القارئ أنَّ المراكز العليا والمناصب السامية لم يشغلها إلا الفرنسيون المحتلون، وبها استطاعوا تقييد الحريات وسلب الممتلكات، واعتقال الأبرياء ونفي كل من سولت له نفسه الانتفاضة والدفاع عن نفسهِ وعشيرتهِ. ويُثبت هذا الفعل الكلامي التوجيهي الأمري الصادر عن مُحافظ الشرطة ذلك **(اِخفِ هذه الخرقة وإلا أَرديتُكَ قتيلا)**[1]. وفي مقابل ذلك يُظهر المركز والدرجة الاجتماعية للفتى وعلاقته الدونية عند المُستعمر، الفتى (بوزيد سعال) الثائر في وجه فرنسا وقيادتها، والتهديدات التي تلقاها من شرطة فرنسا، ولكن روحه الثائرة لم تستكن لهذا الفعل الكلامي الوعيدي ولم يتراجع، واختار الموت على الإذلال والانقياد، فهذه المُشيرات الاجتماعية الموظفة لها مقاصد دلالية، إذ قصدَ بها المتكلم إبلاغ المتلقي بحيثيات الحادثة والعلاقات الاجتماعية المنتظمة آنذاك، والتي تقوم على القلق والتوتر، والسيادة الجائرة والانتقاص من حق صاحب الأرض المواطن الجزائري واستلابهُ. فكلُّها رسائل مُشفرة يبغي الروائي من ورائها النبش في الحقائق التي لم تُقَل، وإعادة قراءتها بوجهة لا تخلو من عتاب ومحاسبة لهذا الوجود الدنيء، الذي سخَّر كل شيء لإذلال الشعب الجزائري، وفض كل المهادنات والعلاقات معه، لأنَّ عدو الأمس هو عدو اليوم، وما خلَّفهُ من جرحٍ يتنزى في الذاكرة لا يستطيع جمعهُ وبُرءَهُ بمجرد اعترافات ساذجة منهُ.

2-5-2- المُشيرات غير الرَّسمية:

يهتمُ هذا الجانب من المُشيرات الاجتماعية بالعلاقات الحميمية والقرائن ذات القرابة، ومدى شدتها وضُعفها انطلاقاً من ألفاظ وتراكيب تشتمل وتتضمن ذلك، وبالنظر إلى **رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** نجد الروائي عز الدين جلاوجي أغرق في استعمالها وتداولِها وهذا لأنَّ الشخصيات الاجتماعية المتبناة تفرضُ عليه ذلك، والواقع الاجتماعي المرصود في الرواية واهتماماته بالأسرة والجار والقبيلة والناحية، وكذا أخلاق الشخصيات المُسلمة المتبناة فرضَت نمطاً من الكتابة، وقاموساً لغوياً اجتماعياً يجسُّ نبضها، ونبض الشارع الجزائري المسلم، ولذلك لمسنا مُشيرات حميمية عديدة تنعت علاقات اجتماعية مختلفة ومن ذلك ما جاء في هذه المقاطع السردية لاستدلال:

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص:549

يذكر السارد المقطع السردي الآتي مُشيراً إلى علاقة الأب بابنته: "**طبَعَ خليفة قُبلة عميقة على جبين ابنته سرولة: وهو يقول:**

-**لا خوفَ على أبيك.**"[1]. لقد تضمنَ هذا الفعل الكلامي مُشيراً اجتماعياً حميمياً، والذي دلَّ عليه الملفوظ (ابنته) ويُعين هذا المُشير العلاقة الحميمية بين الوالد وابنته، والتي تدلُّ على الحب والشفقة والخوف المتبادل بينهما من القادم المنتظر المجهول في ظل غياب الأم (**شخصية الرّيح** المغدورة) ويوحي بالأسى والظلم الذي مُورِس تجاههما من قِبل **القايد عباس** وزبانيته، ورغبة الوالد في الانتقام لزوجتهِ مُواسياً ابنته باعتماد المشير الخطابي (أبيك) الذي يدلُّ في سياق الخطاب على المواساة والدَّعم النفسي لها، ولقد أسهمت هذه الإشاريات الاجتماعية المنتقاة ذات المرجعيات القريبة التي قدمها السياق بشكل مباشر بدورٍ مهم في الخطاب، وذلك بكشفها العلاقة الأبوية(بين خليفة وسرولة) المبنية على المودَّة والألفة والمواساة، وعرضها للمشهد وكأنَّك تنظر إليهما وهما يتحاوران وهو يشدُّ من أزرها.

ويذكر السارد في مقطع سردي آخر مُشيرات اجتماعية حميمية تُعلنُ عن العلاقة العاطفية بين السارد حوبة والسارد الكاتب. فيقول:" **ربما أنت أدرى يا كاهنة الحي**"[2]. يُبرز الفعل الكلامي هذا احتمالاً جديداً لم يألفهُ السارد وهو الآن يكتشفهُ مع حوبة، ويشير إليها بالملفوظ الاجتماعي (كاهنة الحي) هذا اللقب الذي أطلقَهُ السارد عليها، لأنَّها ساردة عليمة بشخصياتها وأحوالهم، وحتى بكاتبها الذي كان يستنير بحكاياتها، وكأنَّهُما واحد لدرجة القرب بينهما والتواصل، وبذلك يوضح السارد شيئاً من الجانب الاجتماعي النفسي لحوبة، ويُظهر هذا للمتلقي حتى يلقى استجابة منهُ، ويُدرك العلاقة التي تجمعها في السياق الخطابي، ومن خلال هذه المُشيرات الاجتماعية الموظفة يتبين للمتلقي العلاقات الاجتماعية وبها يُحتكمُ لبناء تأويلات.

[1] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:69.

[2] - المرجع السابق، ص:138.

ونجد السارد في مقامٍ آخر يُواصل إظهار العلاقة الحميمة بين حوبة والسارد الكاتب باعتماد المُشيرات الاجتماعية غير الرَّسمية فتقول: "**بلغني أيُّها الحبيب الوسيم، ذو القلب الوسيم**"[1]. فلو تأملنا هذا الفعل الكلامي التقريري نجد مُشيرات اجتماعية حميمية تُبرز طبيعة العلاقة بين حوبة والسارد الكاتب وشدَّتها (الحبيب الوسيم، ذو القلب السليم) والتي تُبرز فنية الروائي عز الدين جلاوجي في توظيف إشارية المجتمع التي استلهمها من الساردة شهرزاد الأسطورية، والتي بدورِها وقُدُراتها الحكائية استطاعت أنْ تُخلِصَ نفسها من جبروت الملك شهريار، وتضمَن استصاغتهُ للحكي، فهذا المُشير الاجتماعي يُحيل إلى سياق تُراثي تاريخي عميق التأثير، وباستجلابهِ للنص يفتح الروائي ذهن القارئ على احتمالات مختلفة، ويضمن انقيادهُ لهكذا تعابير وإمتاعَهُ وإقناعَهُ بها.

ومن تلك الإشاريات الاجتماعية غير الرسمية المُعتمدة في خطاب **حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر** ما رواهُ السارد: "**أَسرعَ العربي بالتحية وهو ما يزالُ مُمَدداً في فراشهِ: صباح الخير عمي رابح**"[2]. اعتمدَ هاهنا الروائي ألفاظاً تُشير إلى العلاقة الاجتماعية بين **العربي الموستاش وسي رابح**، والتي اختارَها الكاتب لتُناسبَ مُقتضى المقام الذي يقوم على الاحترام، فاعتمدَ تحية الصباح (صباح الخير) ولقد قيلت في سياق يُظهِر مدى تقدير وعرفان شخصية العربي وامتنانها لشخصية سي رابح، والمُبادرة للإلقاء وهو لا يزالُ مُمَدداً في فراشهِ مُظهِراً تأدُبَهُ ولُطفَهُ معه، كما أبانت لغة الخطاب عن مُشير اجتماعي آخر يدلُّ على الود والمحبة (عمي رابح) ليُبرِزَ ما بينهما من محبَّة وإخاء بالرغم من أنَّ سي رابح لا يكبرُهُ كثيراً إلاَّ أنَّهُ أرادها تهذيباً منهُ واحتراماً لمقامِهِ وتعزيزاً لما بينهما من صلة وهو الغريب عن هذه الديار، وإنَّ هذه المظاهر السلوكية اللغوية الاجتماعية (المشيرات) هي مفاتيح لغوية لفهمِ مقاصد الخطاب ودلائليته، وتترجم مشاعر الشخصيات وترشِد علاقاتها وتُميزُها وتُميز قيَّمها الاجتماعية وأعرافها، والقيم الاجتماعية للرواية المتبناة لا تكادُ تنسلخُ عن الواقع الاجتماعي، بل كانت تُحييهِ مُحتفيةً به وبمظاهرهِ السلوكية.

[1]- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص:139.

[2]- المرجع السابق، ص:154.

ويحتفي الروائي **عز الدين جلاوجي** بالمشيرات الاجتماعية غير الرسمية في محطات سردية عديدة، ليبين بذلك العلاقات الاجتماعية بين شخصيات الرواية المختلفة ومن ذلك ما ذكرَهُ السارد على لسان **شخصية سي رابح. يقول :" أخي وصديقي العزيز سعدان الغول؟ لقد قضى شهيداً ، التهب سعار فرنسا وهي ترى الناس ينتفضون ضدها فأبادتهم بوحشية"**[1]. تُشير الإشاريات الاجتماعية إلى العلاقات المختلفة بين عناصر الخطاب في الخطاب الروائي، فالعلاقة بين **سي رابح وسعدان غول** هي علاقة ودية، تحملُ معاني الصداقة والأخوة، إذ ذكرهُ بلفظ (أخي، صديقي العزيز) فتُبرز مدى شدَّة الرابط والصَّداقة بينهما، وتُشير إلى طباع المُجاهدين والثوار وأخلاقهم، فالعلاقة بينهما لم تكن عابرة إنَّما علاقة عميقة عمق المقاومة والأرض والتشبث بهما، علاقة لم يقهرها الموت والبُعد ولا الاستعمار، وإنَّهُ بطريقة ما يُشير إلى علاقات الشخصيات الثائرة في الرواية التي كانت متوحدةً في سبيل الوطن، مُجتمعةً على رأي واحد رغمَ اختلافاتها، والقصدُ من ذلك أنَّ هذه الأرض وحدت القلوب حولها وجمعتها لتحقيق حلم الحرية، وأرغمتها على التخلي عن مواقفها الإدماجية وغير ذلك، فالمُشير هنا لم يُوضَع اعتباطاً ولا سهواً بالقدرِ الذي كان مقصُوداً لتمرير الأفكار والمواقف، وإبراز العلاقات التي مثلت الحب والشفقة والأخوة حيناً، والحب والتقدير والتبجيل حيناً آخر.

وفي صفوة الكلام نجد أنَّ الإشاريات لعبت دوراً مُهماً في فهم الخطاب الروائي وتحديد أطرافهِ، فحددت الإشاريات الشخصية بأنواعها التفاعل بين الشخصيات والدور التبليغي لها، وإحالاتها لفهم الخطاب، كما ساهمت في تجاوز التكرار والحشو في الكلام، وحددت الأفكار بصورة مُلائمة عقلانية، ويسرت عملية الإحالة على السياق الذي يجري فيه الكلام، وشكلت عُنصُراً فنياً أبرزَ إبداع الكاتب وجمالية لغته الروائية وحسن التوظيف لها. كما أسهمت الإشاريات الزمانية والمكانية في تقريب المقاصد في الرواية، وهذا بتسليط الضوء على مقام المتخاطبين وزمان ومكان الشخصيات وعلاقاتها، باعتماد مُشيرات تناسب الخطاب وتربط أجزاءهُ، إذْ أبان المكان في حوبة عن طاقة الكاتب الإبداعية، وقدرتهُ الفنية في التعبير عن مقاصِدهِ، حيث أسهم في تحريك الشخصيات وفق ما يتلاءم مع المكان والزمان،

[1] - عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص:212.

والإشارة إلى أماكن مختلفة ومُتعددة وعلاقاتها بالشخصيات، وإثارة قضايا إنسانية واجتماعية ووطنية واحتواء هذه الأمكنة لها، وعبَّرت عن حال الجزائر في زمن الاحتلال وشدة معاناة الشعب في وطنه.

وقد لعبت الإشاريات الخطابية أيضاً دوراً مُهماً في سير العملية التواصلية من خلال إبراز مواقف الشخصيات، ومقصدية الكاتب الخطابية، التي اختزلها في ألفاظ مُعيَّنة استطاعَ بها توفير احتمالات وإمكانات مختلفة وتقديم تعليقات واستدراكات تجاه مواقف مختلفة في الخطاب الروائي، كما أدت الإشاريات الاجتماعية دوراً مُهماً في كشف العلاقات ودرجة قُربها وبُعدها من المتكلم، مُحدِدَةً في ذلك مركزَها الاجتماعي، مُبينةً عن هوية المتكلمين وانتماءاتهم الفكرية. وهكذا شكلت الإشاريات التداولية بمختلف أنواعها في الخطاب الروائي فاعلاً أساسياً في فهم الخطاب، إذْ لم ينحصر دورُها في الإشارة والربط، بل أسهمت في بلورة مقاصد الكاتب الروائية، وتصوير مختلف الظروف والحيثيات المُحيطة بعملية التلفظ، آخذةً في ذلك بذهن المتلقي لما تُريدُ إيصالَهُ لهُ.

خاتمة

خاتمة:

إنَّ دراسة الخطاب الروائي وفقَ منظور تداولي تتطلب من الباحث تقصي أهم الحقائق في المجال التداولي، مع الحرص على استثمارِها بما يُناسب الغاية البحثية، وما يودُّ الباحث إيصالَهُ وتبليغهُ، وأمَّا عن محاولة إسقاط التداولية كمنهجٍ تحليلي لساني على الخطاب الروائي وتبيين مقاصدِها هو ما حاولنا تقصيه في الدراسة، وتوصلنا من خلال ذلك لجملة من النتائج نذكر منها:

- إنَّ الخطاب الروائي "**حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**" بُنيَّ على لغة خطابية تداولية، وظفَ خلالها الروائي التقنيات الحجاجية في سياق تفاعُلي، فكشفَت ضرباً من التنوع والتعدد في الحجج، وشكلت في ذلك مزيجاً دلاليا يسعى فيه المتكلم إلى إشراك متلقيه في أطروحاته وأفكاره، وإقناعه بمعتقداته.

- تنوعت الشخصيات الروائية في "**رواية حوبة**" واتخذت طابعاً حجاجياً من أجل الإقناع بوجهات النظر، وبلورة مواقفها وردود أفعالها تُجاه الأفعال والانفعالات، وإعلان عن تمرُّدها فاضحةً بذلك المسكوت عنهُ، ومُزيحةً الستار عن الوجه الآخر للشخصيات غير الوطنية، حاملةً قضايا الوطن من خلال إيتوس الشخصية البطلة والشخصية الثورية لشحن الخطاب الروائي بحمولتها الدلالية الإقناعية في إطار سياقي، وهذا لغايات ومقاصد من الروائي للتأثير في المتلقي وإقناعهِ برسالتهِ، كما ألفينا تنوعاً في الصيغ والأفكار والرؤى التي صدرت من الشخصيات إعداداً لقبول أطروحاتها وتفعيلاً لبلاغة الحجاجِ خلال ذلك مستأنسةً بأنواعٍ من الحجج وبعرضِ صور خطابية مختلفة للتأثير في المتلقي، والتي ساهمت في انسجام الخطاب الروائي وتقوية طرحهِ.

- اعتنى الروائي كثيرا بالمستوى الحواري لإنتاج حجج داخل الخطاب الروائي بهدف إقناع المتلقين واستمالتهم، ولجأ في ذلك إلى تقنيات لغوية من روابط وعوامل وأفعال، وتقنيات بلاغية من استعارة وتشبيه وتقنيات شبه منطقية وذلك من أجل انسجام خطابه حجاجياً من جهة، وتوجيه خطابهِ وجهة حجاجية من جهة أخرى. كما نستنتج اشتغالهُ على الأماكن التي بدت كآليات حجاجية وساهمت في بلورة قضاياه وتوثيقها، انطلاقاً من أفضية احتوت المشاهد والأفعال

وأوهمت بواقعيتها، ومررت شيئاً من ذاكرتها للمتلقي، والتي كانت في مُجملِها تاريخية ومُوَجهة توجيهاً قوياً وذلك من أجل الوصول بالقارئ إلى موقف ثابت.

- كان الفعل الكلامي حاضراً بأصنافهِ داخل الخطاب الروائي "**حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**" (الإخبارية، التعبيرية، التوجيهية، الالتزامية، الإعلانية) وكلُّها جاءت لتبيّنَ لنا المقاصد الروائية من خلال عناصر الخطاب وجُزئياته، ومُتقربةً من أفضية ومقامات الخطاب وشخصياته لبيان ضرورة وغاية ربط الشكل الخطابي بالمقاصد التداولية.

- أسهمت الأفعال الكلامية في بناء الفضاء السردي في "**حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**"؛ الفضاء النصي وتشكيل بنياته والفضاء الجغرافي والدلالي من خلال الاعتماد على الأفعال الإخبارية والتعبيرية بكثرة لكونها أفعال تتطلب التقرير والوصف وتخدم الجانب السردي، واهتمامه أكثر بالأفعال غير المباشرة وهذا لإسهامها في بلورة الرؤى والأفكار وبناء فضاء تأويلي إيحائي.

- ساهمت الأفعال الكلامية في تشكيل البناء السردي بتركيزها على الزمن ورداته ودورُهُ التبليغي التواصلي في تحديد المقامات والأحداث، وتركيزها عن كثب على الزمن التاريخي في تحديد مرجعيات الشخصيات وأفعالها، وقد سلطنا الضوء على الشخصيات والأفعال الإنجازية الصادرة عنها ضمن مجالات الإخبار، التعبير، التوجيه، الالتزام، الإعلان، وكلُّها جاءت تبين المقاصد الروائية وتوضح المعنى العام للرواية، ولكنْ الأفعال الإنجازية الإخبارية والتعبيرية والتوجيهية كانت مُتسعةً في الخطاب الروائي على غرار الإعلانيات والالتزاميات التي كانت قليلة، وكانت الأفعال غير مباشرة لها نصيباً وافراً في الرواية وعناية الروائي بها أجل تقديم ما يريد دون رقابة.

- كشفَ الاستلزام الحواري عن نمطين من التواصل في الرواية مباشر وغير مباشر (ضمني)، ويتمُّ الانتقال من المعنى الحرفي إلى الضمني بخرقِ ضوابط وقواعد التي قد وضعها غرايسGrice، فألفينا في الخطاب دلالات صريحة مباشرة والأخرى ضمنية، خرجت من معناها الأصلي إلى معنى مجاور يحددهُ السياق العام التداولي، ويلجأ فيه المتلقي إلى

عمليات التأويل. وبهذه القواعد التي أتاحتها التداولية استطعنا تحليل الخطاب، والتمسنا بواسطتها خروقات عديدة حصلت والتي ولَّدت دلالات عديدة تُستنبط من السياق التداولي، وتبين غرض ومقصدية المتخاطبين في كل مقام.

- شهدَ الخطاب الروائي "**حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**" تنوُعاً في أشكال الإشاريات وثراءً دلالياً على مُستوى (الإشاريات الشخصية، إشاريات مكانية، إشاريات زمانية، إشاريات خطابية، إشاريات اجتماعية) وعمدَ الروائي لاستغلالها لبلوغِ قَصدِهِ وتحقيقِ هدفه، إذْ كشفت الإشاريات الشخصية البعد التواصلي التبليغي للضمائر (ضمائر الحضور والغياب) بارتباطها بالسياق التلفظي، وإحالاتها إلى أطراف التخاطب ومرجعياتها، وأسهمت بشكلٍ كبير في عملية التواصل وتوجيهها، كما أبانت الأمكنة التي تمَّ رصدُها في الخطاب محطات تاريخية مهمة، لجأ الروائي لها لتحملَ بحمولاتها الدلالية وإيحاءاتها إلى الخطاب، وساعدت القارئ على إدراك العديد من القضايا الإنسانية والاجتماعية التي تجسدت عليه، وتحديد مكان التلفظ ومواضع ذلك. أما الإشاريات الاجتماعية رصدت أهم العلائق الاجتماعية بين الشخصيات، وأبانت عن مواقف الشخصيات والساردين وتفاعلاتهم. كذلك تحتل الإشاريات الزمانية مكانة مُهمة في تشكيل الخطاب الروائي، مُشيرةً في ذلك إلى أزمنة أخرى غير زمن التلفظ، وبالأخص عند إشارتها للتاريخ.

توصيات:

- دعوة الباحثين المهتمين في حقل الدراسات التداولية مراجعة الإرث اللغوي والبلاغي العربي وإعادة توجيهه وتصنيفه وتبويبه وفق المستجدات التي جاءت بها التداولية في النظرية اللسانية الغربية المعاصرة. بذلك نكون قد فتحنا الأبواب على مصراعيها لتجديد تراثنا التداولي باستغلال جميع حقوله المعرفية.

- العمل على تشجيع الباحثين لإنجاز دراسات وأبحاث مقارنة بين التراث اللغوي والبلاغي العربيين وإنجازات التداولية المعرفية المعاصرة.

- تشجيع الباحثين للقيام بأبحاث ودراسات تطبيقية تستثمر في الخطاب الأدبي الشعري والسردي الجزائري وتسليط الضوء عليه لإجلائه وإبراز تميُّزِهِ، وإعادة الاعتبار للساحة الأكاديمية في تنقيح الإبداعات وإظهارها.

هذا باختصار ما حاول البحث أن يقولهُ عن طريق المقاربة، فإنْ أصَبْنا فتوفيق من الله وإنْ أخطأنا فمن أنفُسِنا، ونسألُ اللهَ أن يوفقنا إلى السَّداد، ويُلهِمنا الخير والرَّشاد.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادروالمراجع

القرآن الكريم:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د:ط،1442هـ،2021.

أ- المصادر:

1. عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ،دار الروائع للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:1، 2011.

ب- المراجع العربية:

1. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء المغرب، ط:1، 2006.
2. أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة،عالم الكتب الحديث، إربد الأردن،ط:1، 2015.
3. الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث في ما به يكون الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط:1، 1993.
4. بلقاسم دفة، بنية الجملة الطلبية ودلالتها في السور المدنية، الجزء الأول، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، د: ط،2008.
5. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، د:ط، 1994.
6. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة جانجي، مصر، ج:4، ط:4، 1975.
7. جواد ختام، التداولية؛ أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان ،ط:1، 2016.
8. حافظ اسماعيل علوي، التداوليات، علم استعمال اللغة، دار الكتب الحديث، إربد الأردن، ط:2، 2014.

9. حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد لبنان، د:ط، 2010.

10. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء - الزمن- الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط:1، 1990.

11. الحسن بن قاسم المُرادي، الجنى الدَّاني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوه، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط:1، 1992.

12. الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط:1، 2014

13. حمو النقاري، التحاجج؛ طبيعتهُ ومجالاته ووظائفهُ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط المغرب، ط:1، 2006.

14. حميد لحمداني، بنية النص السردي؛ من منظور النَّقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط:1، 1991.

15. الخطيب القزويني، الإيضاح في علم البلاغة (ت739)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003.

16. ذهبية الحاج حمو، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو الجزائر، ط:2، 2012.

17. صابر الحباشة، التداولية والحجاج؛ مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق سوريا، ط:1، 2008.

18. صدار نورالدين، البنيوية التكوينية، مقاربة نقدية في التنظير والإنجاز، مكتبة الرَّشاد للطباعةِ والنَّشر، منشورات مخبر المناهج النَّقدية المعاصرة وتحليل الخطاب، ط:1، 2013.

19. صلاح فضل، أساليب السرد في الرواية العربية، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق سوريا، ط:1، 2003.

20. طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب،مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، د:ط،1994.

21. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراثِ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط:2، دت.

22. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:2، 2000.

23. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء المغرب، ط:1، 1998.

24. عبد الحق بلعابد، جيرار جينيت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:1، 2008.

25. عبد الرحيم الكردي، السرد ومناهج النقد الأدبي، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، د:ط، 2004.

26. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير؛ مقاربة تداولية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الرباط المغرب، د:ط،2006.

27. عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:3، 2000 .

28. عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2001.

29. عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط:5، 2001.

30. عبد القادر بن سالم، بنية الحكاية؛ في النص الروائي المغاربي الجديد، معالم نقدية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط:1، 2013،

31. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة تونس، ط:1، 2001.

32. عبد الله صولة، في نظرية الحجاج؛ دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط:1، 2001.

33. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية؛ بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، د:ط، 1998.

34. عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة؛ متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالاً واستقبالاً، دار القدس العربي، تعاونية الهداية1 بلقايد وهران،ط:2، 2010.

35. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط:1، 2004.

36. عز الدين جلاوجي، سلطان النص؛ دراسات، دار المعرفة، الجزائر، د:ط، 2009.

37. علي أبو المكارم، التراكيب الإسنادية ؛ الجمل (الظرفية، الوصفية، الشرطية)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1، 2007.

38. علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية؛ الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة؛ دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، ط:1، 2010.

39. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن الكثير الدمشقي (ت:774ه)، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة قرطبة،مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة مصر، المجلد الثالث،ط:1 ،2000، سورة آل عمران الآيات:137-143.

40. عمر بلخير،تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، دار الأمل، تيزي وزو، ط:2، 2013.

41. عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سلسلة الدراسات (2)، دمشق 2008.

42. العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية الظاهرة إلى وضع قوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:1، 2011.

43. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها؛ علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، إربد الأردن ط:2، 1989،.

44. ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية)، عالم المعرفة، الكويت، د:ط، 2013.

45. محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية اللغوية العربية،"تأسيس نحو النص"، القسم الثالث:النحو العربي والأبنية الخطابية المتجاوزة للبنية العاملية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، المجلد الثاني، د:ط،2001.

46. محمد بن الحسن الاستراباذي السمنائي النجفي الرضي، شرح الرضي- لكافية ابن الحاجب- دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة مصر، ط:2، 1993.

47. محمد بن عمارة، الأبعاد الحجاجية للنص الشعري الفلسطيني؛ قراءة تداولية لسانية لقصيدة في القدس لتميم البرغوثي، الخطاب الحجاجي بين التنظير والإجراء، مؤلف جماعي، سلسلة منشورات مخبر التراث والدراسات اللسانية، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف، ط:1، 2022.

48. محمد خطابي، لسانيات النص؛ مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط:1، 1991.

49. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة؛ بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط:1، 2008،

50. محمد طروس، النظرية الحجاجية؛ من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب، ط:1، 2005.

51. محمد فكري الجزار، البلاغة والسرد؛ نحو نظرية سردية عربية، الهيئة العامة لقُصور الثقافة، القاهرة مصر، ط:1، 2011.

52. محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط:1، 2004. -

53. -محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتَّخاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط:1، 2004.

54. محمد مشبال، البلاغة والسرد؛ جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، د:ط، 2010.

55. محمد مشبال، البلاغة وأنواع الخطاب، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط:1، 2017.

56. محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية مصر،ط:1، 2002.

57. محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)؛ دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، ط: 1 ،2013.

58. محمود عكاشة، تحليل الأفعال الإنجازية في الخطاب السياسي، دلالة الفعل في خطاب السلطة في ضوء نظرية المواقعة المقامية، دار النشر للجامعات، القاهرة مصر، ط:1، 2016.

59. محمود عكاشة، تحليل النص؛ دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، مكتبة الرشد ناشرون،مصر، ط1، 2014.

60. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية للأفعالِ الكلامية في التراثِ اللساني العربي،دار الطليعة، بيروت،ط:1، 2005.

61. المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (ت نحو 290 ه)، الفاخر، تح: عبد العليم الطحاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط: 1، 1380ه .

62. ناديا رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، كلية الآداب،جامعة حلوان،مصر،ط:1، 2013.

63. نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني؛ قراءة نقدية في قصص الكاتب العراقي أنور عبد العزيز، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط:1، 2011.

64. هاشم ميرغني، بنية الخطاب السردي في القصة القصيرة، شركة مطابع السودان، السودان، ط:1، 2008.

65. ياسين النصير، الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق سورية، ط:3، 2009.

ج - المراجع الأجنبية المترجمة:

1. إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، تر: محمد تنفو، ليلى أحمياني، تق: سعيد جبار، رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة مصر، ط:1، 2018.
2. آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، علمٌ جديد في التواصلِ، تر:سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط:1، 2003.
3. باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، تر: أحمد الودرني، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، ط:1، 2009.
4. تزفتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، تر: الصديق بوعلام، تق: محمد برادة، دار الكلام، الرباط المغرب، ط:1، 1993.
5. تزفيطان طودوروف، الشعرية، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1987.
6. ج.ب.براون وج.يول، تحليل الخطاب، تر:محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود ، الرياض المملكة العربية السعودية، ط:1، 1994.
7. جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي؛ التداولية، تر:مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، دار سيناترا، تونس، د:ط، 2010.
8. جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت لبنان، ط:1، 2010.
9. جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:1، 2006.
10. جون. ك آدمز، التداولية والسَّرد، تر: خالد سهر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط:1، 2009
11. جون ليونز، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد العراق، ط:1، 1987.

12. دومينيك مونغنو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:1، 2005.

13. فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر:سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان، ط:1، 1978.

14. فيليب بروتون، الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال، عبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، ط:1، 2013.

15. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط:1، 2007.

16. فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية،تر:سعيد بنكراد، دار الحوار، اللاذقية سوريا، ط:1، 2013.

17. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط:1، 1987.

18. ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، تر: يوسف علاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق سوريا، د:ط، 1998.

19. وليام جيمس، البراجماتية، تر:محمد علي العريران، زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، العدد:1270، 2008.

د- المراجع الأجنبية:

1. Austin. How to do things with words. Harvard University press. Cambridge-Massachusetts. Second edition.1975.
2. Françoise Armengaud. La pragmatique. Ed. (PU.F) 2 éme ed. 1990 .
3. Genette, G, *Discours du récit*. In *Figures III*, Paris: Éditions du Seuil, 1972.
4. Searle, A classification of language in society, vol:5, n:1, april,1976.

5. Vetters Carl. Temps, aspect et narration. Faux titre 106. Amsterdam Atlanta: Rodopi, 1996.
6. Todorov, T,Les catégories du récit littéraire, *Communications*, 8, 125–151,1966.

هـ- المجلات:

1. إشراق كامل كعيد، سولاف مصحب مهدي، رواية يا مريم لسنان أنطوان، دراسة تداولية، مجلة كلية التربية للبنات،جامعة النهرين، المجلد 29 (1)، 2018.
2. باسمة درمش، عتبات النص، مجلة علامات في النقد، السعودية، المجلد:16، الجزء:61، ماي2008.
3. بوبكر عريبي، قضايا التداولية في التراث العربي؛ الآليات التداولية واستنطاق النصوص؛ ذاكرة الماء أنموذجاً، مجلة العمدة في اللسانيات والخطاب، العدد:5، 2018.
4. حاتم عبيد، منزلة العواطف في نظريات الحجاج، مجلة عالم الفكر، العدد:2، المجلد:40، أكتوبر-ديسمبر،2011.
5. حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي؛ عناصر استقصاء نظري، عالم الفكر،العدد: 1،المجلد :50 ، الإصدار: 1يوليو2001.
6. سارة عبد الملك شريف، فاعلية الإشاريات المكانية في التشبيهات النبوية، مجلة الجامعة الاسلامية للغة العربية وآدابها، العدد الخامس، الجزء الأول ، ماي أغسطس2022/ الجامعة الاسلامية المدينة المنورة.
7. سهل ليلى، نظرية الحدث اللغوي بين التأسيس والضبط المنهجي، مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب، العدد:31، سبتمبر 2012،
8. شفيقة عاشور، مفارقة البنية السردية في خفايا وأسرارالماضي لرواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلاوجي، ، مجلة كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد: 21، جوان 2017.
9. صلاح إسماعيل، الاتجاهات المعاصرة في فلسفة اللغة، مجلة الفكر العربي (معهد الإنماء العربي) لبنان، المجلد:17، العدد:83، دار المنظومة،2018 .

10. عبد الحليم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النَّظرية التَّداولية، دراسات أدبية، مركز البصيرة للبحوثِ والاستشارات، الجزائر، العدد:1، ماي2008.

11. عبد الحليم بن عيسى، مصطلح التداولية في الدراسات العربية المعاصرة بين التلقي والتأسيس، قراءة تحليلية نقدية، الأكاديمية للدراساتِ الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب واللغات،العدد:20، جوان:2020،

12. عبد الحميد ختالة، الرواية الجزائرية تكتب التاريخ؛ قراءة في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر للروائي عز الدين جلاوجي، مجلة التواصل في اللغات والآداب، العدد:43، سبتمبر2015.

13. عبد الغاني تريكي، التقنيات الحجاجية عند بيرلمان وتيتيكاه ومقاصدها التداولية، مجلة أبوليوس، المجلد:9، العدد:1، جانفي 2022.

14. محمد محمود حسين محمد، فاعلية التقنيات الحجاجية في رواية " فوق الحياة قليلاً" لسيِّد وكيل، مجلة الزهراء، مصر، العدد:31، د:ت.

15. مصطفى منصوري، الصيغة السردية من تنازع المفهوم إلى التباس المصطلح ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية (الجزائر)، المجلد: 9، العدد: 9، ديسمبر 2012, https://asjp.cerist.dz/en/article/137546.

16. معاذ مراد مقري، الخطاب الحجاجي في السرد الجزائري المعاصر؛ قراءة مقطوعة من رواية مقامات الذاكرة المنسية لحبيب مونسي، مجلة التحبير، كلية الآداب والفنون، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، المجلد:2، العدد:3، سبتمبر2020.

17. هلال يحي، نظرية أفعال الكلام في التداولية المعاصرة "جون روجر سيرل" أنموذجاً، مجلة أبعاد، الجزائر، العدد:4، جانفي 2017.

و- المعاجم العربية:

1. ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير؛ محمد أحمد حسب الله؛ هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة مصر، الجزء:24، المجلد:3، باب السين، دط،د:ت.

2. ابن منظور الأنصاري (ت711)، لسان العرب، الجزء الحادي عشر حرف اللام، مادة دول، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د:ط، د:ت.

3. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت398)، الصِّحاح، تاج اللغة وصحاحُ العربية، تح:محمد محمد تامر، دار الحديثِ، القاهرة مصر، مجلد:1، د:ط، 2009.

4. علي بن محمد الجرجاني (816هـ-1413)، معجم التعريفات، تح:محمد الصِّديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة مصر، د:ط، د:ت.

5. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817)، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 2005.

6. محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم؛ مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات، المجلد الأول، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط:1، 1996.

ز- المعاجم الأجنبية:

1. Larousse, Pierre. Le Petit Larousse Illustré. Larousse, 2010

2. Rey, Alain. Le Robert Micro. Montreal, Canada: Le Robert, s.d

ك- المو اقع الإلكترونية:

1. حورية رزقي، آليات المنهج التَّداولي في تحليلِ النَّص الأدبي، قسم اللغة والأدب العربي، مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ندوة المخبر: المناهج النَّقدية، جامعة بسكرة، تاريخ النشر: 2018/04/17، تاريخ الزيارة: 2020/12/1.

https://lab.univ-biskra.dz/lla/index.php/2014-02-08-16-51-21/2018-11-04-19-44-31

2. ربيحة أعمارة ، تداولية المقام في الدَّرس البلاغي العربي القديم، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة الجزائر، العدد الثاني، تاريخ النشر: 2018/6/15، تاريخ الزيارة: 2021/3/12. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/76837

3. عبد الملك مرتاض، تداولية اللغة بين الدلالية والسِّياق، جامعة وهران، تاريخ النشر: 2005/12/26، تاريخ الزيارة: 2020/12/01. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/32203

4. عمر بلخير، نظرية الأفعال الكلامية وإعادة قراءة التراث العربي، مجلة الأثر، عدد خاص: أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، تاريخ النشر: 2011/06/30، تاريخ الزيارة:2024/10/23.

https://www.asjp.cerist.dz/en/article/50560

5. سمية حيرش، الحقيقة البراغماتية بين الاعتقاد والعمل (شارل سندرس بورس نموذجا،، تاريخ النشر: 2015/12/12، تاريخ الزيارة: 2024/10/22. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/11606

ملـحـق

قائمة أسماء الأعلام

بول غرايس Paul Grice : هو عالم لغة وفيلسوف بريطاني معروف بأعماله في فلسفة اللغة، خاصة في مجالات المعنى والبراغماتية. وُلِد في 13 مارس 1913 وتوفي في 28 يوليو 1988. من أبرز أعماله:" **Logic and Conversation (1975)**". يعتبر هذا العمل من أهم مساهماته، حيث يقدم فيه نظرية التعاون ويتناول القواعد غير المكتوبة التي تحكم المحادثات، مثل ما يعرف بقواعد غرايس.

جون أوستين John Langshaw Austin : هو مفكر وفيلسوف لغوي بريطاني، وُلِد في 26 مارس 1911 وتوفي في 8 يونيو 1960. كان معروفًا بأعماله في فلسفة اللغة ونظرية الأفعال الكلامية. من أهم أعماله: **"How to Do Things with Words" (1962)** ويقدم فيه نظرية الأفعال الكلامية.

جون سيرل John Searle : مفكر ولغوي أمريكي، وُلِد في 31 يوليو 1932. وهو معروف بأعماله في فلسفة اللغة وفلسفة العقل. من أهم أعماله:**" Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language" (1969)**، ويستكشف فيه مفهوم الأفعال الكلامية وكيف تؤثر اللغة على الفعل.

طه عبد الرحمن: هو مفكر وفيلسوف مغربي، وُلِد سنة 1944، متخصص في فلسفة اللغة والمنطق والأخلاق، ويعد أحد أبرز الفلاسفة المسلمين المعاصرين. من أهم أعماله: **"اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"**، وكتاب "**تجديد المنهج في تقويم التراث**".

عبد الملك مرتاض: هو كاتب ومفكر وروائي جزائري وعالم لغويات. وُلِد في 10 يناير 1935بمدينة تلمسان، وتوفي في 03 مارس2023 رحمه الله، تعتبر أعماله مرجعًا مهمًا في الأدب والنقد الثقافي، وقد تركت أثرًا كبيرًا في الساحة الفكرية العربية، من أهم أعماله: في نظرية الرواية، **القصة الجزائرية المعاصرة، الأمثال الشعبية الجزائري.**

عز الدين جلاوجي : روائي وكاتب وباحث أكاديمي جزائري، وُلِد في 24 فبراير 1962ببلدية عين ولمان مدينة سطيف، عُرف بأسلوبه في تصوير قضايا المجتمع من خلال قصص تجمع بين الواقع والأسطورة والتاريخ. من أعماله البارزة رواية "**حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**"، رواية "**سرادق الحلم والفجيعة**" ورواية "**عناق الأفاعي**"، وكتاب نقدي بعنوان :"**سلطان النص**".

مسعود صحراوي: هو كاتب ومفكر جزائري وباحث أكاديمي معروف باهتمامه بالدراسات اللسانية والتراث اللغوي العربي. وُلِد في 15 مارس 1947 ببلدية الحامة مدينة سطيف، من أهم أعماله: "**التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية للأفعالِ الكلامية في التراثِ اللساني**"، 2005 بدار الطليعة بيروت، الذي يتناول الدرس التداولي المعاصر ونظرية الأفعال الكلامية بالاستناد إلى التراث اللغوي العربي.

مسرد المصطلحات العلمية

مسرد المصطلحات العلمية.

عربي	فرنسي	إنجليزي
الاستلزام الحواري	L'implicature conversationnelle	Conversational Implicature
الإشاريات	La deixis	Deixis
الإشاريات الاجتماعية	La deixis sociale	Social Deixis
الإشاريات الخطابية	La deixis discursive	Discourse Deixis
الإشاريات الزمانية	La deixis temporelle	Temporal Deixis
الإشاريات الشخصية	La deixis personnelle	Personal Deixis
الإشاريات المكانية	La deixis spatiale	Spatial Deixis
التبينيات أو العرضيات	Les expositifs	Expositives
التداولية	La pragmatique	Pragmatics
التقنيات الحجاجية	Les techniques argumentatives	Argumentative Techniques
التلفظ	L'énonciation	Enunciation
التنفيذيات	Les exercitifs	Exercitives
الحبكة	La trame	Plot
الحجاج	L’argumentation	Argumentation
حجة السلطة	L’argument d’autorité	Argument of Authority
حجج الفصل	Les arguments de séparation	Separation Arguments
حجج الوصل	Les arguments de connexion	Connection Arguments
الحكميات	Les verdictifs	Verdictives
الروابط الحجاجية	Les connecteurs argumentatifs	Argumentative Connectives
السرد	La narration	Narration
السلالم الحجاجية	Les échelles argumentatives	Argumentative Scales
السلوكيات	Les comportatifs	Behavitives
الشاهد	L’exemple	Example
الصيغة	Le mode	Mode
الفعل الكلامي	Acte de parole	Speech Act
الفعل اللغوي	Acte locutoire	Locutionary Act
الفعل المتضمن في القول	Acte illocutoire	Illocutionary Act

إنجليزي	فرنسي	عربي
Perlocutionary Act	Acte perlocutoire	الفعل الناتج عن القول
Maxim of Manner	La maxime de manière	قاعدة الطريقة
Maxim of Quantity	La maxime de quantité	قاعدة الكم
Maxim of Quality	La maxime de qualité	قاعدة الكيف
Maxim of Relation	La maxime de relation	قاعدة الملاءمة
Commissives	Les promissifs	الوعديات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

إهداء.....
شكروتقدير.....
مقدمة:.....أ
مدخل: التَّداولية، المصطلح والمنهج في الدراسات الغربية والعربية.....9
أولا- التداولية في الدَّرس اللُّغوي العَربي والغربي:.....3
1-1-المصطلح:.....3
1-2- مصطلح التداولية في الدرس اللغوي:.....5
1-3- التَّداولية عند العرب:.....6
1-4-التَّداولية عند الغرب:.....9
ثانيا- التَّداولية في الخطاب النقدي العربي:.....15
2-1- التداولية عند طه عبد الرحمن:..... 16
2-2- التَّداولية عند عبد الملك مرتاض: 18
2-3- التَّداولية عند محمد محمد يونس: 19
2-4- التداولية عند مسعود صحراوي:..... 21
ثالثا- قراءة في كتاب تحليل الخطاب المسرحي في ضوء التداولية لعمر بلخير:.....23
الفصل الأول: البُعد الحجاجي في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر.....28
أولا- السَّرد والحجاج:Narration et Argumentation.....29
1-1- السَّرد: La Narration.....30
1-1-1-العناصر السردية في تحليل الخطاب السردي: 34
1-2-الحجاج: Argumentation..... 37
1-2-1-الحجاج وتقنيات التأثير: 39
1-3-الحجاج في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر: 46
ثانيا: الشخصية الروائية وحجاجيتها:.....49
2-1- إيتوس الشخصية الساردة:..... 50

2-2- إيتوس الشخصية البطلة:..... 53

2-3- تداولية حجة السلطة في الشخصية المعارضة:..... 57

2-4- تداولية حجة الرمز في الشخصية التاريخية:..... 61

2-5- تداولية حجة التعارض في شخصية الآخر:..... 64

2-6- تداولية حجة العاطفة في شخصية الآخر:..... 65

2-7- حجاجية العجائبي في الشخصية: 67

ثالثاً: التقنيات الحجاجية في الحوار:.....69

3-1- التقنيات اللغوية:.....70

3-1-1-الروابط الحجاجية:Les connecteurs Argumentatives..... 71

3-1-2- العوامل الحجاجية: :Les opérateurs argumentatives..... 78

3-2- حجاجية الفعل الكلامي:..... 81

3-3- التقنيات البلاغية.....85

3-3-1- التشبيه:..... 86

3-3-2- الاستعارة:..... 87

3-4- التقنيات شبه المنطقية:..... 89

3-4-1- السلالم الحجاجية:..... 89

3-4-2- حجة الشاهد:..... 91

3-4-3- حجاجية المبادئ الفكرية: 92

رابعاً: جمالية المكان وبعدِهِ الحجاجي:.....94

4-1- بنية المكان:.....94

4-2- تداولية حجة العاطفة :..... 95

4-3- تداولية القيم والمبادئ الحجاجية:..... 97

4-4- تداولية حجة العجائبي :.....101

الفصل الثاني: الخطاب السردي لرواية حوبة في ضوء نظرية أفعال الكلام.....107
أولاً: الأفعال الكلامية وتشكيل الفضاء السردي:.....108
1-1- الفعل الكلامي: Acte de parole 108
1-1-1-الأفعال الكلامية عند جون أوستينJ. L.Austin 109
1-1-2- الأفعال الكلامية عند جون سيرلJ. Searle 112
1-2- الفضاء السردي:.....116
1-2-1- تداولية الفضاء النصي في ضوء نظرية أفعال الكلام :.....117
1-2-2- الأفعال الكلامية في تشكيل الفضاء الجغرافي:.....128
1-2-3- الفضاء الدلالي والفعل الكلامي: 138
1-2-4- المنظور الروائي فعلاً كلامياً:.....141
ثانيا: الأفعال الكلامية وتشكيل البناء السردي:.....145
2-1- الفعل الكلامي والزمن السردي : 145
2-1-1-زمن القصة:.....146
2-1-2- زمن السرد: 147
2-2- الشخصية والأفعال الكلامية:.....158
2-2-1- الإخباريات أو التقريريات:Assertives 158
2-2-2- التعبيريات: Expressive 162
2-2-3- الالتزاميات: Directives 164
2-2-4- الإعلانيات: Declaratives 166
2-2-5- التوجيهيات: Directives 168
الفصل الثالث: تداولية الاستلزام الحواري والإشاريات في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر 175
أولا: تداولية الاستلزام الحواري في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر:.....176
1-1- قاعدة الكم في رواية حوبة: La maxime de quantité 178
1-2- قاعدة الكيف في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر:La maxime de qualité 182

1-3- قاعدة الملاءمة في رواية حوبة ورحلة الحث عن المهدي المنتظر La maxime de relation 186

1-4- قاعدة الطريقة في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر:La maxime de manière..... 188

ثانياً: تداولية الإشاريات في رو اية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر..... 193

2-1- الإشاريات الشخصية: La deixis personnelle 195

2-1-1-ضمائر الحضور: 196

2-1-2-ضمائر الغياب:..... 204

2-2- الإشاريات الزمانية: La deixis temporelle 211

2-3- الإشاريات المكانية: La deixis spatiale 218

2-3-1- المؤشرات المكانية:..... 219

2-3-2- المؤشرات الظرفية:..... 222

2-3-3-أسماء الإشارة: 225

2-4- الإشاريات الخطابية: La deixis discursive 227

2-5- الإشاريات الاجتماعية: La deixis sociale 233

2-5-1- المُشيرات الرَّسمية:..... 234

2-5-2- المُشيرات غير الرَّسمية:..... 237

خاتمة:..... 243

قائمة المصادروالمراجع 247

قائمة أسماء الأعلام..... 260

مسرد المصطلحات العلمية..... 262

فهرس الموضوعات: 265

ملخص:..... 270

Abstract:..... 271

ملنصر

العنوان: تحليل الخطاب الروائي عند عزالدين جلاوجي وفق منظورتداولي، رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر أنموذجاً.

ملخص:

تهدف هذه الأطروحة إلى دراسة الخطاب الروائي الجزائري المعاصر من خلال تحليل رواية **"حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر" للروائي عزالدين جلاوجي**، باستخدام المقاربة التداولية. فيتمحور موضوع الدراسة حول تحليل البنى اللغوية والدلالية في الخطاب الروائي، بالكشف عن أبعاد التواصل في الخطاب، وكيفية استثمار الكاتب لعناصر التداولية لإيصال معانيه وقناعاته بطرق مباشرة وغير مباشرة، بالتركيز على الحجاج، الأفعال الكلامية، والإشاريات، والاستلزام الحواري في سبيل فهم أعمق للمعاني المتعددة التي تُنشئها تقنيات السرد، وتكمن الأهمية الكبرى للدراسة في تسليط الضوء على الأدب الجزائري الحديث وتوظيف المناهج النقدية المعاصرة، كالتداولية، لفهم أعمق للخطاب الأدبي، مما يعزز من مكانة الأدب الجزائري ويبرز قدراته الفنية والفكرية.

ولقد تم التوصل إلى عدة نتائج مهمة، أبرزها أن رواية "**حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر**" تحتوي على بنى سردية وحجاجية معقدة تستفيد بشكل واضح من التقنيات التداولية، وأظهر التحليل أن الكاتب عز الدين جلاوجي يستخدم الأفعال الكلامية والإشاريات بفاعلية، مما يعكس قدرة النص على خلق حوار داخلي بين الشخصيات وبين النص وقارئه، كما تم التوصل إلى أن الرواية لا تقتصر على السرد فحسب، بل تطرح تساؤلات وجودية وتاريخية تتجلى عبر وسائل حجاجية ولغوية متقنة.

Title: Analyzing the Narrative Discourse of Ezzeddine Jalawji through a Pragmatic Perspective: A Study of the Novel "Houba and the journey of searching for the Awaited Mahdi "

Abstract:

This thesis aims to examine contemporary Algerian narrative discourse through the analysis of the novel ***"Houba and the journey of searching for the Awaited Mahdi "*** by the novelist Ezzedine Jalawji, using a pragmatics-based approach. The theme of the study focuses on analyzing the linguistic and semantic structures within the narrative discourse, revealing the communicative dimensions of the discourse, and exploring how the author utilizes pragmatic elements to convey his meanings and convictions both directly and indirectly. By emphasizing on argumentation, speech acts, deixis, and conversational implicature for the purpose of gaining a deeper understanding of the multiple meanings generated by narrative techniques. This study's significance lies in highlighting modern Algerian literature and applying contemporary critical methodologies as pragmatics, in order to establish a deeper understanding of literary discourse thereby reinforce the status of the Algerian literature and highlight its artistic and intellectual capacities.

Several key findings emerged from the analysis, notably that the novel ***"Houba and the journey of searching for the Awaited Mahdi "***contains complex narrative and argumentative structures that clearly benefit from pragmatic techniques. The analysis revealed that the author, Ezzedine Jlawaji, skillfully utilizes speech acts and deixis, reflecting the text's capacity to create an internal dialogue between characters, as well as between the text and its reader. Moreover, the study concluded that the novel transcends mere storytelling, posing existential and historical questions that are articulated through refined argumentative and linguistic devices.